تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الثالث

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر   عثمان جمعة ضميرية   سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض - شارع عسير - ص.ب: ٧٦١٢
تليفون: ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المَائِدَة

مائة وعشرون آية، نزلت بالمدينة كلها إلا قوله: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكم﴾ الآية، فإنها نزلت بعرفات.

بســـــــم الله الرحمـن الرحيم

رُوي عن أبي ميسرة قال: أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم يُنزلها في غيرها، قوله: «والمنخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أكلَ السَّبُعُ إلاّ ما ذكيتُم وما ذُبحَ على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزْلَام وما علّمتُم من الجوارح مُكلّبين تعلمونهنّ»، «وطعامُ الذين أُوتُوا الكتابَ حلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لهم والمُحصناتُ من المؤمنات والمحصناتُ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكُمْ»، وتمام الطهور في قوله: «إذا قمتُم إلى الصلاةِ»، «والسارقُ والسارقة»، «ولا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُم» الآية، «ما جعلَ الله من بَحِيْرَةٍ ولا سَائِبَةٍ ولا وَصِيْلَةٍ ولا حَامٍ»، وقوله: «شهادةُ بينِكُم إذا حضرَ أحدَكُمُ الموتُ»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى ﴿ياأيها الذينَ آمنُوا أوْفُوا بالعُقود﴾، أي بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدتُ فلاناً وعقدتُ عليه أي: ألزمتُه ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما

(١) أخرجه الفريابي، وأبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن أبي ميسرة. انظر الدر المنثور: ٣/٤.

يُعقد الحبل بالحبل [إذا وُصل][1].

واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جُريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيّها الذين آمنُوا بالكتب المتقدمة أوْفُوا بالعهود التي عهدتُها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: «وإذْ أخذَ الله ميثاقَ الذينَ أُوتوا الكتابَ لَتُبيننَّه للناس» (سورة آل عمران، ١٨٧).

وقال الآخرون: هو عام، وقال قتادة: أراد بها الحِلْف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم.

﴿أُحلَّتْ لكم بهيمةُ الأنعام﴾، قال/الحسن وقتادة: هي الأنعام كلّها، وهي الإبل والبقر ١٠٠/ب
والغنم، وأراد تحليل ما حرّم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنّة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنّة التي تُوجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذُبحت أو نحرت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله.

[قال الشيخ الإمام][2]: قرأت على أبي عبدالله محمد بن الفضل الخرقي فقلتُ: قُرِىء على أبي سهلٍ محمد بن عمر بن طرفة وأنتَ حاضر، فقيل له: حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر ابن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال قلنا: يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إنْ شئتُمْ فإنّ ذكاتَه ذكاةُ أمّه»[3]، وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الأضاحي، باب ماجاء في ذكاة الجنين: ٤/١١٨، والترمذي في الصيد، باب ماجاء في ذكاة الجنين، بلفظ: «ذكاة الجنين ذكاة أمه» وقال: حديث حسن. والدارقطني في الصيد والذبائح والأطعمة: ٤/٢٧٤، والإمام أحمد في المسند: ٣/٣١، ٤٥، ٥٣، والمصنف في شرح السنة: ١١/٢٢٨.

كلهم رووه من طريق مجالد عن أبي الودّاك عن أبي سعيد الخدري. قال عبدالحق: لا يحتج بأسانيده كلها. وقال الغزالي: هو حديث صحيح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده.

وقال الحافظ ابن حجر: في هذا نظر، والحق أن فيه ما تنتهض به الحجة، وهو مجموع طرقه، وطرق حديث جابر - الآتي بعد هذا مباشرة -

انظر: تلخيص الحبير: ٤/١٥٦ - ١٥٨، نصب الراية: ٤/١٨٩ - ١٩٢، مختصر المنذري لسنن أبي داود: ٤/١١٩ - ١٢١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمّه»[1].

وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تمَّ خلقُه ونبتَ شعرُه، ومثله عن سعيد بن المسيب.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحلُّ أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم.

وقال الكلبي: بهيمة الأنعام: وَحْشيُّها، وهي الظباء وبقر الوحش، سُميت بهيمةً لأنها أُبهمت عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إلاّ ما يُتلى عليكُم﴾ أي: ما ذُكر في قوله: «حُرِّمتْ عليكم الميتةُ» إلى قوله: «وما ذُبحَ على النُّصب»، ﴿غَيْرَ مُحلِّي الصَّيْدِ﴾، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحلّي الصيد، ومعنى الآية: أُحلّتْ لكم بهيمةُ الأنعام كلّها إلا ما كان منها وحشياً فإنه صيدٌ لا يحِلّ لكم في حال الإحرام، فذلك قوله تعالى: ﴿وأنتم حرُمٌ إنّ الله يَحْكُمُ ما يُريد﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ الله﴾، نزلت في الحُطَم واسمه شريح بن ضُبَيْعَة البكري، أتى المدينة وخلّف خيله [خارج][2] المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلى ما تدعُو الناسَ؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، [وأنّ محمداً رسول الله][3]، وإقامِ الصلاة

(1) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين: ٤/١١٩، والدارمي في الأضاحي، باب في ذكاة الجنين: ٢/٨٤، والدارقطني: ٤/٢٧٣ بلفظ «كُلِ الجنين في بطن أمه»، وصححه الحاكم في المستدرك على شرط مسلم ووافقه الذهبي: ٤/١١٤.
وعزاه الهيثمي في المجمع: ٤/٣٥ والزيلعي في نصب الراية: ٤/١٨٩ لأبي يعلى في مسنده. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١١/٢٢٩.
قال المنذري: في إسناده عبدالله بن أبي زياد المكي القداح، وفيه مقال. وقال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف. وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٨/١٧٢.

(2) في «ب»: (ظاهر).

(3) ساقط من «ب».

وإيتاءِ الزكاة، فقال: [حسن][1]، إلا أن لي أُمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولَعلّي أُسلم وآتي بهم، وكان النبي ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم [بلسان][2] شيطان، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: لقد دخل بوجه كافر وخرجَ بقفا غادرٍ وما الرجل بمسلم، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتبعوه فلم يُدركوه، فلمّا كان العام القابل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقدْ قلّدَ الهَدْيَ، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم قد خرج حاجاً فخلِّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: إنه قد قلّد الهَدْيَ، فقالوا: يارسول الله هذا شيء كنّا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائرَ الله﴾[3].

قال ابن عباس ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأرادَ المسلمون أن يُغيِّرُوا عليهم فنهاهم الله عن ذلك.

وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشْعَرة، والإشْعار من الشعار، وهي العلامة، وإشعارها: إعلامها بما يُعرف أنها هَدْي، والإشعار هاهنا: أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدمُ، فيكون ذلك علامة أنها هَدْي، وهي سنّة في الهدايا إذا كانت من الإبل، لِما أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فتلتُ قلائدَ بُدْنِ النبي ﷺ بيدي، ثم قلّدَها وأشعرَها وأهداها، فما حَرُمَ عليه شيء كان أُحِلّ له[4].

وقاس الشافعي البقرَ على الإبل في الإشعار، وأمّا الغنم فلا تشعر بالجرح، فإنها لا تحتمل الجرح لضعفها، وعند أبي حنيفة: لا يشعر الهدي.

وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تُحِلّوا شعائرَ الله هي أن تَصِيْدَ وأنتَ محرمٌ، بدليل قوله تعالى: «وإذا حَلَلْتُم فاصطادوا»، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرمات الله واجتناب سخطه واتباع طاعته.

قوله: ﴿ولا الشَّهْرَ الحَرَامَ﴾ أي: القتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنهم كانوا يُحِلّونه في الجاهلية عاماً ويُحرّمُونه عاماً، ﴿ولا الهَدْيَ﴾، وهو كل ما يُهدَى إلى بيت الله من بعير أو

(١) في «ب»: (حسبي).
(٢) في «ب»: (بكلام).
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩/٤٧٢ ـ ٤٧٣، الدر المنثور: ٣/٩ ـ ١٠، أسباب النزول للواحدي ص (٢١٩)، تفسير القرطبي: ٦/٤٣.
(٤) أخرجه البخاري في الحج، باب من أشعر وقلّد بذي الحليفة. . : ٣/٥٤٢، ومسلم في الحج، باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم. . برقم (١٣٢١): ٢/٩٥٧، والمصنف في شرح السنة: ٧/٩٢.

بقرة أو شاة، ﴿ولا القَلائِدَ﴾، أي: الهدايا المُقلّدة، يريد ذواتِ القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلّدُوا أنفسهم وإبلهم بشيءٍ منْ لِحَاءِ شجرِ الحرم كيلا يُتعرّض لهم، فنهى الشرعُ عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أنّ المشركين كانوا يأخذون من لِحَاءِ شجر مكة ويتقلدونها فُنهوا عن نزع شجرها.

قولـه تعالى: ﴿ولا آمّينَ البيتَ الحرامَ﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرّضوا لهم، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبونِ ﴿فضْلاً منْ رَبِّهم﴾، يعني الرزق بالتجارة، ﴿ورِضْواناً﴾ أي: على زعمهم، لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجـل لهم العقـوبـة فيهـا، وقيل: ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصـة، لأنّ المسلمين والمشركين كانوا يحجُّون، وهذه الآية إلى هاهنا منسوخة بقوله: «فـاقتُلُوا المشـركينَ حيثُ وَجَدْتُموهُم» (سورة التوبة، ٥) وبقوله: «فلا يَقْرَبُوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِهم هذا» (سورة التوبة، ٢٨)، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا أن يأمن كافر بالهدي والقلائد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا حَلَلْتُم﴾ من إحرامكم، ﴿فاصْطَادُوا﴾، أمرُ إباحة، أباح للحلال أخذ الصيد، كقوله تعالى: «فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرض». (الجمعة، ١٠).

﴿ولا يَجْرِمَنّكم﴾، قال ابن عباس وقتادة: لا يحملنّكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعتُ كذا، أي حملني، وقال الفراء: لا يكسبنّكم، يقال: جرم أي: كَسَبَ، وفلانٌ جريمة أهله، أي: كاسبهم، وقيل: لا يدعونّكم، ﴿شَنَآنُ قومٍ﴾، أي: بغضُهم وعداوتهم، وهو مصدر شنئت، قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿شنْآنُ قوم﴾ بسكون النون الأولى، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان، والفتح أجود، لأنّ المصادر أكثرها فعلان، بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها، ﴿أنْ صَدّوكم عنِ المسجدِ الحَرامِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنّكم عداوةُ قومٍ على الاعتـداء لأنهم صدوكم. وقـال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قضية الحديبية، وكان الصَّدُّ قد تقدم، ﴿أنْ تعتَدُوا﴾، عليهم بالقتل وأخذ الأموال، ﴿وتعاوَنُوا﴾، أي: ليعنْ بعضُكم بعضاً، ﴿على البرِّ والتَّقْوَى﴾، قيل: البرُّ متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السنّة، ﴿ولا تعاوَنُوا على الإِثْم والعُدْوَانِ﴾، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة. •

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾

١٠١/أ /أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القرشي أنا الحسن بن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبدالرحمن بن جبير بن نفير بن مالك الحضرمي عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن البرِّ والإثْم، قال: «البرُّ حُسْنُ الخُلقِ، والإثْمُ ما حَاكَ في نفسِكَ وكرهْتَ أنْ يطلعَ عليه النّاس»(١). ﴿واتَّقوا الله إنّ الله شديدُ العِقاب﴾.

قوله عز وجل ﴿حُرِّمَتْ عليكُم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير وما أُهِلَّ لغيرِ الله به﴾، أي: ما ذُكر على ذبحه اسم غير الله تعالى، ﴿والمُنْخَنِقَةُ﴾، وهي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتتْ أكلوها، ﴿والمَوقُوذَةُ﴾ هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتتْ أكلوها، ﴿والمتردِّيةُ﴾، هي التي تتردّى من مكان عالٍ أو في بئر فتموت، ﴿والنَّطيحَةُ﴾، وهي التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التأنيث تدخل في الفعيل إذا كان بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عينٌ كحيلٌ وكفٌ خَضِيبٌ، فإذا حَذفْتَ الاسم وأفردتَ الصفةَ، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيلة وخضيبة، وهنا أُدخل الهاء لأنه لم يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يُدْرَ أنها صفة مؤنث أم مذكر، ومثله الذبيحة والنسيكة، وأكيلة السبع ﴿ومَا أكَلَ السَّبُعُ﴾، يريد ما بقي ممّا أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، ﴿إلّا ما ذَكَّيْتُمْ﴾، يعني: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣): ٤/١٩٨٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٧٦.

وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذكّيتُ النارَ إذا أتممتُ إشعالها، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهار الدم، قال النبي ﷺ: «ما أنْهَرَ الدّمَ وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكُلْ غير السّن والظفر»(١).

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحُلقوم وكما له أن يقطع الودجين معهما، ويجوز بكل مُحدّد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر إلا السن والظفر، فنهى النبي ﷺ عن الذبح بهما، وإنّما يحلّ ما ذكيته بعدما جرحَه السبعُ أو أكل شيئاً منه إذا أدركتَه والحياةُ فيه مستقرةٌ فذبحته، فأمّا مَا صَار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحتَه، وكذلك المتردّية والنّطيحة إذا أدركتَها حيّةً قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً، ولو رمى إلى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الأرض فمات كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته، فإن سقط على جبل أو شجر أو سطح ثم تردّى منه فمات فلا يحلّ، وهو من المتردية إلا أن يكون السهم أصاب مذبحه في الهواء فيحلّ كيفَ مَا وقع، لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المَذْبَح.

﴿وما ذُبِحَ على النُّصُبِ﴾، قيل: النُّصُب جمعٌ واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق، وهو الشيء المنصوب.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقتادة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجراً منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونها ويُعظّمونها ويذبحون لها، وليست هي بأصنام، إنما الأصنام هي المُصَوَّرة المنقوشة، وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة، ومعناه: وما ذُبح على اسم النُّصب، قال ابن زيد: وما ذُبح على النصب وما أُهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: على بمعنى اللام أي: وما ذُبح لأجل النُّصب.

﴿وأنْ تَسْتَقسِمُوا بالأَزْلَامِ﴾، أي: ويحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القِداح التي لا ريش لها ولا نَصْل، وَاحِدُهَا: زَلْم، زُلْم بفتح الزاي وضمها، وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط(٢)، يكون عند سَادِنِ الكعبة، مكتوبٌ على واحدٍ: نعم، وعلى واحدٍ: لا، وعلى واحدٍ: منكم، وعلى واحدٍ: مِنْ غيركم، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب ما أنهر الدم من القصب والمروة والحديد: ٩/٦٣١، ومسلم في الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظم، برقم (١٩٦٨): ٣/١٥٥٨.

(٢) الشَّوْحَط: شجر تتخذ منه القِسيُّ. (القاموس المحيط: ٢/٦٨٠)، وانظر: الميسر والقداح، لابن قتيبة ص(٤٤) وما بعدها.

واحدٍ: مُلْصَق، وعلى واحدٍ: العقل، وواحد غُفْل ليس عليه شيء، فكانوا إذا أرادوا أمراً من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره، أو تدارؤوا في نسبٍ أو اختلفوا في تحمّل عقلٍ جاؤوا إلى هُبل، وكان أعظم أصنام قريش بمكة، وجاؤوا بمائة درهم فأعطوها صاحب القداح حتى يُجيلَ القِدَاحَ، ويقولون: يا إلهنا إنّا أردنا كذا وكذا، فإن خرج نعم، فعلوا، وإن خرج لا، لم يفعلوا ذلك حولاً، ثمّ عادوا إلى القِدَاح ثانيةً، فإذا أجالوا على نسبٍ، فإن خرج منكم كان وسطاً منهم، وإن خرج من غيركم كان حليفاً، وإن خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف، وإذا اختلفوا في عقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله، وإن خرج الغفل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك وحرّمه، وقال: ﴿ذَلِكُم فِسْقٌ﴾ قال سعيد بن جبير: الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعجم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج، وروينا أن النبي ﷺ قال: «العِيَافَةُ والطَّرْقُ والطِّيَرَةُ مِنَ الجِبْتِ»[1]، والمراد من الطَّرْقِ: الضَّرْبُ بالحصى.

أخبرنا أبو سعيد الشريحيّ أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجوية أنا ابن الفضل الكندي أخبرنا الحسن بن داود الخشاب أنا سويد بن سعيد أنا [أبو المختار][2] عن عبدالملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تكهَّنَ أو اسْتَقْسَمَ أو تطيّر طيرةً تردّه عن سفره لم ينظرْ إلى الدرجات العُلى من الجنة يوم القيامة»[3].

قوله عز وجل ﴿اليومَ يَئِسَ الذينَ كفرُوا مِنْ دينِكُمْ﴾، يعني: أنْ ترجعُوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطْمَعُون في عَوْدِ المسلمين إلى دينهم فلما قَوي الإسلام يئسوا، ويئس وأيس بمعنى واحد.

﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِ اليومَ أكملتُ لكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً﴾، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء، فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت.

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب، باب في الخط وزجر الطير: ٥/٣٧٣، وأحمد في المسند: ٣/٤٧٧، ٥/٦٠، والمصنف في شرح السنة: ١٢/١٧٧. وعزاه المنذري للنسائي. قال النووي: إسناده حسن. انظر: فيض القدير: ٤/٣٩٦.

(٢) في «ب»: (أبو المُحَيَّاة). وهو يحيى بن يعلى التيمي، ثقة من الثامنة. (التقريب).

(٣) عزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط، وقال: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب. مجمع الزوائد: ١/١٢٨. وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ٥/١٧٤، وقال: غريب من حديث الثوري عن عبدالملك، تفرد به محمد بن الحسن.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: «ياأمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلتْ لاتّخذنَا ذلك اليوم عيداً، قال: أيَّةُ آيةٍ؟ قال: «اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً» قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة[1]. أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا».

قال ابن عباس: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة وعرفة وعيد اليهود/والنصارى ١٠١/ب والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلتْ هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: «ما يُبكيك يا عمر»؟ فقال: أبكاني أنّا كنّا في زيادة من ديننا، فأمّا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، قال: صدقت[2].

وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول [سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: تُوفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول][3] وكانت هجرته في الثاني عشر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسُّنن والحُدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرام، ولا شيء من الفرائض. هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ورُوي عنه أن آية الرِّبا نزلت بعدها.

وقال سعيد بن جبير وقتادة: أكملتُ لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك.

وقيل: أظهرت دينكم وأمّنْتُكُم من العدو.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة المائدة، باب «اليوم أكملت لكم دينكم...»: ٨/ ٢٧٠، وفي الإيمان، والاعتصام. وأخرجه مسلم في التفسير، برقم (٣٠١٧): ٤/٢٣١٣.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ٥١٩/٩، وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة. انظر الدر المنثور: ١٨/٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: «ب».

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأتممتُ عليكم نعمتي﴾، يعني: وأنجزت وعدي في قول «ولأتمّ نعمتي عليكم» (سورة البقرة، ١٥٠)، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾، سمعت عبدالواحد المليحي قال: سمعت أبا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي، سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، سمعت عبدالملك بن مسلمة أبا مروان المصري سمعت إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه، سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى: هذا دين ارتضيتُه لنفسي ولن يُصلِحَه إلا السخاءُ وحُسْنُ الخُلق، فأكرمُوه بهما ما صحبتُمُوه»[١].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فمنِ اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ﴾، أي: أُجهد في مجاعة، والمخمصة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاوياً خاوياً، ﴿غَيْرَ مُتَجانِفٍ لإثم﴾ أي: مائل إلى إثم وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿فإنّ الله غفورٌ رحيم﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإنّ الله غفور رحيم.

أخبرنا أبوعبدالله محمد بن الحسن المروزي أنا أبوالعباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبدالعزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي قال رجل: يارسول الله إنّا نكون بالأرض فتصيبُنا بها المخمصة فمتى تَحِلّ لنا الميتة؟ فقال: «ما لم تصطبحوا أو

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر، وبمعناه أيضاً عن عمران بن حصين، ورواه الأصبهاني وذكره المنذري بصيغة التضعيف في الترغيب والترهيب: ٣/٣٨٣، ٤٠٦. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك» مجمع الزوائد: ٣/٢٤٨، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٢٨٢): ٣/٤٤١ ـ ٤٤٢.
وانظر: بحثا بعنوان: إن الدين عند الله الإسلام. في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٦).

تغتبقوا أو تحتفئوا بها بقلاً فشأنكم بها»(١).

قولـه عزّ وجـلّ ﴿يَسْئَلُونَكَ ماذا أُحِلّ لهم﴾ الآية، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالا يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحلّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية(٢).

وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يارسول الله ماذا يحلّ لنا من هذه الأمة التي أُمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية(٣) فلمّا نزلت أذِنَ رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يُنتفع بها، ونهى عن إمساك مَا لاَ نفعَ فيه منها.

أخبـرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بِشْرَان أنا إسماعيل بن محمد الصفَّار أنا أحمد بن منصور الرَّمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط»(٤)، والأول أصح في سبب نزول هذه الآية.

﴿قُلْ أُحِلّ لكُمُ الطيباتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيبه العرب

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/٢١٨، والدارمي في الأضاحي، باب في أكل الميتة للمضطر: ٢/٨٨. وأخرجه أيضاً: البيهقي والطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن في إسناده انقطاعاً، فإن حسان بن عطية لم يسمع من أبي واقد الليثي، واختلف في صحبة أبي واقد.
وأخرجه المصنف أيضاً في شرح السنة: ١١/٣٤٧، وساقه ابن كثير برواية الإمام أحمد وقال: «هو إسناد صحيح على شرط الشيخين».
ومعنى قوله «تحتفئوا بها بقلاً»: قال أبو عبيد: بلغني أنه من الحفاء، مهموز مقصور، وهو أصل البردي الأبيض الرطب منه، وهو يؤكل، يقول: مالم تقتلعوا هذا بعينه، فتأكلوه.
وقيل: صوابه «مالم تحتفوها بها بقلاً» مخفف الفاء غير مهموز، وكل شيء استؤصل فقد احتفي، ومنه إحفاء الشعر، يقال: احتفى الرجل يحتفي: إذا أخذ من وجه الأرض بأطراف أصابعه.
وقال: معنى الحديث: إنما لكم منها، يعني من الميتة، الصَّبوح: وهو الغداء، أو الغَبوق: وهو العَشاء، فليس لكم أن تجمعوهما من الميتة.
وأنكروا هذا على أبي عبيد، وقالوا: معناه: إذا لم تجدوا صبوحا أو غبوقا، ولم تجدوا بقلة تأكلونها حلَّت لكم الميتة... انظر: شرح السنة: ١١/٣٤٧-٣٤٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، انظر: الدر المنثور: ٣/٢٠، أسباب النزول للواحدي ص(٢٢٢-٢٢٣).
(٣) أخرجه الحاكم عن أبي رافع: ٢/٣١١ وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص(٢٢١)، الدر المنثور: ٣/٢١.
(٤) أخرجه البخاري في الحرث والمزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث: ٥/٥، بلفظ «من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية».
وأخرجه مسلم في المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك (١٥٧٥): ٣/١٢٠٣، والمصنف في شرح السنة: ١١/٢٠٩.

وتستلذّه من غير أنْ يرد بتحريمه نصّ من كتاب أو سنة ﴿وما علّمتُم مِنَ الجَوارِحِ﴾، يعني: وأحل لكم صيد ما علّمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن يدركَ ذكاتَه، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أنّ المراد بالجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعُقاب والصقر ونحوها ممّا يقبل التعليم، فيَحلّ صيدُ جميعها، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، والمُكلّب الذي يغري الكلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً: مُكلِّب، والكلّاب: صاحب الكلاب، ويقال للصائد بها أيضاً كلاب، ونصبُ مكلّبين على الحال، أي: في حال تكليبكم هذه الجوارح أي إغرائكم إيّاها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد، ﴿تُعلِّمُونَهُنَّ﴾، تؤدبونهن آدابَ أخذ الصيد، ﴿مما عَلّمَكُمُ الله﴾، أي: من العلم الذي علّمكم الله، وقال السدي: أي كما علّمكم الله، «من» بمعنى الكاف، ﴿فكُلُوا ممّا أمْسَكْنَ عليكُم﴾. أراد أن الجارحة المعلّمة إذا خرجتْ بإرسال صاحبها فأخذتِ الصيدَ وقتلتْه كان حلالاً، والتعليم هو أن يُوجدَ فيها ثلاثةَ أشياء: إذا أُشليتْ استَشْلَتْ، وإذا زُجِرَتْ انزَجَرَتْ، وإذا أخذتِ الصيدَ أمْسَكتْ ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مراراً وأقله ثلاث مرات كانت معلّمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلتَ كلبكَ المعلّم وسمّيتَ فأمسكَ وقتلَ فكُلْ، وإن أكل فلا تأكل فإنّما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فأمسكنَ وقتلنَ فلا تأكل فإنك لا تدري أيّها قتل، وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكُلْ وإن وقع في الماء فلا تأكل» (١).

واختلفوا فيما إذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئاً: فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه، ورُوي ذلك عن ابن عباس، وهو قول عطاء وطاوس والشعبي، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة: ٦١٠/٩، ومسلم في الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلّمة، برقم (١٩٢٩): ١٥٣١/٣ بلفظ مقارب، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١١ - ١٩٢.

وهو أصح قولي الشافعي لقوله ﷺ: «وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه».

ورخص بعضهم في أكله، رُوي ذلك عن ابن عمر، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وبه قال مالك: لِما رُوي عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرسلتَ كلبكَ وذكرتَ اسمَ الله تعالى فكُلْ وإن أكل منه»(١).

١٠٢/أ أمّا غير المعلم من/ الجوارح إذا أخذ صيداً، أو المعلم إذا خرج بغير إرسال فأخذ وقتل فلا يكون حلالاً إلا أن يدركه صاحبه حياً فيذبحه، فيكون حلالاً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن يزيد أنا حيوة أخبرني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت: يانبي الله إنّا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم، وبأرض صيدٍ أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلّم، وبكلبي المعلم فما يصح لي؟ قال: «أمّا ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإنْ وجدتُم غيرَها فلا تأكُلوا فيها وإن لم تجدُوا فاغسلُوها وكلُوا فيها وما صِدْتَ بقوسك فذكرتَ اسمَ الله عليه فكُلْ وما صدتَ بكلبك المعلّم فذكرتَ اسمَ الله عليه فكل وما صِدْتَ بكلبك غير المعلّم فأدركتَ ذكاتَه فكُلْ»(٢).

قوله عز وجل: ﴿واذكروا اسم الله عليه. واتّقوا الله إنّ الله سريعُ الحِسَابِ﴾، ففيه بيان أن ذكرَ اسمِ الله عزّ وجلّ على الذبيحة شرطٌ حالةَ ما يُذبح، وفي الصيد حالةَ ما يُرسِل الجارحةَ أو السهمَ.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علوية الجوهري قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقري بالبصرة حدثنا عمر بن شيبة أنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، قال: رأيته واضعاً قدمه على صِفَاحِهمَا ويذبحهما بيده

---

(١) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب في الصيد: ٤/١٣٦، والمصنف في شرح السنة: ١١/١٩٥.
قال المنذري في مختصر السنن: «في إسناده داود بن عمرو الأَوْدي الدمشقي، عامل واسط، وثّقه يحيى بن معين، وقال الإمام أحمد: حديث مقارب، وقال أبو زرعة: لابأس به... وقال أحمد بن عبدالله العجلي: ليس بالقوى».

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب صيد القوس: ٩/٦٠٤-٦٠٥، وباب ما جاء في التصيد: ٩/٦١٢، وباب آنية المجوس: ٩/٦٢٢، ومسلم في الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلّمة، برقم (١٩٣٠): ٣/١٥٣٢. والمصنف في شرح السنة: ١١/١٩٩.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

ويقول بسم الله والله أكبر»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**اليومَ أُحِلَّ لكُمُ الطّيِّباتُ**﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عزّ وجلّ، ﴿**وطعامُ الّذينَ أوتُوا الكتابَ حِلٌّ لكُمْ**﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي محمد ﷺ حلالٌ لكم، فأمّا من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحلّ ذبيحتُه، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه، قال عمر[2]: لا يحلّ، وهو قول ربيعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحلّ، وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول، سُئل الشعبي ومكحول عن النصراني يذبح باسم المسيح، قالا: يَحِلُّ فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون، وقال الحسن: إذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله فإذا غاب عنك فكُلْ فقد أحلّ الله لك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لهم**﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حِلّ طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحِلّ مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقيبه حكم النساء، ولم يذكر حِلَّ المسلمات لهم فكأنه قال حلالٌ لكم أن تطعموهم حرامٌ عليكم أن تُزوجوهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**والمُحصناتُ من المؤمناتِ والمُحصناتُ من الذين أوتُوا الكتابَ مِنْ قبلِكم**﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: «وطعامُكم حِلٌّ لهم».

---

(١) أخرجه البخاري في الأضاحي، باب من ذبح بيده: ١٠/١٨، وفي أبواب أخرى. ومسلم في الأضاحي، باب استحباب الضحية، برقم (١٩٦٦): ٣/١٥٥٦ ـ ١٥٥٧، والمصنف في شرح السنة: ٤/٣٣٤.

(٢) في «ب»: (ابن عمر)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

اختلفوا في معنى ﴿**المحصنات**﴾: فذهب أكثر العلماء إلى أنّ المراد منهن الحرائر، وأجازوا نكاح كل حرة، مؤمنة كانت أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى: «فمما ملكتْ أيمانُكم من فُتياتِكم المُؤمنات» (سورة النساء، ٢٥) جوّز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وجوّز أكثرُهم نكاح الأمة الكتابية الحربية، وقال ابن عباس: لا يجوز وقرأ «قاتلوا الذينَ لا يُؤمنون بالله» إلى قوله «حتى يُعطُوا الجزيةَ عن يَدٍ وهم صَاغِرُون» (التوبة، ٢٩)، فمن أعطى الجزية حَلّ لنا نساؤه ومن لم يعطِها فلا يحلّ لنا نساؤه.

وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفائف من الفريقين حرائرَ كُنّ أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف عن الزنا وتغتسل من الجنابة.

﴿**إذا آتيتُموهُنّ أجُورهُنّ**﴾ مهورهن ﴿**مُحصنينَ غيرَ مُسافِحِينَ**﴾، غير مُعالنين بالزنا، ﴿**ولا مُتّخِذِي أخْدَانٍ**﴾، أي: يسرون بالزنا، قال الزجاج: حرّم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله على جهة الإحصان وهو التزوج.

﴿**ومَنْ يكفرْ بالإيمانِ فقدْ حَبطَ عملُه وهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾، قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان المسلمين إيّاهنّ بالذي يخرجهنّ من الكفر أو يغني عنهن شيئاً وهي للناس عامة: «ومنْ يكفرْ بالإيمانِ فقد حَبِط عملُه وهو في الآخرةِ من الخاسرين».

قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: «ومنْ يكفرْ بالإيمان» أي: بالله الذي يجب

الإيمانُ به.

وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال مقاتل: بما أُنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: من يكفر بالإيمان أي: يستحلّ الحرامَ ويحرّم الحلالَ فقد حَبِط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين قال ابن عباس: خسر الثواب.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا إذا قمتُم إلى الصّلاةِ﴾**، أي: إذا أردتُم القيامَ إلى الصلاةِ، كقوله تعالى: «فإذا قرأتَ القرآن فاسْتَعِذْ بالله»، (سورة النحل، ٩٨)، أي: إذا أردتَ القراءةَ.

وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كلّ مرّة يريد القيام إلى الصلاة، لكن أُعلمنا ببيان السنّة وفعل النبي ﷺ أنّ المرادَ من الآية: «إذا قمتُم إلى الصّلاة» وأنتم على غير طُهر، قال النبي ﷺ: «لا يقبلُ الله صلاةَ أحدكم إذا أحدثَ حتى يتوضأ»(١).

وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنيفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أنّ النبي ﷺ صلّى يومَ فتحِ مكةَ الصلوات الخمس بوضوءٍ واحد، ومسح على خُفيه(٢).

وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم.

وقال بعضهم: هو أمر على طريق النّدب، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طُهر، روى ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ توضأ على طُهرٍ كتبَ الله له عشرَ حسناتٍ»(٣).

ورُوِي عن عبدالله بن حنظلة بن عامر «أن رسول الله ﷺ أُمر بالوضوء عند كلِّ صلاةٍ طاهراً أو

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور: ١/٢٣٤، وفي الحيل، باب في الصلاة: ١٢/٣٢٩، ومسلم في الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، برقم (٢٢٥) ١/٢٠٤ بلفظ «لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث...»، والمصنف في شرح السنة: ١/٣٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد (٢٧٧): والمصنف في شرح السنة: ١/٤٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الرجل يحدث الوضوء من غير حدث: ١/٤٦، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة: ١/١٩٢، وقال: ... هو إسناد ضعيف، وأخرجه ابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء على الطهارة، برقم (٥١٢): ١/١٧١.
قال في الزوائد: مدار الحديث على عبدالرحمن بن زيادة الإفريقي، وهو ضعيف، ومع ضعفه كان يدلّس.
قال في الزوائد: مدار الحديث على عبدالرحمن بن زيادة الإفريقي، وهو ضعيف، ومع ضعفه كان يدلس. وضعفه المصنف في شرح السنة: ١/٤٤٩.

غير طاهر، فلمّا شقَّ ذلك عليه أمر بالسِّواك لكلِّ صلاةٍ»[1].

وقال بعضهم: هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلّا إذا قام إلى الصلاةِ دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بَدَا له من الأفعال غير الصلاة، أخبرنا أبو القاسم الحنيفي أنا أبو الحارث الطاهري أنا الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (كنّا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأُتيَ بطعامٍ فقيل له: ألا تتوضأ؟ «فقال: لِمَ؟ أأصلي فأتوضأ؟)[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فاغْسِلُوا وُجُوهَكُم﴾ وحدُّ الوجه من مَنَابتِ شعر الرأس/ إلى مُنتهى الذقن طولاً ١٠٢/ب
وما بين الأذنين عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء، ويجب أيضاً إيصالُ الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعذار أو العنفقة وإن كانت كثيفة وأمّا العارض واللحية فإن كانت كثيفة لا تُرى البشرة من تحتها لا يجب غسل باطنها في الوضوء، بل يجب غسل ظاهرها.

وهل يجب إمرارُ الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية عن الذقن؟ فيه قولان:

أحدهما: لا يجب، وبه قال أبو حنيفة، لأن الشعر النازل عن حدّ الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه، كذلك النازل عن حدّ الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله.

والقول الثاني: يجب إمرار الماء على ظاهره، لأن الله تعالى أمر بغسل الوجه، والوجه ما يقع في المواجهة من هذا العضو، ويقال في اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه: إذا نبتت لحيته.

قوله تعالى: ﴿وأيديَكم إلى المرافِقِ﴾، أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» (سورة النساء، ٢) أي: مع أموالكم، وقال: «من أنصاري إلى الله» (سورة آل عمران، ٥٢ وسورة الصف، ١٤)، أي: مع الله.

وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفي الرِّجْل يجب غسل الكعبين، وقال الشعبي

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في السواك: ١/ ٤٠، قال المنذري: في إسناده محمد بن اسحاق بن يسار، وقد اختلف الأئمة في الاحتجاج بحديثه، وأخرجه الدارمي في الوضوء: ١/ ١٦٨، والإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في الحيض، باب جواز أكل المحدث الطعام. برقم (٣٧٤): ١/ ٢٨٣، والمصنف في شرح السنة: ٢/ ٤٠.

ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين والكعبين في اليد والرِّجْل لأن حرف «إلى» للغاية والحدّ، فلا يدخل في المحدود.

قلنا: ليس هذا بحدّ ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا، وقيل: الشيء إذا حدّ إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا حدّ إلى غير جنسه لا يدخل، كقوله تعالى: «ثم أتمُّوا الصيامَ إلى الليل» (سورة البقرة، ١٨٧)، لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار.

قوله تعالى: ﴿وامْسَحُوا بِرُءوُسِكُم﴾، اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس، قال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدرُ ما يُطلق عليه اسم المسح.

واحتج من أجاز مسح بعض الرأس بما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن علية عن أيوب السختياني عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة «أنّ النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخُفيه»[1]، فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث، وبه قال الأوزاعي وأحمد و إسحاق

ولم يُجوّز أكثر أهل العلم المسح على العمامة بدلاً من مسح الرأس، وقالوا: في حديث المغيرة أن فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية، وفيه دليل على أن مسح جميع الرأس غير واجب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأَرْجُلَكُم إلى الكَعْبين﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص «وأرْجُلَكم» بنصب اللاّم، وقرأ الآخرون «وأرْجُلِكم» بالخفض، فمن قرأ «وأرجلكم» بالنصب فيكون عطفاً على قوله: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، ويُروى ذلك عن عكرمة وقتادة، وقال الشعبي: نزل جبريل بالمسح وقال: ألا ترى المتيمم يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً؟

وقال محمد بن جرير الطبري يتخير المتوضيء بين المسح على الخفين وبين غسل الرجلين.

وذهب عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا:

---

(١) أخرجه مسلم في الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة برقم (٢٧٥): ١/٢٣١، والمصنف في شرح السنة: ١/٤٥١.

خفض اللاّم في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال تبارك وتعالى: «عذاب يوم أليم»، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جُحْرُ ضبٍ خربٍ، فالخرب نعت للجُحر، وأخذ إعراب الضبِّ للمجاورة.

والدليل على وجوب غسل الرجلين: ما أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبدالله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب أنا يحيى بن محمد بن يحيى أنا الحجبي ومسدد قالا: أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشرٍ عن يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو قال: «تخلف عنّا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقنا الصلاةَ صلاة العصر، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته: «وَيلٌ للأعقابِ مِنَ النّار»[1].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان أنا عبدالله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال: «رأيتُ عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم مضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً، ثم قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ توضأ نحو وُضوئي هذا، ثم قال: من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدّثُ نفسَه فيهما بشيء غفر الله له ما تقدّم من ذنبه»[2].

وقال بعضهم: أراد بقوله ﴿وأرجلكم﴾ المسح على الخفين كما رُوي «أنّ النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه»[3] وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، ويُقال: قبّلَ فلان رأس الأمير ويده، وإن كانت العمامة على رأسه، ويده في كمه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كنتُ مع

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه: ١/١٨٩، ومسلم في الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، برقم (٢٤١/٢١٤)، والمصنف في شرح السنة: ١/٤٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً: ١/٢٥٩، وفي الصوم، باب سواك الرطب واليابس: ٤/١٥٨، ومسلم في الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله برقم (٢٢٦): ١/٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد: ٢/٣٠٥، وانظر: مسلم في المساجد، باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع ونسخ التطبيق برقم (٥٣٤ ـ ٥٣٥): ١/٣٧٩ ـ ٣٨٠.

النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: «أمعك ماء» فقلت: نعم، فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل، ثم جاء فأفرغتُ عليه من الإداوة فغسل وجهه ويديه، وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يُخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه، ثم مسح برأسه، ثم أهويتُ لأنزع خفيه فقال: «دعْهُما فإني أدخلتُهما طاهرتين»، فمسح عليهما[1].

قوله تعالى: ﴿إلى الكعبين﴾ فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين، وهما مجتمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين.

وفرائضُ الوضوء: غسل الأعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى، ومسح الرأس، واختلف أهل العلم في وجوب النيّة: فذهب أكثرهم إلى وجوبها لأنّ الوضوء عبادة فيفتقر إلى النيّة كسائر العبادات، وذهب بعضهم إلى أنّها غير واجبة وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

واختلفوا في وجوب الترتيب، وهو أن يغسل أعضاءه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى: فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول مالك والشافعي وأحمد إسحاق رحمهم الله، ويُروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واحتج الشافعي بقول الله تعالى: «إنّ الصّفا والمروةَ مِنْ شعائر الله»، (سورة البقرة، ١٥٨). وبدأ النبي ﷺ بالصفا، وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»[2]، وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلاً بما بدأ الله تعالى به ذكرا.

١٠٣/أ وذهب جماعة إلى أنّ الترتيب/ سنّة، وقالوا: الواوات المذكورة في الآية للجمع لا للترتيب كما قال الله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية (سورة التوبة، ٦٠)، واتفقوا على أنه لا تجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات إلى أهل السهمان، ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ أنه راعى الترتيب بين أهل السهمان، وفي الوضوء لم ينقل أنه توضأ إلا مرتباً كما ذكر الله تعالى، وبيان الكتاب يُؤخذ من السنة كما قال الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» (سورة الحج، ٧٧)، لمَا قدم ذكر الركوع على السجود، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه فعل إلّا كذلك

(١) أخرجه البخاري في اللباس، باب لبس جبة الصوف في الغزو: ١٠/٢٦٨-٢٦٩، ومسلم في الطهارة، باب المسح على الخفين، برقم (٢٧٤): ١/٢٣٠. والمصنف في شرح السنة: ١/٤٥٥.

(٢) أخرجة مسلم في الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (١٢١٨): ٢/٨٨٦-٨٨٨، وهو قطعة من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ «أبدأ بما بدأ...»، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٣٦.

فكان مراعاة الترتيب فيه واجبة، كذلك الترتيب هنا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كنتم جنباً فاطّهرُوا﴾، أي: اغتسلوا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصبُّ على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله»(١).

قوله تعالى: ﴿وإنْ كنتُم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكمْ منَ الغائطِ أوْ لَامستُمُ النِّساءَ فلمْ تَجِدُوا ماءً فتيمّمُوا صعيداً طيباً فامْسَحُوا بوجوهِكم وأيدِيْكُمْ منه﴾، فيه دليلٌ على أنّه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب، ﴿ما يُريدُ الله ليجعلَ عليكم﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿مِنْ حَرجٍ﴾، ضيق، ﴿ولكنْ يُريدُ لِيُطهركم﴾، من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عليكمْ لعلّكمْ تشكُرُون﴾. قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى: «ليغفرَ لكَ الله ما تقدّمَ منْ ذنبكَ وما تأخر» (سورة الفتح، ٢)، فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه.

أخبرنا أبو الحسن عبدالوهاب بن محمد الكسائي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران: أنّ عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من توضّأ وضوئي هذا خرجتْ خطاياه من وجهه ويديه ورجليه»(٢).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان: أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد يوماً فجاءه المؤذّن فآذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ، ثم قال: والله لأحدثنّكم حديثاً لولا

(١) أخرجه البخاري في الغسل، باب الوضوء قبل الغسل: ١/٣٦٠، ومسلم في الحيض، باب صفة غسل الجنابة، برقم (٣١٦): ١/٢٥٣-٢٥٤، والمصنف في شرح السنة: ٢/١٠.

(٢) أخرجة بهذا اللفظ الشافعي في المسند: ١/٣١ (ترتيب المسند)، وأخرجه البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا: ١/٢٥٩ بلفظ «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه ـ غفر له ما تقدم من ذنبه» ومسلم في الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، برقم (٢٤٥): ١/٢١٦ بلفظ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١/٣٢٤.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩﴾

آية في كتاب الله ما حدثتكموه، ثم قال إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئٍ [مسلم][1] يتوضأ فيُحسن وضوءه ثم يُصلي الصلاةَ إلاّ غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها» قال مالك: أراه يريد هذه الآية ﴿أقمِ الصلاة لذكري﴾[2]، ورواه ابن شهاب[3]، وقال عروة: الآية «إنّ الذين يكتمُون ما أنزلنا من البينات» (سورة البقرة، ١٥٩).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المُجْمِر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد، فتوضأ قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ أمتي يُدعون يومَ القيامة غُراً محجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يُطيل منكم غُرتَه فليفعل»[4].

قوله تعالى: ﴿**واذكرُوا نعمةَ الله عليكم**﴾، يعني: النّعم كلها، ﴿**وميثاقَهُ الذي واثَقَكُم به**﴾، عهده الذي عاهدكم به أيّها المؤمنون، ﴿**إذْ قلتُمْ سمعنا وأطعنا**﴾ وذلك حين بايعوا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل: يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿**واتَّقُوا الله إنّ الله عليمٌ بذاتِ الصُّدُور**﴾، بما في القلوب من خير وشر.

---

(١) ليست في «ب».

(٢) أخرجة مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء: ١/ ٣٠-٣١.

(٣) أخرجة البخاري في الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا: ١/ ٢٠٦، والمصنف في شرح السنة: ١/ ٣٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء: ١/ ٢٣٥، ومسلم في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم (٢٤٦): ١/ ٢١٦، والمصنف في شرح السنة: ١/ ٤٢٥.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شُهداءَ بالقِسْطِ﴾، أي: كونوا قائمين بالعدل [قوّالين][1] بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في أفعالهم وأقوالهم، ﴿ولا يَجرِمَنَّكم﴾، يحملنّكم، ﴿شَنَآنُ قومٍ﴾، بغضُ قوم، ﴿على أنْ لا تَعْدِلُوا﴾، أي: على ترك العدل فيهم لعداوتهم. ثم قال: ﴿اعْدِلُوا﴾، يعني: في أوليائكم وأعدائكم، ﴿هو أقربُ للتَّقوى﴾، يعني: إلى التقوى، ﴿واتَّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾.

﴿وَعَدَ الله الذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ لهم مغفرةٌ وأجْرٌ عظيم﴾، وهذا في موضع النصب، لأن فعل الوعد واقع على المغفرة، ورفعها على تقدير أي: وقال لهم مغفرة وأجر عظيم.

﴿والذين كفروا وكذبُوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنُوا اذكرُوا نعمتَ الله عليكم﴾، بالدفع عنكم، ﴿إذْ هَمّ قومٌ أن يبسطُوا إليكم أيديَهم﴾ بالقتل.

قال قتادة: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطنِ نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك، وأنزل الله صلاة الخوف[2].

وقال الحسن: كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل، فقال رجل من المشركين: هل لكم في أن أقتل محمداً؟ قالوا: وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قالوا: وددنا أنك قد فعلت ذلك، فأتى النبيَّ ﷺ والنبيُّ ﷺ متقلد سيفه، فقال: يا محمد أرني سيفك فأعطاه إيّاه فجعل الرجل يهزّ السيف وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: الله، فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف ومضى، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

(١) في «ب»: (قائلين).
(٢) أخرجة الطبري عن قتادة: ١٤٦/٦ (طبعة الحلبي)، وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد، انظر: الدر المنثور: ٣٨/٣.
(٣) انظر: الطبري: ١٤٦/٦، أسباب النزول للواحدي ص(٢٢٣-٢٢٤). سيرة ابن هشام: ٢٠٥/٣-٢٠٦، الدر المنثور: ٣٦/٣.

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله: بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة، فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر، فاقتتلوا، فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، أحدهم عمرو بن أمية الضمري، فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء، يسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع [رأسه][1] إلى السماء وفتح عينيه وقال: الله أكبر الجنة وربِّ العالمين، فرجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية، فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلسْ حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته/، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره، فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال: لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي رضي الله عنه حتى تناهوا إليه ثم تبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: ﴿**فكفَّ أيديَهم عنكم واتقُوا الله وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون**﴾[2].

١٠٣/ب

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاقَ بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشرَ نقيباً**﴾، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة، وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان، وقال: ياموسى إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً

(١) في «ب»: (طرفه).
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٦ (طبع الحلبي)، أسباب النزول للواحدي ص(٢٢٤-٢٢٥)، الدر المنثور للسيوطي: ٣٧/٣-٣٨، سيرة ابن هشام: ٥٦٣/٢.

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أُمروا به، فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله. ويُروى أن الماء طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى عليه السلام، وذلك أنه جاء [وقلع][1] صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام، وكان فرسخاً في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقوّر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته، فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله، وكانت أمه [عنق][2] إحدى بنات آدم وكان مجلسها [جريباً][3] من الأرض، فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة من حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا بلْ خلِّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك[4].

---

(١) في «أ»: (وقوّر).

(٢، ٣) زيادة من «ب».

(٤) ذكر قصة عوج بن عنق هذه: الإمام الطبري في التفسير: ٦/١٧٤ـ١٧٥ (طبع الحلبي)، والسيوطي في الدر المنثور: ٣/٤٨ـ٤٩ وغيرهما من المفسرين. وهي من الروايات الإسرائيلية والخرافات التي دسّها أعداء الإسلام وروّجوا لها. وقد نقلها الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الطبري وقال: «وفي هذا الإسناد نظر» ثم نقل رواية ابن أبي حاتم وقال: «وهذا شيء يُسْتحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن». ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا وأنه ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبتيه. وهذا كذب وافتراء. فإن الله تعالى ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: «ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارًا» وقال تعالى: =

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

ورُوي أنه جعلهم في كُمِّه وأتى بهم إلى الملك فطرحهم [1] بين يديه، فقال الملك: ارجعوا فأخبروهم بما رأيتم، وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبها خمسة أنفس، فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم، وقال بعضهم لبعض يا قوم: إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك، ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد

= «فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين»، وقال تعالى: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم»، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم». تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٩ طبعة دار الفكر، ١٤٠٠هـ.

وذكر ابن قيّم الجوزية رحمه الله هذه الرواية مثالا لما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، ثم قال: «وليس العجب من جرأة هذا الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره، وهذا عندهم ليس من ذرية نوح، وقد قال الله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين»، فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض من ذرية نوح، فلو كان لعوج ـ هذا ـ وجود لم يبق بعد نوح... وأيضا فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وسمكها كذلك، وإذا كانت الشمس في السماء الرابعة، فبيننا وبينها هذه المسافة العظيمة، فكيف يصل إليها طول ثلاثة آلاف ذراع، حتى يشوي في عينها الحوت؟

ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأتباعهم». نقد المنقول أو: المنار المنيف لابن القيم ص(٤٤-٤٥) وانظر: روح المعاني للآلوسي: ٦/ ٨٦-٨٧، الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص(١٨٨)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبة، ص(٢٥٩-٢٦٢). البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٧٨.

(١) ساق من «ب».

منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى: إلّا رجلان فذلك قوله تعالى: «ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا».

﴿وقال الله إنّي معكم﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾، يا معشر بني إسرائيل، ﴿وآتيتُمُ الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾، نصرتموهم، وقيل: ووقرتموهم وعظمتموهم؛ ﴿وأقرضتُمُ الله قرضاً حسناً﴾، قيل: هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل، ﴿لأكفرنّ عنكم سيآتِكم﴾، لأمحونّ عنكم سيئاتكم، ﴿ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواءَ السبيل﴾، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق [الحق][(١)]، وسواء كل شيء: وسطه.

﴿فبما نقضهم﴾ أي: فبنقضهم، و«ما» صلة، ﴿ميثاقهم﴾، قال قتادة: نقضوه من وجوه لأنهم كذّبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيّعوا فرائضه، ﴿لعناهم﴾، قال [عطاء][(٢)]: أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن ومقاتل: عذبناهم بالمسخ، ﴿وجعلنا قلوبَهم قاسيةً﴾، قرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكية والذكية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قاسية أي يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسيةِ وهي الردية المغشوشة.

﴿يُحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه﴾، قيل: هو تبديلهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء التأويل، ﴿ونَسُوا حظاً ممّا ذُكِّرُوا به﴾، أي: وتركوا نصيبَ أنفسهم مما أُمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿ولا تزال﴾، [يا محمد][(٣)]، ﴿تطّلع على خائنةٍ منهم﴾، أي: على خيانة، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاّغية، وقيل: هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل [روّاية][(٤)] ونسابة وعلاّمة وحسّابة، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على خائنة أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمّهم بقتله وسمّه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت، ﴿إلا قليلاً منهم﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فاعفُ عنهم واصفح﴾، أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم، ﴿إنّ

(١) في «ب»: (الجنة).
(٢) في «ب»: (قتادة).
(٣) ساقط من «ب».
(٤) في «ب»: (راوية).

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

الله يحبُّ المحسنين﴾، وهذا منسوخ بآية السيف(١).

قوله عزّ وجلّ: **﴿ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾**، قيل: أراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة، **﴿فَنَسُوا حظاً ممّا ذُكِّروا به فأغرينا بينهُمُ العداوةَ والبغضاءَ إلى يوم القيامة﴾**، بالأهواء المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة: يعني بين اليهود والنصارى، وقال قوم: هم النصارى وحدهم صاروا فرقاً منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكل فرقة تكفّر الأخرى، **﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾** في الآخرة.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا أهلَ الكتاب﴾**، يريد: يا أهل الكتابين، **﴿قد جاءكم رسولُنا يبيّن لكم كثيراً**

---

(١) نقل هذا عن قتادة: الطبري في التفسير: ١٠/١٣٥. ثم رد القول بالنسخ بكلام نفيس قال فيه: «والذي قاله قتادة غير مدفوع إمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافيا كل معاني خلافه، الذي كان قبله.

فأما ما كان غير ناف جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جلّ وعزّ، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس في قوله «وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذي أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (التوبة) دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود، وإذا كان ذلك كذلك ـ وكان جائزا مع إقرارهم =

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

ممّا كنتم تخفون من الكتاب﴾، أي: من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، ﴿ويعفو عن كثير﴾، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿قد جاءكم من الله نور﴾، يعني: محمداً ﷺ، وقيل: الإسلام، ﴿وكتابٌ مبين﴾، أي: بيّن، وقيل: مبين وهو القرآن.

﴿يهدي به الله من اتّبع رضوانه﴾، رضاه، ﴿سُبلَ السلام﴾، قيل: السلام هو الله عزّ وجلّ، وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة، ﴿ويخرجُهم منَ الظلماتِ إلى النّور﴾، أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿بإذنه﴾، بتوفيقه وهدايته، ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾، /وهو الإسلام. ١٠٤/أ

قوله عزّ وجلّ: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيحُ ابنُ مريم﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قلْ فمنْ يملك من الله شيئاً﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً إذا قضاه؟ ﴿إنْ أراد أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَنْ في الأرض جميعاً ولله مُلكُ السمواتِ والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كلِّ شيءٍ قدير﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وقالتِ اليهودُ والنصارى نحن أبناءُ الله وأحبَّاؤه﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوارة يا أبناء أحباري، فبدلوا يا أبناء أبكاري، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء رسل الله.

= بالصغار وأدائهم الجزية بعد القتال، الأمر بالعفو عنهم في غدرة هموا بها، أو نكثة عزموا عليها، ما لم يصيبوا حربا دون أداء الجزية، ويمتنعوا من الأحكام اللازمة منهم ـ لم يكن واجبا أن يحكم لقوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...» الآية، بأنه ناسخ قوله: «فاعف عنهم واصفح، إن الله يحب المحسنين».

وقال الزركشي، رحمه الله، في كتابه «البرهان في علوم القرآن»: «ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف من أنها منسوخة بآية السيف قول ضعيف، فهو من المُنْسأ ـ بضم الميم ـ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، ليس بنسخ، إنما النسخ: الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبدا... فليس حكم المسايفة ناسخا لحكم المسالمة، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته». انظر: البرهان للزركشي: ٢/٤٣-٤٤، علوم القرآن للدكتور عدنان محمد زرزور ص(٢١٠-٢١٢).

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿**قل فَلِمَ يعذِّبُكم بذنوبكم**﴾، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلم يعذبكم أي: لِمَ عذّب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير؟ ﴿**بل أنتم بشرٌ ممن خلق**﴾، كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿**يغفر لمن يشاء**﴾ فضلاً، ﴿**ويعذب من يشاء**﴾، عدلاً، ﴿**ولله مُلكُ السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أهلَ الكتاب قدْ جاءَكُمْ رَسُولُنَا**﴾، محمد ﷺ، ﴿**يُبيّنُ لكم**﴾ أعلام الهدى وشرائعَ الدين، ﴿**على فترةٍ منَ الرُّسلِ**﴾ أي انقطاع من الرسل.

واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي: خمسمائة وأربعون سنة[1]، وسُميتْ فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ. ﴿**أنْ تقولُوا**﴾، كيلا تقولوا، ﴿**ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير فقدْ جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كلِّ شيءٍ قدير**﴾.

(١) قال الحافظ ابن كثير، رحمه الله في التفسير: ٢/٣٦ بعد أن ذكر نحوا مما قاله البغوي: «. . وقال الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام، عن الشعبي، أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة.
والمشهور: هو القول الأول، وهو أنها ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما؛ فإن القائل الأول أراد: ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين. ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف: «ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا» أي: قمرية، لتكميل ثلاثمائة الشمسية، التي كانت معلومة لأهل الكتاب. وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخاري». أي إن زمن الفترة وهي المدة الزمنية التي لم يبعث فيها رسول، هي ما بين عيسى وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ قال موسى لقومه يا قومِ اذْكرُوا نعمةَ الله عليكم إذْ جعل فيكم أنبياء﴾، [أي: منكم أنبياء][(١)] ﴿وجعلكم ملوكـاً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدم وحشم، قال قتـادة: كانـوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم. ورُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً»[(٢)].

وقال أبو عبدالرحمن الحُبُلِيّ: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنّ لي خادماً، قال: فأنت من الملوك[(٣)].

قال السـدي: وجعلكم ملوكـاً أحـراراً تملكـون أمـر أنفسكم بعـدمـا كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم، قال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جارٍ فهو ملك ﴿وآتاكم ما لم يُؤتِ أحداً من العالمين﴾، يعني عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المنّ والسّلوى والحَجَر وتظليل الغمام.

قولـه تعـالى: ﴿يا قومِ ادْخلُوا الأرض المقدسة التي كتبَ الله لكم﴾، اختلفوا في الأرض المَقـدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام

(١) ساقط من «ب».
(٢) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، (الدر المنثور: ٣/٤٦)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير: ٢/٣٨ وقال: حديث غريب من هذا الوجه.
والحديث فيه: ابن لهيعة: صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه، ودراج بن أبي السمح: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف. (التقريب).
(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٩): ٤/٢٢٨٥.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾

كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه [وبها أكثر][1] عباده.

قوله عزّ وجلّ ﴿كتب الله لكم﴾ يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم، وقال ابن إسحاق: وهبَ الله لكم، وقيل: جعلها لكم، وقال السدي: أمركم الله بدخولها، [وقال قتادة][2]: أُمروا بها كما أُمروا بالصلاة، أي: فَرَضَ عليكم. ﴿ولا ترتدّوا على أدبارِكم﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فتنقلبُوا خاسِرين﴾، قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدّس وهو ميراث لذريتك.

﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لمّا رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكتمُوا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفشلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وفّيا بما قال لهما موسى، أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى، والآخر كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران، وكان من سبط يهود وهما من النقباء فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا في أرض مصر، وليْتَنَا نموتُ في هذه [البرية][3] ولا يُدْخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمةً لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأسا وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم ﴿قالوا ياموسى إنّ فيها قوماً جبارين وإنّا لنْ ندخلها حتى يخرجُوا منها فإن يخرجُوا منها فإنا داخلون﴾، أصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يُقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسُمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهمُّوا بالانصراف إلى مصر خرَّ موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله تعالى:

﴿قالَ رجلانِ منَ الذينَ يخافُون﴾، أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير «يخافون»

---

(١) في «ب»: (وبها كنزه من عباده).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (التربة).

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا
هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالتوفيق والعصمة قالا: ﴿ادْخُلوا عليهمُ الباب﴾، يعني: قرية الجبارين، ﴿فإذا دخلتموه فإنّكم غالبُون﴾، لأن الله تعالى منجز وعده، وإنا رأيناهم وأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿وعلى الله فتوكّلُوا إنْ كنتمْ مؤمنين﴾، فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما.

﴿قالوا يا موسى إنا لنْ ندخلَها أبداً ما داموا فيها فاذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لانقول كما قال قوم موسى عليه السلام: «اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا»، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك، فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرق وجهُه وسرَّه ما قال[1]. فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهمِّهم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم:

﴿قال ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ [قيل: معناه وأخي / لا يملك إلا نفسه، وقيل: معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي][2] ﴿فـافْـرُقْ﴾، فافصل، ﴿بيننا﴾، قيل: فاقض بيننا، ﴿وبينَ القومِ الفاسقين﴾، العاصين. ١٠٤/ب

﴿قال﴾، الله تعالى ﴿فإنّها محرمةٌ عليهم﴾، قيل: هاهنا تم الكلام معناه تلك البلدة محرمة

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى «إذ تستغيثون ربكم...» ٧/٢٨٧.
(٢) ساقط من «ب».

عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريمَ منعٍ، فأوحى الله تعالى إلى موسى: [بي حلفت][1] لأُحرِّمنَّ عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيهنّهم في هذه البرية ﴿**أربعين سنة**﴾، [يتيهون][2] مكان كل يوم من الأيام التي تحبسون فيها سنة، ولألقين جيفهم في هذه القفار، وأمّا بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها، فذلك قوله تعالى: ﴿**فإنها محرمة عليهم أربعين سنة**﴾، ﴿**يتيهـون**﴾، يتحيرون، ﴿**في الأرض فلا تأسَ على القومِ الفاسقين**﴾، أي: لا تحزن على مثل هؤلاء القوم، فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل، وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه.

وقيل: إن موسى وهارون عليهما السلام لم يكونا فيهم، والأصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة إنما كانت العقوبة لأولئك القوم، ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحاء أحد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبداً فلما هلكوا وانقضت الأربعون سنة، ونشأت النواشىء من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين.

واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح، فقال قوم: إنما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى عليه السلام إليهم فيمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها يوشع فقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ماشاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى إليه، ولا يعلم قبره أحد، وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام.

وقال الآخرون: إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام، [وقالوا: مات موسى][3] وهارون جميعاً في التيه.

(١) زيادة من: «ب».
(٢) ساقط من «ب».
(٣) ساقط من «ب».

﴿فصل في ذكر وفاة هارون﴾

قال السدي: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى أني متوفي هارون فأْتِ به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه، فقال: ياموسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال: فنم عليه، فقال: إني أخاف أن يأتي ربُّ هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا ترهب إني أكفيك أمر ربّ هذا البيت فنم، قال: ياموسى نمْ أنت معي فإن جاء ربُّ البيت غضب عليّ وعليك جميعاً فلما ناما أخذ هارون الموت فلماوجد منيته قال: ياموسى خدعتني، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له، فقال موسى عليه السلام: ويحكم كان أخي فكيف أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون [وبقي موسى][1]، فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته فآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله تعالى ممّا قالوا، ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم وأبكم.

وقال عمر بن ميمون: مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه، وكانا قد خرجا إلى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: قتلتَه لحبنا إيّاه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتضرع موسى عليه السلام إلى ربه عزّ وجلّ فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعثه، فانطلق بهم إلى قبره [فناداه موسى][2] فخرج من قبره ينفض رأسه، فقال: أنا قتلتُك؟ قال: لا ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا.

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب»: (فنادى: ياهارون).

وأمّا وفاة موسى عليه السلام، قال ابن إسحاق: كان موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت، فنبّأ يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه، قال: فيقول له موسى عليه السلام يانبي الله ما أحدث الله إليك؟ [فيقول له يوشع: يانبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنت أسألك شيئاً مما أحدث الله إليك][1] حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره؟ ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبّه قال: أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياةَ تريد؟ فإن كنتَ تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارتْ يدُك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، ربِّ أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر»[2].

وقال وهب: خرج موسى لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: ياملائكة الله لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، فقال: إن هذا العبدَ من الله لهو بمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعاً قط، فقالت الملائكة: ياصفي الله تحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك، قال: فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه، ثم سوّت عليه الملائكة.

وقيل: إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه.

وكان عُمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون سنة بعث

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة: ٣/٢٠٦، وفي الأنبياء، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، برقم (٢٣٧٣): ٤/١٨٤٣، واللفظ له. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٥/٢٦٥.

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾

الله يوشع نبياً فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة، ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها، فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم أردِدِ الشمسَ عليّ وقال للشمس: إنك في طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض
الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها/ وجمع الغنائم، فلم تنزل النار، ١٠٥/١
فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلولاً فمرْهم فليبايعوا فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال: هلمّ ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر كان قد غلّه، فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، ثم مات يوشع ودفن في جبل أفرائيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة.

قوله تعالى: ﴿واتْلُ عليهمْ نبأ ابني آدم بالحق﴾، وهما هابيل وقابيل[1]، ويقال له قابين، ﴿إذْ قرّبا قُرْباناً﴾، وكان سبب قربانهما على ما ذكره أهل العلم أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجاريةً، وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليما، وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته أمة المغيث، ثم بارك الله عزّ وجلّ في نسل آدم عليه السلام، قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً.

واختلفوا في مولد قابيل وهابيل، فقال بعضهم: غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته أقليما في بطن واحد، ثم ولدت هابيل وتوأمته لبودا في بطن.

(١) هذه التسمية لابني آدم: «قابيل، هابيل» إنما هي من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد بها نص في القرآن، ولا جاءت في سنة ثابتة، فيما نعلم، فلا علينا أن لا نجزم بها ولا نرجحها، وإنما هي قول قيل. انظر: عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر: ١٢٣/٤.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت فيها بقابيل وتوأمته أقليما، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً حتى ولدتهما، ولم تر معهما دماً فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم، وكان آدمُ إذا شبَّ أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى، فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم، فلما ولد قابيل وتوأمته أقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا، وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركوا، أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال: هي أختي أنا أحق بها، ونحن من [ولادة][1] الجنة وهما من [ولادة][1] الأرض، فقال له أبوه: إنها لا تحلّ لك فأبى أن يقبل ذلك، وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قرباناً فأيكما يُقبل قربانه فهو أحق بها، وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع، فخرجا ليقربا [قرباناً][2] وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا، لا يتزوج أختي أبداً، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عزّ وجلّ فوضعا قربانهما أعلى الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل[3]، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**فتُقبل من أحدهما**﴾، [يعني هابيل][4] ﴿**ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر**﴾، يعني: قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لردّ قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أنْ أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو في غنمه، ﴿**قال لأقتلنّك**﴾ قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الله تعالى قبل قربانك وردّ قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة، فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿**قال**﴾، هابيل: وما ذنبي؟ ﴿**إنما يتقبّل الله منَ المتقين**﴾.

---

(١) في «ب»: (أولاد).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرج هذه القصة: الطبري في التفسير: ١٨٨/٦، (طبع الحلبي) وساق ابن كثير عدة روايات في ذلك تتفق في المعنى: ٤٢/٢-٤٤. وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في عمدة التفسير: ١٢٤/٤ «هذا من قصص أهل الكتاب، ليس له أصل صحيح - ثم قد ساق الحافظ ابن كثير آثارا في هذا المعنى، مما امتلأت به كتب المفسرين» وعلق على رواية الطبري التي نقلها ابن كثير فقال: وهو خبر - كما ترى - ليس من السنة النبوية - بل ظاهره يدل على أنه مما أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

(٤) ساقط من «ب».

لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ
جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿**لئنْ بسطت**﴾، أي: مددت، ﴿**إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يديَ إليك لأقتلك إني أخافُ الله ربَّ العالمين**﴾، قال عبدالله بن عمر: وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في شرع آدم جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه، قال مجاهد: كتب عليهم في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

﴿**إنّي أريد أن تبوء**﴾، ترجع، وقيل: تحتمل، ﴿**بإثمي وإثمك**﴾، أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك.

فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل ليس ذلك بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وَطَّنَ نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة، لأنها موافقة لحكم الله عزّ وجلّ، فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿**فتكونَ من أصحاب النار وذلك جزاءُ الظالمين**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فطوّعتْ له نفسُه**﴾، أي: طاوعته وشايعته وعاونته، ﴿**قتلَ أخيه**﴾، أي في قتل أخيه، [وقال مجاهد: فشجعته، وقال قتادة: فزينتْ له نفسُه، وقال يمان: سهلت له نفسه ذلك، أي: جعلته سهلاً][1] تقديره: صوّرت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله فلما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله، قال ابن جريج: فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر إليه فعلّمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين

(١) ساقط من «ب».

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

حجرين[1]، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾، وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة.

واختلفوا في موضع قتله [قيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فَاسْوَدَّ جسم القاتل وسأله آدم عليه السلام عن أخيه فقال لم أكن عليه وكيلاً فقال: بل قتلته ولذلك اسودَّ جسدك، مكث آدم مائة سنة لم يضحك قط منذ قتله][2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: على جبل [ثور][3] وقيل عند عقبة حراء، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، وقصدته السباع، فحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً، وقال ابن عباس: سنةً، حتى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى: / ١٠٥/

﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يُواري سوءةَ أخيه﴾، فلما رأى قابيل ذلك قال ياويلتا كلمة تحسر فقيل لما رأى الدفن من الغراب أنه أكبر علماً منه وأنَّ ما فعله كان جهلاً فندم وتحسر ﴿قال ياويلتى أعَجَزْتُ أنْ أكونَ مثل هذا الغرابِ فأُواري سوأةَ أخي﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه كان قد سلب ثيابه، ﴿فأصبحَ منَ النّادمين﴾، على حمله على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

قال عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه الله أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه

---

(١) انظر: الطبري: ١٩٥/٦ (طبع الحلبي)، تفسير ابن كثير: ٤٦/٢.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: (فود).

رقيباً، فقال الله تعالى: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنتُ قتلتُه؟ فحرّم الله عزّ وجلّ على الأرض يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً.

وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، وأمَرَّ الماء واغبرت الأرض؛ فقال آدم عليه السلام: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تَغَيَّرتِ البلادُ ومَنْ عليها * فَوَجْهُ الأرض مُغْبَرٌ قَبيح
تغيَّر كلُّ ذي لونٍ وطعم * وقلَّ بشاشةُ الوجهِ الصَّبيح

وروي: المليح.

ورُوي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال إن آدم عليه السلام قال شعراً فقد كذب، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مرثيته قال لشيث: يابني إنك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرقّ الناس عليه، لم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فردّ المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم، فوزنه شعراً وزاد فيه أبيات منها:

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة عليّ غماً * فهل أنا من حياتي مستريح

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثاً، وتفسيره: هبة الله، يعني إنه خلف من هابيل علّمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعلّمه عبادة الخلق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده، وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مرعوباً لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس فقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصبْ أنت ناراً أيضاً تكون لك ولعقبك، فبنى بيتاً للنار فهو أول من عبد النار، وكان لا يمرّ به أحد إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال ابنه: هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلتَ أباك؟ فرفع يده فلطم ابنه، فمات فقال الأعمى: ويلٌ لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

وقال مجاهد: فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس ما دارت عليه، في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج.

قال: واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرَّقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام، وبقي نسل شيث.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها لأنه أوّل من سنّ القتل»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**من أجل ذلك**﴾، قرأ أبو جعفر من أجل بكسر النون موصولاً وقراءة العامة بجزم النون، أي: من جراء ذلك القاتل وجنايته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذا، ﴿**كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفس**﴾، قتلها فيقاد منه، ﴿**أو فسادٍ في الأرض**﴾، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿**فكأنّما قتلَ النّاسَ جميعاً**﴾، اختلفوا في تأويلها، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناسَ جميعاً، ومن شدَّ على عضبة نبيٍّ أو إمام عدل فكأنما أحيا الناسَ جميعاً.

قال مجاهد: من قتل نفساً محرّمة يَصْلَى النار بقتلها، كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً «ومن أحياها» من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً.

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم، صلوات الله عليه، وذريته: ٣٦٤/٦، وفي الديات، وفي الاعتصام. وأخرجه مسلم في القسامة، باب بيان إثم من سنَّ القتل، برقم (١٦٧٧) ١٣٠٣/٣-١٣٠٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٤/١.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

قال قتادة: عظم الله أجرها وعظّم وزرها، معناه من استحل قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، ﴿ومَنْ أحياها﴾، وتورّع عن قتلها، ﴿فكأنما أحيا النّاس جميعاً﴾ [في الثواب لسلامتهم منه. قال الحسن: فكأنما قتل الناسَ جميعاً][1]، يعني: أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناسَ جميعاً، ومن أحياها: أي عُفِي عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي قلت للحسن: ياأبا سعيد: هِيَ لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إيْ والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، ﴿ولقدْ جاءتْهُم رُسلنا بالبينات ثم إنّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾.

﴿إنّما جزاءُ الذين يُحاربُون الله ورسولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأرض فساداً﴾، الآية. قال الضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض[2].

وقال الكلبي: نزلت في قوم هلال بن عويمر، وذلك أن النبي ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن مرّ بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج، فمرّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر، ولم يكن هلال شاهـداً [فشـدوا][3] عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم، وقال سعيد بن جبير: نزلت في ناس من عُرَيْنَةَ وعُكْلٍ أتوا النبي ﷺ وبايعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فارتدوا وقتلوا الراعي / واستاقوا الإبل. ١٠٦/١

(١) زيادة من «ب».
(٢) أخرجه الطبري عن ابن عباس قال: كان من أهل الكتاب بينهم وبين النبي عهد. . .، وأخرجه عن الضحاك قال: كان قوم بينهم وبين رسول الله ميثاق ـ ولم يذكر أنهم من أهل الكتاب. تفسير الطبري: ٢٠٦/٦ (طبع الحلبي) وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد: الدر المنثور: ٦٩/٣.
(٣) في «ب»: (فهدوا إليهم).

[أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبدالله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي](1) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عُكْل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم [النبي ﷺ](2) أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَلَ أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا.

ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا، قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسولَه وسعوا في الأرض فساداً(3) [وهو المراد من قوله تعالى: «ويسعون في الأرض فساداً](4).

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنيين، فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز، وقال بعضهم: حكمه ثابت إلا السمل [والمثلة](5)، وروى قتادة عن ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن [ينزل الحدّ](6) وقال أبو الزناد: فلما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد.

وعن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة(7). وقال سليمان التيمي عن أنس: إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة. وقال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم، وقال: إنما جزاؤهم هذا لَا المثلة، ولذلك ما قام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة.

واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد، فقال قوم: هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح، والمكابرون في الأمصار، وهو قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله.

---

(١) سقط الإسناد من هذا الموضع إلى نهاية ورقة (١٠٦)ا من نسخة الظاهرية.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب قصة عكل وعرينة: ٤٥٨/٧، وفي الحدود، ومسلم في القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين، برقم (١٦٧١): ١٢٩٦/٣-١٢٩٧. والمصنف في شرح السنة: ٢٥٦/١٠-٢٥٧.
(٤) ساقط من «ب».
(٥) ساقط من «ب».
(٦) في «ب»: (تنزل الحدود).
(٧) انظر: البخاري، كتاب المغازي: ٤٥٨/٧.

وقال قوم: المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذه الحدود وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: **﴿أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض﴾**، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب، [والنفي][1] كما هو ظاهر الآية، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد.

وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير، [لِما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة][2] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نُفُوا من الأرض[3].

وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى.

[وإذا قتل قاطع الطريق يُقتل][4] حتماً حتى لا يسقط بعفو ولي الدم، وإذا أخذ من المال نصاباً وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وإذا قتل وأخذ المال يُقتل ويُصلب.

واختلفوا في كيفيته: فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب [حياً][5] وقيل: يصلب حياً ثم يطعن حتى يموت مصلوباً، وهو قول الليث بن سعد، وقيل: يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل، وإذا أخاف السبيل ينفى.

واختلفوا في النفي: فذهب قوم إلى أن الإمام يطلبه ففي كل بلدة يوجد ينفى عنه، وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبدالعزيز، وقيل: يطلب لتقام الحدود عليه، وهو قول ابن عباس والليث بن

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الشافعي في المسند: ٨٦/٢ (ترتيب المسند) وفي سنده: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، متروك. (التقريب). وصالح مولى التوأمة، وهو صالح بن نبهان صدوق اختلط بآخرة (تقريب).
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٦١/١٠.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) زيادة من «ب».

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

سعد، وبه قال الشافعي، وقال أهل الكوفة: النفي هو الحبس، وهو نفي من الأرض، وقال محمد بن جرير: ينفى من بلده إلى غيره ويحبس في السجن [في البلد الذي نُفي إليه حتى تظهر توبته. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجون][1]، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم، ﴿ذلك﴾، الذي ذكرت من الحدّ، ﴿لهم خزيٌ﴾ عذاب وهوان وفضيحة، ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾.

﴿إلّا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن [تاب][2] منهم قبل القدرة عليهم وهو قبل أن يظفر به الإمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل، ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه [القطع][3]، وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب، ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: إذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لا يكون لأحد عليه تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه.

وروي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال، ثم جاء تائباً قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة [في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيرد إلى صاحبه][4]، أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها.

وقيل: كل عقوبة تجب حقاً لله عزّ وجلّ من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحدّ الزّنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال، والأكثرون على أنها لا تسقط.

---

(١) ساقط من «ب»: (مات).

(٢) في «ب»: مات.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب»، وانظر: الطبري: ٢٢١/٦، الدر المنثور: ٧٠/٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا﴾، اطلبوا، ﴿إليه الوسيلة﴾، أي: القربة، فعيلة مِنْ توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب إليه وجمعها وسائل، ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تُفلحون﴾ [تلخيصه: امتثلوا أمر الله تنجوا][1].

﴿إن الذين كفرُوا لَوْ أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لِيَفْتَدُوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّلَ منهم﴾، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾.

﴿يُريدُونَ أن يخرجُوا من النار وما همْ بخارجين منها﴾، فيه وجهان، أحدهما: أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله تعالى: «كلما أرادوا أن يخرجوا منها» (الحج ـ ٢٢) والثاني: أنهم يتمنـون ذلـك بقلوبهم، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم: «ربنا أَخْرِجْنا منها» (المئومنون ـ ١٠٧) ﴿ولهم عذابٌ مقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما﴾، أراد به أيمانهما، وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وحكمه أن من سرق [نصاباً][2] من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ، ولا يجب القطع في سرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم، حكي عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل، وعامة العلماء على خلافه.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) زيادة من «ب».

واختلفوا في القدر الذي يقطع به: فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينارٍ، فإن سرق ربع دينار أو متاعاً قيمته ربع دينار يقطع، وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال عمر بن عبدالعزيز والأوزاعي والشافعي رحمهم الله، لِما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكِسائي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «القطع في ربع دينار فصاعداً»(١).

أخبرنا أبو الحسن الشيرزي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن [ثمنه](٢) ثلاثة دراهم(٣).

ورُوي عن عثمان أنه قطع سارقاً في أُتْرُجَّة قوّمت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار. وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم.

وذهب قوم إلى أنه لا تقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم، يُروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال قوم لا يقطع إلا في خمسة دراهم يُروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلى، أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أخبرني أبي أنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»(٤)، وقال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل. يرون أن منها ما يساوي دراهم.

ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل، وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش](٥)، / لحديث عائشة رضي الله عنها «وإذا سرق شيئاً من غير حرز كثمر في حائط لا ١٠٦/ب

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ٢/٨٣ والبخاري في الحدود، باب قول الله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» وفي كم يقطع؟: ١٢/٩٦، ومسلم في الحدود، باب حد السرقة ونصابها، برقم (١٦٨٤): ٣/١٣١٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣١٢.

(٢) في «ب»: (قيمته).

(٣) أخرجه البخاري، في الموضع السابق: ١٢/٩٧، ومسلم في الموضع نفسه، برقم (١٦٨٦): ٣/١٣١٣، والمصنف في شرح السنة ١٠/٣١٣.

(٤) أخرجه البخاري في الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم: ١٢/٨١، ومسلم في الحدود في الموضع السابق برقم (١٦٨٧): ٣/١٣١٤، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣١٤.

(٥) ما بين القوسين زيادة من «ب».

حارس له أو حيوان في برية لا حافظ له، أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه».

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا قطع في ثمر مُعَلَّقٍ ولا في حَرِيْسَةِ جبل فإذا آواه المُراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن»[1].

وروي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع»[2].

وإذا سرق مالاً له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من المال المشترك شيئاً: لا قطع عليه.

وإذا سرق السارق أول مرّة تقطع يده اليمنى من الكوع، ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم.

واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً: فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرق رابعاً تقطع رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده يعزر ويحبس حتى تظهر توبته، وهو المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول قتادة، وبه قال مالك والشافعي لِما رُوي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «في السارق يسرق إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله»[3].

وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثاً بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع، بل يحبس، ورُوي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: «إني لأستحي أن لا أدع له يداً يستنجي بها ولا رجلاً

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما يجب فيه القطع: ٢/٨٣١، قال ابن عبدالبر: «لم تختلف رواة الموطأ في إرساله، ويتصل معناه من حديث عبدالله بن عمرو وغيره». ووصله النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في قطع السارق، باب الثمر المعلق يُسْرق، وباب الثمر يسرق بعد أن يؤيه الجرين؛ ٨/٨٤-٨٦، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣١٩.

(٢) أخرجه أبو داود في الحدود، باب القطع في الخلسة والخيانة: ٦/٢٢٤-٢٢٥، والترمذي في الحدود باب ما جاء في الخائن والمختلس: ٥/٨-٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في باب مالا قطع فيه: ٨/٨٩، وابن ماجه في الحدود، باب الخائن والمنتهب والمختلس: ٢/٨٦٤، والدارمي في باب ما لا يقطع من السراق: ٢/١٧٥، وصححه ابن حبان برقم (١٥٠٢، ١٥٠٣) من موارد الظمآن، قال الزيلعي في نصب الراية: ٣/٣٦٤: «سكت عنه عبدالحق في أحكامه، وابن القطان بعد، فهو صحيح عندهما» وانظر: شرح السنة: ١٠/٣٢١-٣٢٢.

(٣) أخرجه الدراقطني في السنن: ٣/١٨١، والطبراني والشافعي (مجمع الزوائد: ٦/٢٧٥، تلخيص الحبير: ٤/٦٨ وقال ابن حجر: إسناده ضعيف، وصححه الألباني بشواهده عند أبي داود والنسائي والبيهقي. انظر: إرواء الغليل: ٨/٨٦-٨٩.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩
أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ
يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ
فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ٤١﴾

يمشي بها»(1) وهو قول الشعبي والنخعي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي. قوله تعالى: **﴿جزاءً بما كسبَا﴾**، نصبٌ على الحال والقطع، ومثله: **﴿نكالاً﴾**، أي: عقوبة، **﴿من الله والله عزيزٌ حكيم﴾**.

﴿فمنْ تابَ من بعدِ ظُلمه﴾، أي: سرقته، **﴿وأصلح﴾** العمل، **﴿فإنّ الله يتوبُ عليه إنّ الله غفورٌ رحيم﴾**، هذا فيما بينه وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته، فإذا قطع حصلت التوبة. والصحيح أن القطع للجزاء على الجناية، كما قال: «جزاءً بما كسبا»، فلا بدّ من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق باقياً عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٩/٩، وذكره ابن التركماني في الجوهر النقي في الرد على البيهقي المطبوع مع السنن: ٢٧٤/٨.

قوله تعالى ﴿ألم تعلمْ أنّ الله له ملكُ السمواتِ والأرض﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل أحدٍ من الناس، ﴿يعذبُ منْ يشاء ويغفرُ لمنْ يشاء﴾، قال السدي والكلبي: يعذب من يشاء: من مات على كفره، ويغفر لمن يشاء: [الكبيرة][1]، من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء الكبيرة، ﴿والله على كلِّ شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسول لا يحزنْك الذينَ يُسارعونَ في الكفر﴾، أي: في موالاة الكفار فإنهم لن يعجزوا الله، ﴿مِنَ الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تُؤمنْ قلوبُهم﴾، وهم المنافقون، ﴿ومِنَ الذين هادُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿سمّاعُون﴾، أي: قوم سماعون، ﴿للكذب﴾، أي: قائلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله، وقيل: سماعون لأجل الكذب، أي يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، ﴿سماعون لقومٍ آخرين لم يأتُوك﴾، أي هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين، وهم أهل خيبر.

وذلك أن رجلاً وامرأةً من أشراف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين، وكان حدهما الرجم في التوراة، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فقالوا: إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب، فأرسِلوا إلى إخوانكم من بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك. فبعثوا رهطاً منهم مستخفين وقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما؟ فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث، فينا حدث فلان وفلانة قد فَجَرَا وقد أحصنا، فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه، فقالت لهم قريظة والنضير: إذاً والله يأمركم بما تكرهون.

ثم انطلق قوم، منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسَعْية بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يامحمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدُّهما في كتابك؟

فقال ﷺ: هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك

(١) ساقط من «ب».

فأبوا أن يأخذوا به.

فقال له جبريل عليه السلام: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، ووصفَه له.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل تعرفون شاباً أمرد أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، قال: فأي رجل هو فيكم؟ فقالوا: هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة.

قال: فأرسلوا إليه، ففعلوا فأتاهم، فقال له النبي ﷺ: «أنت ابن صوريا»؟ قال: نعم، قال: وأنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك يزعمون، قال: أتجعلونه بيني وبينكم؟ قالوا: نعم.

فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي ظلّل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنَّ والسلوى، وأنزل عليكم كتابه وفيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟».

قال ابن صوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعْترفت لك، ولكن كيف هي في كتابك يامحمد؟ قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم»، فقال ابن صوريا: والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله عزّ وجلّ في التوراة على موسى عليه السلام، فقال له النبي ﷺ: «فما كان أول ما ترخصتم به أمْرَ الله؟»، قال: كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنى رجل آخر من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه، فقالوا: والله لا ترجمه حتى يرجم فلان ـ لابن عم الملك ـ فقلنا: تعالوا نجتمع فلنضعْ شيئاً دون الرجم يكون على الوضيع والشريف، فوضعنا الجلدَ والتحميم، وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما، فجعلوا هذا مكان الرجم، فقالت اليهود [لابن صوريا][1]: ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنّك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك، فقال لهم: إنه قد أنشدني بالتوراه ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده، وقال: اللهم

(١) ساقط من «ب».

١٠٧/أ إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأنزل/ الله عزّ وجلّ ﴿يا أيّها الرسولُ لا يحزُنْكَ الذين يُسارعونَ في الكفر﴾[1].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضـي الله عنهم قال: إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبـدالله بن سلام: [كذبتم][2] إن فيهـا لآية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبدالله: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يامحمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فقال عبدالله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة[3].

وقيل: سبب نزول هذه الآية القصاص، وذلك أنّ بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة: يا محمد إخواننا بنو النضير وأبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً واحداً لم يقيدونا وأعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منّا وبالرجل منهم الرجلين منّا، وبالعبد الحرَّ منّا، وجراحتنا على التضعيف من جراحاتهم، فاقض بيننا وبينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

والأول أصح لأن الآية في الرجم.

قوله: ﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب﴾، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله: ﴿لقوم﴾ أي: لأجل قوم ﴿آخرين لم يأتوك﴾ وهم أهـل خيبـر، ﴿يُحـرّفون الكَلِمَ﴾، [جمع الكلمة][5]، ﴿مِنْ بَعْدِ مواضعِهِ﴾، أي: من بعد وضعه مواضعه، ذكر الكناية رداً على لفظ الكلم، ﴿يقولون إنْ أُوتيتُم هذا فخذُوه﴾، أي: [إن][6] أفتاكم

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٦، الدر المنثور: ٧٨/٣، ابن كثير: ٦٠/٢-٦١.
(٢) ساقط في ب.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...» ٦٣١/٦، وفي التفسير والتوحيد، واللفظ له، وأخرجه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنا، برقم (١٦٩٩): ١٣٢٦/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٣/٦، الدر المنثور: ٧٨/٣، ابن كثير: ٦١/٢-٦٢.
(٥) زيادة من «ب».
(٦) في ب «من أجل أن».

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وإنْ لم تُؤتوه فاحْذَرُوا ومَنْ يُرِدِ الله فتنتَه﴾، كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فلنْ تملك له منَ الله شيئاً﴾، فلن تقدر على دفع أمر الله فيه، ﴿أولئك الذين لم يردِ الله أن يطهرَ قلوبَهم﴾، وفيه رد على من ينكر القدر، ﴿لهم في الدنيا خزيٌ﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزيُ اليهود الجزية والقتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾، الخلود في النار.

قوله تعالى: ﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسُّحت﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي «للسُّحُتِ» بضم الحاء، والآخرون بسكونها، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، قال الله تعالى: «فيُسحتكم بعذاب» (طه، ٦١)، نزلت في حكام اليهود كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم.

قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها إيّاه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة.

وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحَكَم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو يبطل [عنك][1] حقاً[2]. فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس، فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء، وقال ابن مسعود: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها [ظلماً][3] فأهدي له فقبل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبدالرحمن ما كنّا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم كفر[4]، قال الله

(١) في «ب»: (لك).
(٢) انظر: الطبري: ٦/٢٣٩، الدر المنثور: ٣/٨٠-٨١.
(٣) في «ب»: (باطلا).
(٤) الطبري: ٦/٢٤٠.

تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (سورة المائدة، ٤٤).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبدالرحمن عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الراشي والمرتشي»[(١)].

والسحت كل كسب لا يحل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرضْ عنهم وإن تُعرضْ عنهم فلنْ يضروك شيئاً**﴾، خيّر الله تعالى رسولَه ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك.

واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثر أهل العلم: هو حكم ثابت، وليس في سورة المائدة منسوخ، وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا لم يحكموا، وإن حكموا حكموا بحكم الإسلام، وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة.

وقال قوم: يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم، والآية منسوخة نسخها قوله تعالى: «وإن احكم بينهم بما أنزل الله» (سورة المائدة، ٤٩)، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروي ذلك عن ابن عباس[(٢)]، وقال: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان، قوله تعالى: «لا تُحلوا شعائر الله» نسخها قوله تعالى «اقتلوا المشركين» وقوله: «فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» نسخها قوله تعالى: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» فأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه، لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة. قوله ﴿**وإنْ حكمتَ فاحكمْ بينهم بالقسط**﴾، أي: بالعدل، ﴿**إنّ الله يحب المقسطين**﴾ أي: العادلين، رُوينا عن النبي ﷺ أنه قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود في الأقضية، باب في كراهية الرشوة: ٥/٢٠٧، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم: ٤/٥٦٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة. ٢/٧٧٥. وصححه الحاكم: ٤/١٠٢،١٠٣، ووافقه الذهبي. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٠/٨٧-٨٨.

(٢) انظر: الطبري: ٦/٧٤٤-٧٤٧، الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ص(٤١-٤٢)، أحكام القرآن للجصاص: ٤/٨٧-٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، برقم (١٨٢٧): ٣/١٤٥٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٦٣-٦٤.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**وكيف يُحكِّمونك وعندهم التوراة**﴾، هذا تعجيب للنبي ﷺ، وفيه اختصار، أي: كيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿**فيها حكم الله**﴾، وهو الرجم، ﴿**ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين**﴾، أي بمصدقين لك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكم بها النبيّون الذين أسلموا**﴾، أي: أسلموا وانقادوا [لأمر][1] الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: «إذْ قال له ربه أسلمْ قال أسلمتُ لربِّ العالمين» (سورة البقرة، ١٣١)، وكما قال: «وله أسلم منْ في السمواتِ والأرض» (سورة آل عمران، ٨٣)، وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى: «لكل جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً» (سورة المائدة، ٤٨).

وقال الحسن والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم، ذكر بلفظ الجمع كما قال: «إن إبراهيم كان أمةً قانتاً» (سورة النحل، ١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿**للذين هادُوا**﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا. ثم قال: يحكم بها النبيّون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، كما قال: «وإنْ أسأتُمْ فلها» (سورة الإسراء، ٧) أي: فعليها، وقال: «أولئك لهم اللعنةُ» (سورة الرعد، ٢٥) أي: عليهم، وقيل: فيه حذف، كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً.

---

(١) في «ب»: (لحكم).

﴿والـرّبّانيُّون والأحبار﴾، يعني العلماء، واحدهم حبر، وحبر بفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيد: هو من الحبر الذي يكتب به وقال قطرب هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها، وفي الحديث «يخرجُ مِنَ النّار رجلٌ قد ذهبَ حِبرُه وسِبرُه»[1]، أي: حُسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون هاهنا من النصارى، والأحبار من اليهود، وقيل: كلاهما من اليهود.

قوله عزّ وجلّ: ﴿بما استحفظُوا منْ كتابِ الله﴾، أي: استُودعوا من كتاب الله، ﴿وكانوا عليه شهداء﴾، أنه كذلك.

﴿فلا تخشوا الناسَ واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، قال قتادة/ والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه ١٠٧/ب
الأمة. رُوي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: ﴿ومنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم.

وقـال ابن عبـاس[2] وطاووس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به [كافر][3]، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.

قال عطاء: هو كفرٌ دُونَ كفرٍ، وظُلمٌ دون ظلم، وفسق دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وسئل عبدالعزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأمّا من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم [بجميع][4] ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات. وقال العلماء: هذا إذا ردّ نصَّ حكمِ الله عياناً عمداً، فأمّا من خفي عليه أو أخطأ في تأويلٍ فلا[5].

---

(١) ذكره الزمخشري في الفائق: ٢٥١/١، وابن الأثير في النهاية: ٣٢٧/١.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣١٣/٢ وصححه على شرط الشيخين.
(٣) في «ب»: (كفر).
(٤) في «ب»: (ببعض).
(٥) للشيخ أحمد محمد شاكر وأخيه محمود شاكر تعليق على هذه الآثار، في عمدة التفسير وفي تفسير الطبري، عند تفسير هذه الآية، ننقله هنا بتمامه: =

= قال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير: ٤/١٥٦-١٥٨ «وهذه الآثار - عن ابن عباس وغيره - مما يلعب به المضللون في عصرنا هذا، من المنتسبين للعلم، ومن غيرهم من الجرآء على الدين: يجعلونها عذرا أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة، التي ضربت على بلاد الإسلام.

وهناك أثر عن أبي مجلز، في جدال الإباضية الخوارج إياه، فيما كان يصنع بعض الأمراء من الجور، فيحكمون في بعض قضائهم بما يخالف الشريعة، عمدا إلى الهوى، أو جهلا بالحكم. والخوارج، من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر، فهم يجادلون يريدون من أبي مجلز أن يوافقهم على ما يرون من كفر هؤلاء الأمراء، ليكون ذلك عذرا لهم فيما يرون من الخروج عليهم بالسيف. وهذان الأثران رواهما الطبري: ١٢٠٢٥، ١٢٠٢٦. وكتب عليهما أخي السيد محمود محمد شاكر تعليقا نفيسا جدا، قويا صريحا. فرأيت أن أثبت هنا نص أولى روايتي الطبري، ثم تعليق أخي على الروايتين.

فروى الطبري: ١٢٠٢٥، عن عمران بن حدير، قال: «أتى أبا مِجْلَز ناس من بني عمرو بن سدوس، فقالوا: يا أبا مجلز، أرأيت قول الله «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» أحق هو؟ قال: نعم، قالوا: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ أحق هو؟ قال: نعم، قالوا: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ أحق هو؟ قال: نعم. قال: فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون. فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا. فقالوا: لا والله، ولكنك تفرق! قال: أنتم أولى بهذا مني! لا أرى، وإنكم ترون هذا ولا تحرجون! ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك، أو نحوا من هذا».

ثم روى الطبري: ١٢٠٢٦، نحو معناه. وإسناداه صحيحان. فكتب أخي السيد محمود، بمناسبة هذين الأثرين ما نصه:

اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة. وبعد، فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا للكلام في زماننا هذا، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله، وفي القضاء في الدماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه. وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام. فلما وقف على هذين الخبرين، اتخذهما رأيا يرى به صواب القضاء في الأموال والأعراض والدماء بغير ما أنزل الله، وأن مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفر الراضي بها، والعامل عليها.

والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسؤول، فأبو مجلز (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي) تابعي ثقة، وكان يحب عليا رضي الله عنه. وكان قوم أبي مجلز، وهم بنو شيبان، من شيعة علي يوم الجمل وصفين. فلما كان أمر الحكمين يوم صفين، واعتزلت الخوارج، كان فيمن خرج على علي رضي الله عنه، طائفة من بني شيبان، ومن بني سدوس بن شيبان بن ذهل. وهؤلاء الذين سألوا أبا مجلز، ناس من بنى عمرو بن سدوس (كما في الأثر: ١٢٠٢٥)، وهم نفر من الإباضية (كما في الأثر: ١٢٠٢٦)، والإباضية من جماعة الخوارج الحرورية، هم أصحاب عبدالله بن إباض التميمي، وهم يقولون بمقالة سائر الخوارج في التحكيم، وفي تكفير علي رضي الله عنه إذ حكَّم الحكمين، وأن علياً لم يحكم بما أنزل الله، في أمر التحكيم. ثم إن عبدالله بن إباض قال: إن من خالف الخوارج كافر ليس بمشرك، فخالف أصحابه، وأقام الخوارج على أن أحكام المشركين تجرى على من خالفهم.

ثم افترقت الإباضية بعد عبدالله بن إباض الإمام افتراقا لا ندري معه - في أمر هذين الخبرين - من أي الفرق كان هؤلاء السائلون، بيد أن الإباضية كلها تقول: إن دور مخالفيهم دور توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار كفر عندهم. ثم قالوا أيضا: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وأن كل كبيرة فهي كفر نعمة، لا كفر شرك، وأن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها.

ومن البين أن الذين سألوا أبا مجلز من الإباضية، إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجة في تكفير الأمراء، لأنهم في معسكر السلطان، ولأنهم ربما عصوا أو ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه. ولذلك قال لهم في الخبر الأول (رقم: ١٢٠٢٥): «فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا»، وقال لهم في الخبر الثاني: «إنهم يعملون بما يعملون ويعلمون أنه ذنب».

وإذن، فلم يكن سؤالهم عمّا احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام، بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. فهذا الفعل إعراض عن حكم الله، ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل والداعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم، هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في =

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: **﴿وكتبنا عليهم فيها﴾**، أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة، **﴿أنَّ النفسَ بالنفس﴾**، يعني: نفس القاتل بنفس المقتول وفاءً يقتل به، **﴿والعينَ بالعين﴾**، تُفقأ بها، **﴿والأنف بالأنف﴾**، يُجدع به، **﴿والأذنَ بالأذن﴾**، تُقطع بها، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقؤون بالعين العينين، وخفف نافع الأذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون، **﴿والسن بالسن﴾**، تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، **﴿والجروحَ قصاص﴾**، فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: **﴿والجروح قصاص﴾**، أي فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأمّا ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته، وقرأ الكسائي «**والعين**» وما بعدها بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو «**والجروح**» بالرفع فقط وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس.

= شريعة الله، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع، على أحكام الله المنزلة، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا، ولعلل وأسباب انقضت، فسقطت الأحكام كلها بانقضائها. فأين هذا مما بيناه من حديث أبي مجلز والنفر من الإباضية من بنى عمرو بن سدوس!!

ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة. فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكما وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها. هذه واحدة. وأخرى، أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها، فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة. وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية، فهذا ذنب تناله التوبة، وتلحقه المغفرة. وإما أن يكون حكم بها متأولا حكما خالف به سائر العلماء، فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب، وسنة رسول الله.

وأما أن يكون كان في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر، جاحدا لحكم من أحكام الشريعة، أو مؤثرا لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط. فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه. فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابهما، وصرفهما إلى غير معناهما، رغبة في نصرة سلطان، أو احتيالا على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد لحكم من أحكام الله: أن يستتاب، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله، ورضي بتبديل الأحكام=فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين. وكتبه محمود محمد شاكر».

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ
﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ
فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا
مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿فمنْ تصدّق به﴾، أي بالقصاص ﴿فهو كفارة له﴾، قيل: الهاء في «له» كناية عن المجروح وولي القتيل، أي: كفارة للمتصدق وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا عبدالله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ تصدّقَ من جسدهِ بشيءٍ كفّرَ الله عنه بقدره من ذنوبه»(١).

وقال جماعة: هي كناية عن الجارح والقاتل، يعني: إذا عفا المَجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يُؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» (الشورى ـ ٤٠)، رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قوله تعالى ﴿وقفينا على آثارهم﴾، أي: على آثار النبيين الذين أسلموا، ﴿بعيسى ابن مريم

(١) أخرجه الترمذي بنحوه مطولاً عن أبي الدرداء، في الديات، باب ما جاء في العفو: ٤/ ٦٥٠، وقال: هذا حديث غريب، ولا أعرف لأبي السفر سماعاً من أبي الدرداء، =

مصدقاً لِمَا بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه﴾، أي: في الإنجيل، ﴿هدىً ونورٌ ومصدقاً﴾، يعني الإنجيل، ﴿لِما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين﴾.

﴿ولْيَحكُمْ أهلُ الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾، قرأ الأعمش وحمزة ﴿ولِيحكمَ﴾ بكسر اللام وفتح الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين والأحبار أن يحكموا بما في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾، الخارجون عن أمر الله تعالى.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا إليك﴾، يا محمد ﴿الكتاب﴾، القرآن، ﴿بالحقّ مصدقاً لِما بين يديه من الكتاب﴾، أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿ومُهيمناً عليه﴾، روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي.

قال حسان:

إنَّ الكتابَ مُهَيْمِنٌ لنبيِّنا والحقُّ يَعْرِفُه ذَوُو الألْبابِ

يريد: شاهداً ومصدقاً.

وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً[1]، وقيل: أصله مُؤَيْمِن، مُفَيْعِل من أمين، كما قالوا: مُبيطر من البيطار، فقلبت الهمزة هاءً، كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن [كتابهم][2] فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضياً، وقال الخليل: رقيباً وحافظاً، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى، وما لا فلا. ﴿فاحكم﴾،

= وأخرجه ابن ماجه في الديات، باب العفو في القصاص برقم (٢٦٩٣): ٢/٨٩٨، والطبري في التفسير: ١٠/٣٦٨، وابن أبي عاصم في الديات، والإمام أحمد في المسند: ٥/٣١٦، ٦/٤٤٨.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٣/٣٠٥ من رواية الامام أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح. ومن رواية ابن ماجه وقال: إسناده حسن لولا الانقطاع.

(١) انظر معنى الهيمنة ووجوهها بالتفصيل في مقال: «الاسلام وعلاقته بالديانات الأخرى»، عثمان جمعة ضميرية، في العدد (٢١) من مجلة البحوث الاسلامية، بالرياض، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ص (٣١٥ ـ ٣٢٠).

(١) في «ب»: (كتبهم).

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يامحمد، ﴿**بينهم**﴾، بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك، ﴿**بما أنزل الله**﴾ بالقرآن، ﴿**ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**﴾، أي لا تعرض عمّا جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿**لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً**﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنّةً، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة.

قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة**﴾، أي: على ملة واحدة، ﴿**ولكنْ ليبلوكم**﴾، ليختبركم، ﴿**فيما آتاكم**﴾، من الكتب وبين لكم من الشرائع فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف، ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾، فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿**إلى الله مَرْجِعُكم جميعاً فيُنبئكمْ بما كُنتُمْ فيهِ تختلفون**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأنِ احكمْ بينهمْ بما أنزل الله ولا تتبعْ أهواءهم واحذرْهم أنْ يفتنُوكَ عن بعضِ ما أنزلَ الله إليك**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن [أسد][1] وعبدالله بن [صوريا][2] وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلّنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عزّ وجلّ الآية[3]. ﴿**فإنْ تولوا**﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿**فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**﴾، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿**وإن كثيراً من الناس**﴾، يعني اليهود، ﴿**لفاسقون**﴾.

---

(١) في الأصل: (أسيد)، والتصويب من السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥٦٧.

(٢) في السيرة لابن هشام: (صَلُوبا).

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/٥٦٧، الطبري: ١٠/٣٩٣، أسباب النزول للواحدي، ص (٢٢٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾

١٠٨/١ ﴿أفحكمَ الجاهليةِ يَبْغُون﴾/ قرأ ابن عامر «تبغون» بالتاء وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء﴾، اختلفوا في نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين.

فقال قوم: نزلت في عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي بن سلول، وذلك أنهما اختصما، فقال عبادة: إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبدالله: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، لأني أخاف الدوائر، ولا بدَّ لي منهم، فقال النبي ﷺ: يا أبا الحباب ما نَفِسْتَ به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه، قال: إذاً أقبل، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال السدي: لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أماناً إني أخاف أن يدال علينا اليهود، وقال رجل آخر: أما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أماناً، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهما[2].

وقال عكرمة: نزلت في [أبي لبابة][3] بن عبدالمنذر بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة [حين حاصرهم][4]، فاستشاروه في النزول، وقالوا: ماذا يصنع بنا إذا نزلنا، فجعل أصبعه على حلقه أنه

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٣٩٥-٣٩٦، الدر المنثور: ٣/٩٨، ٩٩، أسباب النزول ص (٢٢٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦/٢٧٦ (طبع الحلبي)، الدر المنثور: ٣/٩٩.
(٣) في «ب» (أبي أمامة) وهو خطأ.
(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾

الذبح، أي: يقتلكم. فنزلت هذه الآية[1].

﴿بعضُهم أولياءُ بعض﴾، في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين، ﴿ومن يتولهم منكم﴾، [فيوافقهم ويُعِنْهم][2]، ﴿فإنه منهم إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرضٌ﴾، أي: نفاق يعني عبدالله بن أُبي وأصحابه من المنافقين الذين يُوالون اليهود، ﴿يُسارعون فيهم﴾، في معونتهم وموالاتهم، ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾، دولة، يعني: أن يدول الدهر دولةً فنحتاج إلى نصرهم إيّانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾، قال قتادة ومقاتل: بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أو أمر من عنده﴾، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ، وقيل: هو عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فيُصبحوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿على ما أسرّوا في أنفسهم﴾، من موالاة اليهود ودسّ الأخبار إليهم، ﴿نادمين﴾.

﴿و﴾، حينئذ، ﴿يقولُ الذين آمنوا﴾ [قرأ أهل الكوفة: «ويقولُ»، بالواو والرفع][3] وقرأ أهل

---

(1) انظر: الطبري: ٦/٢٧٦ (طبع الحلبي)، الدر المنثور: ٣/٩٩ - ١٠٠، وهنا نضع كلمة لشيخ المفسرين الإمام الطبري، رحمه الله يبين فيها الصواب من هذه الأقوال، قال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أن من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزّب على الله ورسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان. وقد يجوز أن الآية نزلت في شأن عُبادة بن الصامت وعبدالله بن أُبيّ بن سلول وحلفائهما من اليهود، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي أن أحدهم همَّ باللحاق بدَهْلَك اليهودي والآخر بنصراني بالشام.

ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر يثبت بمثله حجة، فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل. فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب: أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمَّ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهود أو نصارى خوفاً على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية بعده تدل على ذلك».

(2) زيادة من «ب».

(3) ما بين القوسين ساقط من «ب».

البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على ﴿أن يأتي﴾ أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل [العالية][1]، استغناء عن حرف العطف بملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، **﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾**، حلفوا بالله، **﴿جهد أيمانهم﴾**، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، **﴿إنّهم لَمَعَكُمْ﴾**، أي: إنهم مؤمنون، يريد: أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: **﴿حَبِطَتْ أعمالُهم﴾**، بطل كل خير عملوه، **﴿فأصبحوا خاسرين﴾**، خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا أيها الذين آمنوا منْ يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يُحبّهم ويُحبونه﴾**، قرأ أهل المدينة والشام «**يرتدد**» بدالين على إظهار التضعيف **﴿عن دينه﴾** فيرجع إلى الكفر.

قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه يأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة[2]، وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتدّ عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبدالقيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهمّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمنْ قالها فقد عصمَ مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عزّ وجلّ؟» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني [عناقاً][3] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[4]».

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره.

---

(١) في «ب»: (الشام).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٦ (طبع الحلبي).

(٣) في «ب»: (عقالاً).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة ٢٦٢/٣، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. برقم (٢٠): ٥١/١ ـ ٥٢، والمصنف في شرح السنة: ٦٦/١ ـ ٦٧.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة.

وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق:

منهم [بنو مذحج][1] ورئيسهم ذو الخمار، عبهلة بن كعب، العنسي، ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مشعبذاً فتنبأ باليمن واستولى على بلادها، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم، وعلى النهوض إلى حرب الأسود، فقتله فيروز الديلمي على فراشه، قال ابن عمر رضي الله عنه فأتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء الليلة التي قُتل فيها، فقال رسول الله ﷺ: «قُتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك»، قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز، [فازفيروز][2]»، فبشّر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض ﷺ من الغد؛ وأتى [خبرُ][2] مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه[3].

والفرقة الثانية: بنو حنيفة باليمامة، ورئيسهم مسيلمة الكذاب، [واسمه ثمامة بن قيس][2]، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر، وزعم أنه أُشرك مع محمد ﷺ في النبوّة، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، وبعث [بذلك][4] إليه مع رجلين من أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ: [أتشهدان أن مسيلمة رسول الله؟ قالا: نعم. قال النبي ﷺ][4] «لولا أنّ الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما»، ثم أجاب: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أمّا بعد فإن الأرضَ لله يُورثُها مَنْ يشاءُ من عباده، والعاقبةُ للمتقين»، ومرض رسول الله ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي، غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب، بعد حرب شديد، وكان وحشي يقول. قتلتُ خيرَ الناس في الجاهلية وشرَّ الناس في الإسلام[5].

---

(١) في «ب»: (بنو مدحة).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٢٢٧/٣ وما بعدها، البداية والنهاية ٣٠٥/٦ - ٣١١ أسد الغابة لابن الأثير: ٣٧١/٤. تفسير الطبري: ٤٢٤/١٠ - ٤٢٥.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الرسل: ٦٤/٤، البداية والنهاية: ٥١/٥، ٢٠٠/٦، سيرة ابن هشام: ٦٠٠/٢.

والفرقة الثالثة: بنو أسد، ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد، وكان طليحة آخر من ارتد، وادّعى النبوّة في حياة النبي ﷺ، وأول من قُوتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل/ الردة، فبعث أبو بكر ١٠٨/ب
خالد بن الوليد إليه، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمرّ على وجهه هارباً نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه[١].

وارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ [في خلافة أبي بكر رضي الله عنه][٢] خلق كثير، حتى كفى الله المسلمين أمرهم في نصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه[٣].

قالت عائشة: «توفي رسول الله ﷺ وارتدتِ العربُ واشرأبّ النفاق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها»[٤].

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يُحبهم ويُحبونه﴾ هم الأشعريون، رُوي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾، قال رسول الله ﷺ: «هم قومُ هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري»[٥] وكانوا من اليمن.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن [علي الكشميهني، حدثنا علي بن][٦] حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدةً، الإيمانُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ»[٧].

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفياء الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه.

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ٦/٣١٤ - ٣١٩، ٤/٦١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) انظر: حروب الردة للشهيد المؤرخ الكلاعي ص (٣٥) وما بعدها.
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٦٥، حروب الردة للكلاعي ص (٣٥)، تاريخ الطبري، ٣/٢٢٥.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣١٣ وصححه على شرط مسلم، وأخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد: ٧/١٦). والطبري في التفسير: ١٠/٤١٤ - ٤١٥.
(٦) زيادة من «ب» و «شرح السنة».
(٧) أخرجه البخاري في المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن: ٨/٩٨، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان... (٥٢): ١/٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٠١.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾

قوله عزّ وجلّ ﴿أذلّةٍ على المؤمنين﴾، يعني: أرقاء رحماء، كقوله عزّ وجلّ: «واخفضْ لهما جناحَ الذُّلِّ من الرحمةِ»، ولم يرد به الهوان، بل أراد به أنّ جانبهم ليِّن على المؤمنين. وقيل: هو من الذلّ من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون كما قال الله تعالى: «وعبادُ الرحمنِ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هوناً»، ﴿أعزَّةٍ على الكافرين﴾، أي: أشداء غلاظ على الكفار يُعادونهم ويُغالبونهم، من قولهم: عزّه أي غلبه. قال عطاء: أذلةٍ على المؤمنين: كالولد لوالده وكالعبد لسيده، أعزّةٍ على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: «أشداءُ على الكفارِ رُحماء بينهم». ﴿يُجاهدُون في سبيل الله ولا يخافُونَ لَوْمَةَ لائمٍ﴾، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأنْ نقومَ أو نقولَ بالحق حيثما كنّا لا نخاف في الله لومةَ لائم»[1].

﴿ذلـكَ فَضْلُ الله يُؤتيهِ منْ يشاء﴾، أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿والله واسعٌ عليم﴾.

﴿إنّما وليُّكمُ الله ورسولُهُ والذينَ آمنُوا﴾، [روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبيّ بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: «ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ»، إلى قوله: «إنّما وليُّكمُ الله ورسولهِ والذين آمنوا»][2]، يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ[3]. وقال جابر بن عبدالله: جاء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إنّ قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يارسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء»[4]. وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وهم

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام، باب كيف يبايع الامام الناس: ١٣/١٩٢، وفي الفتن، وأخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٧٠٩): ٣/١٤٧٠، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٤٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر فيما سبق، سبب نزول الآية (٥١) من السورة، والطبري: ١٠/٤٢٤.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول، (٢٣٠) عن جابر وعن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بنحوه. الدر المنثور ٣/١٠٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ ٥٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾

راكعون﴾، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال السدي: قوله: «والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتونَ الزكاةَ وهم راكعُون»، أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه[1].

وقال جُويبر عن الضحاك في قوله: **﴿إنّما وليُّكم الله ورسولُه والذين آمنوا﴾**، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: **﴿إنما وليُّكُمُ الله ورسولُهُ والذينَ آمنوا﴾**، نزلت في المؤمنين، فقيل له: إنّ أناساً يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه، فقال: هو من المؤمنين[2].

﴿ومَنْ يتولَّ الله ورسولَهُ والذينَ آمَنُوا﴾، يعني: يتولَّى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، **﴿فإنّ حزبَ الله﴾**، يعني: أنصار دين الله، **﴿هم الغالبون﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا لا تتخذوا الذينَ اتخذوا دينَكم هُزُواً ولعباً﴾** قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[3]: «يأيّها الذين آمَنُوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينَكم هُزواً ولعباً»، بإظهار ذلك بألسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر، **﴿من الذين أوتُوا الكتابَ من قبلكم﴾**، يعني: اليهود، **﴿والكفار﴾**، قرأ أهل البصرة والكسائي «**الكفار**»، بخفض الراء، [يعني:

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠/٤٢٥ ـ ٤٢٦. وفيه عن السدي: هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرَّ به سائل وهو راكع.. وانظر: الدر المنثور: ٣/١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠/٤٢٥. وانظر: الدر المنثور: ٣/١٠٦.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٥٦٨، تفسير الطبري: ٦/٢٩٠، أسباب النزول للواحدي ص (٢٣١)، الدر المنثور: ٣/١٠٧.

ومن الكفار][1]، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿أولياءَ واتّقُوا اللهَ إنْ كنتُمْ مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتُم إلى الصّلاةِ اتخذوها هُزُواً ولعباً ذلك بأنّهم قومٌ لا يعقلون﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[2].

وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله، قال: حُرق الكاذبُ، فدخل خادمه ذات ليلة بنارٍ [وهو وأهله نيام][3]، فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله[4].

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسوّل الله ﷺ، وقالوا: يامحمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت - فيما أحدثت - الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح [العنز][5]؟ فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونزل «ومنْ أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله»، الآية[6].

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل يا أهلَ الكتابِ هل تَنْقِمُون منّا﴾، الآية. قرأ الكسائي: «هل تنقمون»، بإدغام اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والثاء والنون، ووافقه حمزة في التاء والثاء وأبو عمرو في «هلْ ترى» في موضعين.

قال ابن عباس: أتى النبيَّ ﷺ نفرٌ من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: أُومن «بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل» إلى قوله: «ونحنُ له مسلمون»، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظّاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[7]: «قل ياأهلَ

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (٢٣١)، الدر المنثور: ١٠٧/٣.
(٣) في «ب» جاءت العبارة هكذا: (وهو نائم، هو وأهله).
(٤) انظر: الطبري: ٢٩١/٦، الدر المنثور: ١٠٧/٣ - ١٠٨، أسباب النزول، ص (٢٣١) البحر المحيط: ٥١٥/٣.
(٥) في أسباب النزول «العير».
(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٣١ - ٢٣٢)، البحر المحيط: ٥١٥/٣.
(٧) انظر: سيرة ابن هشام: ٥٦٧/١، الطبري: ٢٩٢/٦، الدر المنثور: ١٠٨/٣، أسباب النزول ص (٢٣٢).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الكتاب هل تَنْقِمُون منّا» أي: تكرهون منا، ﴿**إلاّ أن آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل منْ قبلُ وأنّ أكثركُمْ فاسقون**﴾، أي: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنّما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنّا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال.

ثم قال: ﴿**قلْ**﴾، يامحمد، ﴿**هل أنبئكم**﴾، أخبركم، ﴿**بشرٍ منْ ذلك**﴾، الذي ذكرتم، يعني قولهم لم نرَ أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ
١٠٩/١ الابتداء، / وإن لم يكن الابتداء شراً كقوله تعالى: «أفأنبئكُمْ بشرٍّ من ذلكم النار» (الحج، ٧٢)، ﴿**مثوبةً**﴾ ثواباً وجزاءً، نُصب على التفسير، ﴿**عندَ الله مَنْ لعنَهُ الله**﴾ أي: هو من لعنه الله، ﴿**وغضبَ عليه**﴾، يعني: اليهود، ﴿**وجعلَ منهم القردةَ والخنازير**﴾، فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام.

ورُوي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخين كلاهما من أصحاب السبت، فشُبّانُهم مُسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير. ﴿**وعبدَ الطاغُوت**﴾، أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سوّل له، وتصديقها قراءة ابن مسعود: ومن عبدوا الطاغوت، وقرأ حمزة «وعبُد» بضم الباء «الطاغوت» بجر التاء، أراد العبد وهما لغتان عبْد بجزم الباء وعبُد بضم الباء، مثل سبْع وسبُع، وقيل: هو جمع العباد، وقرأ الحسن وعبد الطاغوت، على الواحد، ﴿**أولئك شرٌّ مكاناً وأضلّ عنْ سواء السبيل**﴾ أي: عن طريق الحق.

﴿**وإذا جاءوكم قالوا**﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: «آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره»، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: آمنا بك وصدقناك فيما قلت، وهم يُسرُّون الكفرَ، ﴿**وقدْ دخلُوا بالكفر وهُمْ قدْ خرجُوا به**﴾، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، ﴿**والله أعلمُ بما كانُوا يكتمون**﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وترى كثيراً منهم﴾، يعني: من اليهود ﴿يُسارِعُون في الإثم والعُدْوَانِ﴾، قيل: الإثم المعاصي والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فيها، ﴿وأكلِهِمُ السُّحْتَ﴾، الرِّشَا، ﴿لبئسَ ما كانُوا يعملون﴾.

﴿لَوْلَا﴾، هلاّ، ﴿ينهاهُم الرّبانيّونَ والأحبارُ﴾، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود، ﴿عن قولِهمُ الإثمَ وأكلِهِمُ السُّحْتَ لبئسَ ما كانُوا يصنعُون﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة﴾، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إنّ الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في أمر محمد ﷺ وكذبوا به كفّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبوه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك.

قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلمّا لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها.

وقال الحسن: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بما تبرّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل. والأول أولى لقوله: «ينفق كيف يشاء».

﴿غُلّتْ أيديهم﴾، أي: [أُمسكت][1] أيديهم عن الخيرات. وقال الزجّاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة، كقوله تعالى: «إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسلاسل» (غافر، ٧١). ﴿ولُعِنوا﴾، عُذِّبوا، ﴿بما قالوا﴾، فَمِنْ لعنهم أنهم مُسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، ﴿بلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ويدُ الله صفةٌ من [صفاته][2] كالسمع، والبصر والوجه، وقال جلّ

(١) في «ب» (أمسك الله).
(٢) في «ب»: (صفات ذاته).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

ذكره: «لما خلقتُ بيديَّ» (ص، ٧٥)، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»[1]، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم.

وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف».

﴿يُنفقُ﴾، يرزق، ﴿كيفَ يشاء وليَزيدَنّ كثيراً منهمْ ما أُنزل إليك منْ ربِّك طُغياناً وكفراً﴾، أي: كلما نزلت آية كفروا بها وازدادوا طغياناً وكفراً، [كلما نزلت آية][2] ﴿وألقينا بينهم العَدَاوَةَ والبغضاءَ﴾، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد: وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله تعالى مختلفين في دينهم متباغضين ﴿إلى يومِ القيامة كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين.

وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نارَ المحاربة أطفأها الله، فردّهم وقهرهم ونصرَ نبيَّه ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذلِّ الناس، ﴿ويسعون في الأرضِ فساداً والله لا يحبُّ المفسدين﴾.

﴿ولو أنّ أهلَ الكتابِ آمنُوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿واتّقوْا﴾، الكفرَ، ﴿لكفَّرْنا عنهم سيئاتِهمْ ولأدْخَلْنَاهم جنّاتِ النّعيم﴾.

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٧): ٣/١٤٥٨.
(٢) ساقط من «ب».

﴿ولو أنّهم أقاموا التوراةَ والإنجيلَ﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وما أنزل إليهم منْ ربهم﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لأكلُوا مِنْ فَوقِهم ومِنْ تحتِ أرجلِهم﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلتُ عليهم القطر وأخرجتُ لهم من نبات الأرض.

وقال الفرّاء أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه، ونظيره قوله تعالى: «ولو أنّ أهلَ القُرى آمنوا واتَّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ منَ السماءِ والأرضِ» (الأعراف، ٩٦).

﴿منهم أمّةٌ مقتصدةٌ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه، مقتصدة أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿وكثيرٌ منهم﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿ساءَ ما يعملُون﴾، بئس شيئاً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا القبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزل إليك منْ ربِّك﴾ الآية، رُوي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: «يا أيّها الرسولُ بلّغْ ما أُنزل إليك منْ ربك» الآية[1]. روى الحسن: أنّ الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أنّ من الناس من يكذبه، فنزلت هذه الآية[2].

وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حناناً، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: «يا أهل الكتاب لستمْ على شيء» الآية.

وقيل: بلّغ ما أُنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلتْ في قصة اليهود.

وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها.

وقيل: في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه، كما قال الله تعالى: «فإذا أُنزلت سورةٌ مُحكمةٌ وذُكرَ فيها القتالُ رأيتَ الذينَ في قلوبهم مرضٌ ينظرونَ إليكَ نظرَ المغشي عليه من الموتِ»

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «يا أيها الرسول بلغ...» من سورة المائدة: ٨/٢٧٥، ومسلم في الإيمان. باب معنى قول الله عز وجل «ولقد رآه نزلة أخرى» برقم (١٧٧): ١/١٥٩.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص (٢٣٢ - ٢٣٣)، الدر المنثور: ٣/١١٦ - ١١٧.

(محمد، ٢٠) وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: «ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كفُّوا أيديكم» الآية (النساء، ٧٠). فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهادِ لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وإنْ لم تفعلْ فما بلغتَ رسالتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿رسالاته﴾، على الجمع والباقون رسالته على التوحيد.

ومعنى الآية: إن لم تبلّغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئاً، أي: جرمك في ترك تبليغ

١٠٥/ب البعض كجرمك/ في ترك تبليغ الكل، كقوله: «ويقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويريدونَ أنْ يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً» (النساء، ١٥٠-١٥١)، أخبر أن كفرهم بالبعض محبط للإيمان بالبعض.

وقيل: بلّغْ ما أُنزل إليكَ أي: أظهر تبليغه، كقوله: «فاصدعْ بما تُؤمرُ» (الحجر، ٩٤) وإن لم تفعلْ: فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً، غير خائف، فإن أخفيتَ منه شيئاً لخوفٍ يلحقك فما بلّغتَ رسالته.

﴿والله يَعْصِمُكَ منَ النّاس﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأنّ النبي ﷺ معصوم.

﴿إنّ الله لا يهدي القومَ الكافرين﴾، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدولي وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن جابر بن عبدالله أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ، قفل معه وأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: «إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صَلْتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله «ثلاثاً»، ولم يعاقبه وجلس[1].

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، بابل من علّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة: ٩٦/٦، وفي المغازي. ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف برقم (٨٤٣): ٥٧٦/١. واللفظ للبخاري.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)
لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)
وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)﴾

وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأعرابي سل سيفه وقال: من يمنعك مني يا محمد قال: الله، فرعدتْ يدُ الأعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي ﷺ (١).

وقال عبدالله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «أيّها النّاس انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى»(٢).

قوله عزّ وجلّ: **﴿قلْ يا أهلَ الكتابِ لستُمْ على شيءٍ حتى تقيمُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أنزل**

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله: ٦/٨١، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص، برقم (٢٤١٠): ٤/١٨٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة المائدة: ٨/٤١١، وقال: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجُريري عن =

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ
وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

إليكم منْ ربِّكم، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، **﴿وليَزيدَنَّ كثيراً منهمْ ما أُنزل إليك منْ ربك طُغياناً وكفراً فلا تأس﴾**، فلا تحزن، **﴿على القومِ الكافرين﴾**.

﴿إنَّ الذينَ آمنُوا والذينَ هادُوا والصَّابئون والنّصارى﴾، وكان حقه: **﴿والصابئين﴾** وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه[1]. وقال سيبويه: فيه تقديم وتأخير تقديره: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية، والصابئون كذلك، وقوله: **﴿إن الذين آمنوا﴾** أي: باللسان، وقوله: **﴿من آمن بالله﴾** أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان **﴿منْ آمنَ بالله﴾**، أي ثبتَ على الإيمان، **﴿واليومِ الآخرِ وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

قوله تعالى: **﴿لقدْ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل﴾** في التوحيد والنبوة، **﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلّما جاءهم رسـول بما لا تهوى أنفسُهم فريقاً كذّبوا﴾**، عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما، **﴿وفريقاً يقتلون﴾** يحيى وزكريا.

= عبدالله بن شقيق قال: كان النبي . . . ولم يذكروا فيه: عن عائشة. وصححه الحاكم في المستدرك: ٣١٣/٢ ووافقه الذهبي، والطبري في التفسير ٣٠٨/٦. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «واسناده حسن، واختلفوا في وصله وإرساله». وزاد السيوطي نسبته: لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي، كلاهما في الدلائل، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ١١٨/٣.

(١) انظر فيما سبق تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة، في المجلد الأول.

﴿وحَسِبُوا﴾، ظنوا، ﴿أن لا تكونَ فتنة﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبتلوا ولا يُعذبهم الله، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي ﴿تكون﴾ برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا، ﴿فَعَمُوا﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وصَمُّوا﴾، عنه فلم يسمعوه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثم تابَ الله عليهم﴾، ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ثم عَمُوا وصمُّوا كثيرٌ منهم﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿لقد كفرَ الذين قالوا إنّ الله هو المسيحُ ابن مريَم﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وقال المسيحُ يا بني إسرائيل اعبدُوا الله ربي وربَّكم إنّه منْ يُشركْ بالله فقد حرّمَ الله عليه الجنةَ ومأواهُ النارُ وما للظّالمين من أنصار﴾.

﴿لقد كفرَ الذينَ قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثة﴾، يعني: المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهـة، يبيّن هذا قوله عزّ وجلّ للمسيح: «أأنتَ قلتَ للنّاسِ اتخذوني وأُميَ إلهين من دون الله»؟ (المائدة، ١١٦)، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإنّ الله يقول: «ما يكونُ من نجوى ثلاثةٍ إلّا هو رابعهم» (المجادلة، ٧)، وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهمـا»[١]. ثم قال رداً عليهم: ﴿ومـا مِنْ إلـهٍ إلّا إلهٌ واحدٌ وإنْ لم ينتهُوا عمّا يقولون لَيمسَّنَّ﴾، [ليصيبنَّ][٢]، ﴿الذين كفرُوا منهم عذابٌ أليم﴾، خص الذين كفروا لعلمه أنّ بعضهم يؤمنون.

﴿أفلا يتوبُونَ إلى الله ويستغفرونه﴾؟ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: «فهل أنتم منتهون» (المائدة، ٩١)، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله [يأمركم][٣] بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿والله غفورٌ رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ما المسيحُ ابن مريمَ إلا رسولٌ قد خلتْ﴾، [مضت][٤]، ﴿من قبله الرُّسل﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وأُمّه صدّيقة﴾، أي: كثيرة الصدق.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة التوبة، باب «ثاني اثنين إذ هما في الغار...» ٣٢٥/٨.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب»: (يأمرهم).
(٤) ساقط في (ب)

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

وقيل: سُميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عزّ وجلّ في وصفها: «وصدقت بكلمات ربها» (التحريم، ١٢)، ﴿كانا يأكُلَانِ الطّعَامَ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الآدميين، فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

وقيل: هذا كناية عن الحَدَث، وذلك أن من أكل وشرب لا بدّ له من البول والغائط، وَمَنْ هذه صفته كيف يكون إلهاً؟

ثم قال: ﴿انظرْ كيفَ نبيِّنُ لهمُ الآياتِ ثم انظرْ أنّى يُؤفكُون﴾، أي يُصرفون عن الحق.

﴿قلْ أتعبدُون مِن دونَ الله ما لا يملكُ لكمْ ضرّاً ولا نفعاً والله هو السميعُ العليم﴾.

﴿قلْ يا أهلَ الكتابِ لا تغلُوا في دينكم غيرَ الحق﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿غير الحق﴾، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿قدْ ضلّوا من قبل﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم/ ١/١١٠
﴿وأضلوا كثيراً﴾، يعني: من اتبعهم [على أهوائهم][1]، ﴿وضلّوا عنْ سَواءِ السبيل﴾، عن قصد الطريق، أي: بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

قوله تعالى: ﴿لُعنَ الذينَ كفرُوا من بني إسرائيل على لسانِ داودَ﴾، يعني: أهل أيلة لما اعتدوا

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

في السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردةً، ﴿وعيسى ابْنِ مريم﴾، أي: على لسان عيسى عليه السلام، يعني: كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير، ﴿ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدُون﴾.

﴿كانوا لا يتناهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه﴾، [أي: لا ينهى بعضهم بعضاً][1] ﴿لبئسَ ما كانُوا يفعلون﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن محمد بن إسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد ـ يعني ابن عبدالله الواسطي ـ عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عُبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيراً فإذا كان من الغد جالسه وآكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوبَ بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يَدِ السفيه ولتأطرنّه على الحق أطراً أو ليضربنّ الله قلوبَ بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم»[2].

قوله تعالى: ﴿ترى كثيراً منهم﴾، قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿يتولَّون

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) روي من طرق وبألفاظ مختلفة عن أبي موسى وعن عبدالله بن مسعود، فقد أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ٦/١٨٦، والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٨/٤١٢ ـ ٤١٣، وقال: هذا حديث حسن غريب. وقال بعضهم: يقول عن أبي عبيدة عن النبي ﷺ: مرسل. وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٦ ـ ٤٠٠٧) ٢/١٣٢٧ ـ ١٣٢٨ مرسلاً

الذين كفروا﴾، مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود، **﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾**، بئس ما قدّموا من العمل لمعادهم في الآخرة، **﴿أنْ سخِطَ الله عليهم﴾**، غضب الله عليهم، **﴿وفي العذاب هم خالدون﴾**.

﴿ولو كانوا يُؤمنون بالله والنبيِّ﴾، محمد ﷺ، **﴿وما أُنزل إليه﴾**، يعني القرآن، **﴿ما اتخذوهم﴾** يعني الكفار، **﴿أولياء ولكنّ كثيراً منهم فاسقون﴾**، أي خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

قوله عزّ وجلّ: **﴿لتجدنّ أشدَّ النّاسِ عداوةً للذين آمنُوا اليهودَ والذينَ أشْركوا﴾**، يعني: مشركي العرب، **﴿ولتجدنّ أقربَهم مودةً للذين آمنُوا الذينَ قالوا إنّا نصارى﴾**، لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه، [وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود][1]

قال أهل التفسير: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يُؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن، وعصم الله منهم من شاء، ومنع الله تعالى رسوله بعمه أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يُؤمرْ بعدُ بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال: «إنّ بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد، فاخْرُجُوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً» وأراد به النجاشي، واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولهم قيصر وكسرى، فخرج إليها سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام وعبدالله بن مسْعود، [وعبدالرحمن بن عوف][2] وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبدالأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته

= وموصولاً، والإمام أحمد في المسند: ١/٣٩١، وعزاه الهيثمي للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد: ٧/٢٦٩).
وقال المنذري: أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه، فهو منقطع.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

ليلى بنت أبي [حثمة][1]، وحاطب بن عمرو و[سهل][2] بن بيضاء رضي الله عنهم، فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ، وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان.

فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردّوهم إليهم، فعصمهم الله، وذُكرت القصة في سورة آل عمران.

فلما انصرفا خائبين، أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، وعلا أمره، وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضَّمْرِيّ ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ـ وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها، ـ ويبعث إليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إيّاها، فأعطتها أوضاحاً لها سروراً بذلك، فأذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فأنفذ إليها النجاشي أربعمائة دينار على يد أبرهة، فلما جاءتْها بها أعطتها خمسين ديناراً فردته وقالت: أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت: أنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدَّقتُ محمداً ﷺ وآمنتُ به، وحاجتي منك أن تُقرئيه مني السلام، قالت نعم: وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عُودٍ وعنبر، فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكر.

قالتْ أم حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ، فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فردّ رسول الله ﷺ عليهما السلام، وأنزل الله عزّ وجلّ: «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهمْ مودةً» يعني: أبا سفيان مودة، يعني: بتزويج أم حبيبة، ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة، قال: ذلك الفحل لا يُقرع أنفُه[3].

وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ﷺ، ابنه أزهى بن أصحمة بن أبجر في ستين رجلاً من الحبشة، وكتب إليه: يارسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدَّقاً وقد بايعتك وبايعت

(١) في الأصل (خيثمة)، والتصويب من السيرة النبوية.
(٢) في «ب»: (وسهيل).
(٣) أي: كفء كريم، لا يُردُّ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾

ابن عمك وأسلمت لله ربِّ العالمين، وقد بعثتُ إليك ابني أزهى، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يارسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسولَ الله ﷺ في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من [أهل][1] الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يسٓ إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقال: آمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل

١١٠/ب الله سبحانه وتعالى هذه الآية[2]: ﴿**ولتجدنّ/ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى**﴾، يعني: وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون، وكانوا أصحاب الصوامع.

قال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية روميون من أهل الشام.

[وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحرث بن كعب، واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام][3].

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله محمداً ﷺ صدّقوه وآمنوا به فأثنى الله عزّ وجلّ بذلك عليهم[4]. ﴿**ذلك بأنّ منهم قسيسين**﴾، أي علماء، قال قطرب: القس والقسيس العالم بلغة الروم، ﴿**ورهباناً**﴾، الرهبان العُبَّاد أصحاب الصوامع، واحدهم راهب، مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قربان وقرابين، ﴿**وأنهم لا يستكبرُون**﴾، لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

﴿**وإذا سمعُوا ما أنزل إلى الرسول**﴾، محمد ﷺ، ﴿**ترى أعينهم تفيض**﴾، تسيل، ﴿**من الدّمع ممّا عرفُوا من الحق**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص، فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿**يقولون**

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٢١/١ وما بعدها، الطبري: ١/٧ - ٣ (الحلبي)، أسباب النزول للواحدي، ص (٢٣٥ - ٢٣٦).
(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٤) أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة. (الدر المنثور: ١٣٢/٣).

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

ربّنا آمنا فاكتبْنا معَ الشاهدين﴾، يعني أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: «لتكونُوا شهداءَ على النّاس» (البقرة، ١٤٣).

﴿ومَا لَنا لا نُؤمنُ بالله وما جاءَنا من الحق﴾، وذلك أن اليهود عيّروهم وقالوا لهم: لِمَ آمنتم؟ فأجابوهم بهذا، ﴿ونطمع أن يُدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين﴾، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه (أنَّ الأرضَ يرثُها عباديَ الصَّالحونَ) (الأنبياء، ١٠٥).

﴿فأثابهمُ الله﴾، أعطاهم الله، ﴿بما قالوا جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها﴾، وإنّما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وذلك جزاءُ المحسنين﴾، يعني: الموحدين المؤمنين، وقوله من قبل: ﴿ترى أعينَهم تفيضُ من الدمع ممّا عرفُوا منَ الحق﴾، يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

﴿والذين كفرُوا وكذَّبُوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيباتِ ما أحلَّ الله لكم﴾، الآية قال أهل التفسير: ذكّر النبي ﷺ الناسَ يوماً ووصف القيامة، فرقَّ له الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر، وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرِّن رضي الله عنهم، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبُّوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية، واسمها الخولاء، وكانت عطارة: أحقٌّ ما بلغني

عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان بشيء فقد صدقك. فانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ (ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال ﷺ: (إني لم أؤمر بذلك)، ثم قال: (إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: (ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات [النساء][1]؟ أما إني فلست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان واستقيموا يُستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع)، فأنزل الله عز وجل هذه الآية[2].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن رِشْدين بن سعد حدثني ابن أنْعُم عن سعد بن مسعود أن عثمان ابن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: ائذنْ لنا في الاختصاء، فقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من خصى ولا اختصى، خصاء أمتي الصيام)، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في السياحة، فقال: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في الترهب، فقال: (إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة)[3].

ورُوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة، فحرّمت اللحم، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا لا تُحرّموا**

---

(١) في «ب»: (الدنيا).

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٨/٧ ـ ١١، الدر المنثور: ١٤١/٣ ـ ١٤٢، أسباب النزول (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٣) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٧٠/٢ ـ ٢٧١، وفي مصابيح السنة: ٢٢٥/١ (مشكاة المصابيح).
والحديث ضعيف، لضعف رشدين بن سعد وزياد بن أنعم الافريقي.
وللقطعة الثانية من الحديث «إن سياحة امتي...» شاهد عند أبي داود من حديث أبي أمامة في الجهاد باب النهي عن السياحة: ٣٥٧/٣.
وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٤٧٩/٣ ـ ٤٨٠، مشكاة المصابيح: ٢٢٥/١، مجمع الزوائد: ٢٥٤/٤.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

طيباتِ ما أحلَّ الله لكم﴾[1]، يعني: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿ولا تعتدُوا﴾ أي: ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام. وقيل: هو جبّ المذاكير ﴿إن الله لا يحبُّ المعتدين﴾.

﴿وكلُوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيباً﴾، قال عبدالله بن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيب ما غذى وأنمى، فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي.

﴿واتقوا الله الذي أنتمْ به مُؤمنون﴾، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا: أخبرنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يحبُّ الحلواءَ والعسلَ)[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿لا يُؤاخذكُم الله باللّغو في أيمانكم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: (ولا تُحرّموا طيباتِ ما أحلّ الله لكم)، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله: ﴿لا يُؤاخذُكم الله باللّغو في أيمانِكُم﴾[3] ﴿ولكنْ يُؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان﴾، قرأ حمزة والكسائي [وأبو بكر][4] (عقدتم) بالتخفيف، وقرأ ابن عامر (عاقدتم) بالألف وقرأ الآخرون (عقّدتم) بالتشديد، أي: وكّدتم، والمراد من الآية قصدتم

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة المائدة: ٨/٤١٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم مرسلاً، ليس فيه: عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً، وأخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول: ص (٢٣٦)، وأخرج الطبري في التفسير: ٨/٧ الرواية التي أشار إليها الترمذي، وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٣/١٣٩، تفسير القرطبي: ٦/٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأشربة، باب الباذق، ومن نهى عن كل مسكر من الأشربة: ١٠/٦٢، والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٠٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٧/١٣. وانظر: أسباب النزول (٢٣٧).

(٤) ساقط من «ب».

وتعمدتم، (فكفارته)، أي: كفارة ما عقدتم الأيمان إذا حنثتم، ﴿إطعامُ عشرةِ مساكين﴾، واختلفوا في قدره: فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مُدّاً من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن.

١١١/أ وقال أهل العراق: عليه لكل مسكين مُدّانِ، / وهو نصف صاع، يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما.

وقال أبو حنيفة: إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من غيرها فصاع، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحَكم.

ولو غدّاهم وعشاهم لا يجوز، وجوّز أبو حنيفة، ويُروى ذلك عن علي رضي الله عنه.

ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق، بل يجب إخراج الحب إليهم، وجوّز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك.

ولو صرف الكل إلى مسكين واحد [لا يجوز](١)، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام، ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حرٍ محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز، وجوّز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة. واتفقوا على أنّ صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز.

قوله تعالى: ﴿من أوسط ما تُطعمُون أهليكم﴾، أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل [يجزيء](٢).

قوله تعالى: ﴿أو كِسْوَتُهُمْ﴾، كلّ من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخيّر إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإنْ شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فإن اختار الكسوة، فاختلفوا في قدرها:

فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة، إزار أو رِدَاء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو كِسَاء ونحوها، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاووس، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) في «ب»: (مجزٍ).

وقال مالك: يجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته، فيكسو الرجال ثوباً واحداً والنساء ثوبين درعاً وخماراً.

وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أو تحرير رقبة﴾، وإذا اختار العتق يجب إعتاق رقبة مؤمنة، وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها إعتاق رقبة مؤمنة، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه إعتاق الرقبة الكافرة في جميعها إلّا في كفارة القتل، لأن الله تعالى قيّد الرقبة فيها بالإيمان، قلنا: المطلق يُحمل على المقيّد [كما أن الله تعالى قيّد الشهادة بالعدالة في موضع فقال: «وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم»، (الطلاق، ٢)، وأطلق في موضع، فقال: «واستشهدُوا شهيدين منْ رجالِكم» (البقرة، ٢٨٢)، ثم العدالة شرط في جميعها حملاً للمطلق علي المقيدّ](١)، كذلك هاهنا، ولا يجوز إعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة.

ويُشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مُكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة، يُعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة، وجوّز أصحاب الرأي عتق المكاتب إذا لم يكن أدّى شيئاً من النجوم، وعتق القريب عن الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً بيّناً حتى لا يجوز مقطوع إحدى اليدين، أو إحدى الرجلين، ولا الأعمى ولا الزَّمِن ولا المجنون المطبق، ويجوز الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب لا تضر بالعمل ضرراً بيناً.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كلُّ عيب يفوِّت جنساً من المنفعة [على الكمال](٢) يمنع الجواز، حتى جوز مقطوع إحدى اليدين، ولم يجوز مقطوع الأذنين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فمنْ لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيّام﴾، إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «ب».

واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم: فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع بل إن شاء تابع وإن شاء فرّق، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار، وهو قول الثوري وأبي حنيفة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات. ﴿ذلك﴾، أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿كفارة أيمانِكم إذا حلفتم﴾، وحنثتم، فإن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث.

واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث: فذهب قوم إلى جوازه، لِما روينا أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ حلف على يمينٍ فرأى غيرَها خيراً منها فليُكفّر عن يمينه، وليفعلِ الذي هو خير»(1). وهو قول عمر [وابن عمر](2) وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين، وإليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي، إلا أن الشافعي يقول: إن كفّر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لأنه بدني، إنما يجوز بالإطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول، ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه.

قوله عز وجل ﴿واحْفَظُوا أيمانَكم﴾، قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا تحلفوا، وقيل: وهو الأصح، أراد به: إذا حلفتم فلا تحنثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم تكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب، فالأفضل أن يُحنث نفسه ويُكفّر، لِما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن عن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «ياعبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أُعنتَ عليها، وإذا حلفتَ على يمينٍ فرأيت غيرَها خيراً منها فكفّر عن يمينك وأتِ الذي هو خير»(3).

قوله تعالى: ﴿كذلك يُبيّنُ الله لكم آياتِه لعلكم تشكرُون﴾.

---

(1) أخرجه مسلم في الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير... برقم (١٦٥٠): ٣/١٢٧٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠/١٧.

(2) ساقط من (ب).

(3) أخرجه الإمام مسلم في الأيمان، في الموضع السابق، برقم (١٦٥٢): ٣/١٢٧٣ ـ ١٢٧٤، وفي الإمارة: ٣/١٤٥٦، والمصنف في شرح السنة ١٠/٥٦، دون قوله «وإذا حلفت على يمين...».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيّها الذين آمنُوا إنّما الخمرُ والميسرُ**﴾، أي: القمار ﴿**والأنصابُ**﴾، يعني: الأوثان، سُميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها، واحدها نَصْب بفتح النون وسكون الصاد، ونُصب بضم النون مخففاً ومثقلاً، ﴿**والأزلامُ**﴾، يعني: القِدَاح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زَلَمٌ ﴿**رِجْسٌ**﴾، خبيث مستقذر، ﴿**مِنْ عملِ الشيطان**﴾، من تزيينه، ﴿**فاجتنبُوه**﴾، ردّ الكناية إلى الرجس، ﴿**لعلّكم تُفلحون**﴾.

﴿**إنّما يُريد الشيطانُ أن يُوقع بينكمُ العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسرِ**﴾، أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل أما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزيناً مسلوب الأهل والمال مغتاظاً على [حرفائه][1]. ﴿**ويصدّكم عنْ ذكرِ الله وعَنِ الصّلاة**﴾، وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر أو القمار ألهاه ذلك عن ذكر الله، وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف
/١١١ عبدالرحمن بن عوف، تقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب/ بعدما شربوا فقرأ «**قلْ يا أيّها** الكافرون»: أعبد ما تعبدون، بحذف لا[2]، ﴿**فهلْ أنتمْ منتهون**﴾؟ أي: انتهوا، استفهام ومعناه أمر، كقوله تعالى: «فهل أنتم شاكرون»؟ (سورة الأنبياء، ٨٠).

﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذرُوا**﴾، المحارم والمناهي، ﴿**فإنْ توليتمْ فاعلمُوا أنّما على رسولِنا البلاغُ المبين**﴾.

وفي وعيد شارب الخمر أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد الفوراني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمود المحمودي أنا أبو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي عبدالملك بن قدامة

---

(١) في «ب» (حرّفائه).
(٢) انظر: الدر المنثور: ٣/١٦٤.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلُّ مسكرٍ حرام، إن حتماً على الله أن لا يشربه عبدٌ في الدنيا إلّا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟» قال: «عرق أهل النار»(١).

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ شربَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتبْ منها حُرِمها في الآخرة»(٢).

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أحمد بن أبيّ أخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن إسحاق الصَّغاني حدثنا أبو نعيم حدثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز عن عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي من أهل مصر عن عبدالله بن عمر أنه قال: أشهد أني سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «لعنَ الله الخمرَ وشارِبَها وساقيها وبائعَها ومُبتاعَها وعاصرهَا ومُعتصرهَا وحاملَها والمحمولَةَ إليه وآكلَ ثمنها»(٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ليسَ على الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ جُناحُ فيما طَعِمُوا**﴾، سبب نزول هذه الآية أنّ الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لمّا نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين

---

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة: ١١/٣٥٦، وفيه عبدالملك بن قدامة، وهو ضعيف، ويشهد له عدة أحاديث صحيحة عن جابر بن عبدالله وغيره منها حديث جابر عند مسلم، برقم (٢٠٠٢) في الأشربة وحديث ابن عمر عند مسلم برقم (٢٠٠٣) وهو الآتي.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها... برقم (٢٠٠٣): ٣/١٥٨٨، والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٥٥.

(٣) أخرجه أبو داود في الأشربة، باب العنب يعصر للخمر: ٥/٢٦٠، وابن ماجه في الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه برقم (٣٣٨٠): ٢/١١٢١، والإمام أحمد في المسند: ٢/٩٧، وفيه: عبدالرحمن الغافقي. قال المنذري: سئل عنه ابن معين؟ فقال: لا أعرفه، وذكره ابن يونس في تاريخه وقال: روى عن ابن عمر، وأبو طعمة: رماه مكحول بالكذب، وللحديث شواهد يتقوى بها، لذلك قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير، (٤/٧٣): «صححه ابن السكن، وفي الباب عن أنس بن مالك: رواه الترمذي وابن ماجه، ورواته ثقات، وعن ابن عباس: رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وعن ابن مسعود: ذكره ابن أبي حاتم في العلل، وعن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها، وحرم الخنزير وثمنه»، ورواه أبو داود، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

ماتوا وهم يشربون الخمر [ويأكلون][1] من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**ليسَ على الذينَ آمنوا وعملُوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِمُوا**﴾، وشَرِبُوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر، ﴿**إذا ما اتَّقَوْا**﴾، الشركَ، ﴿**وآمنُوا**﴾، وصدّقوا، ﴿**وعملُوا الصالحاتِ ثمّ اتّقوا**﴾، الخمر والميسرَ بعد تحريمهما، ﴿**وآمنُوا ثم اتّقوا**﴾، ما حرّم الله عليهم أكله وشربه، ﴿**وأحسنُوا والله يحبُّ المحسنين**﴾، وقيل: معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك، وآمنوا وصدقوا ثمّ اتقوا، أي: داومُوا على ذلك التقوى، ﴿**وآمنوا**﴾ ازْدادُوا إيمـاناً، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإِحسان، وكلٌّ محسن متقٍ، ﴿**والله يحب المحسنين**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذينَ آمنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ الله بشيءٍ من الصَّيدِ**﴾، الآية، نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهمّوا بأخذها فنزلت: ﴿**يا أيّها الذينَ آمنوا لَيَبْلونَّكُمُ الله**﴾ ليختبرنّكم الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي، وإلا فلا حاجـة له إلى البلوى بشيء من الصيد، وإنما بَعَّض، فقال ﴿**بشيء**﴾ لأنه ابتلاهم بصيد البرِّ خاصـةً. ﴿**تنـالـه أيـديكم**﴾، يعني: الفـرخ والبيض ومـا لا يقـدر أن يفـرّ من صغـار الصيد، ﴿**ورمـاحُكم**﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿**ليعلمَ الله**﴾، ليرى الله، لأنه قد علمه، ﴿**مَنْ يخافه بالغيب**﴾، أي: يخاف الله ولم يره، كقوله تعالى: «الذين يخشون ربَّهم بالغيب» (الأنبياء، ٤٩) أي: يخافه فلا يصطاد في حال الإِحرام ﴿**فمن اعتدَى بعدَ ذلك**﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿**فله عذاب أليم**﴾، رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [يوجع][2] ظهره وبطنه جلداً، ويُسلب ثيابه.

قولـه عزّ وجـلّ: ﴿**يـا أيّها الذين آمنوا لا تقتلُوا الصّيد وأنتم حُرُم**﴾، أي: محرمون بالحج والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون [من][3] دخول الحرم، يقال:

---

(١) في «ب»: (وأكلوا).

(٢) في «ب»: (يوسع).

(٣) في «ب»: (بمعنى).

أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم. نزلت في رجل يقال له أبو اليَسَر شدَّ على حمار وحشٍ وهو محرم فقتله.

قوله تعالى: ﴿ومنْ قتَله منكم متعمداً﴾، اختلفوا في هذا العمد فقال قوم: هو العمد بقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمداً وهو ذاكر لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، وهو قول مجاهد والحسن.

وقال آخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة.

واختلفوا فيما لو قتله خطأً، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، قال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطىء بالسنة، وقال سعيد بن [جبير][1]: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فجَزاءُ مثلُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿فجزاءٌ﴾ منونٌ، ﴿مثلُ﴾، رفعٌ على البدل من الجزاء، وقرأ الآخرون بالإضافة ﴿فجزاء مثل﴾، ﴿ما قتلَ مِنَ النَّعَمِ﴾، معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النَّعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبهاً من حيث الخلقة لا من حيث القيمة.

﴿يحكمُ بهِ ذَوَا عدلٍ منكم﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلان عدلان، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النَّعم فيحكمان به، وممن ذهب إلى إيجاب المثل من النَّعم عمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النَّعم، يحكم حاكم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة، وفي حمار الوحش ببقرة [وهي لا تساوي بقرة][2]، وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشاً، فدلّ على أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبهاً من حيث الخلقة [لا من حيث القيمة][3]، وتجب في الحمام شاة، وهو كل ما عبّ وهدر من الطير، كالفاختة والقمري.

ورُوي عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي

(١) في «ب»: المسيب.
(٢) زيادة من «ب».
(٣) ساقط من «ب».

الزبير المكي عن جابر بن عبدالله أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة[1].

قوله تعالى: ﴿هـدياً بالغَ الكعبة﴾، أي: يُهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿أو كفارةٌ طعامُ مساكين أو عَدْلُ ذلك صياماً﴾، قال الفرَّاء رحمه الله: العِدْل بالكسر: المثل من جنسه، والعَدْل بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به: أنه في جزاء الصيدِ مخيَّر بينَ أن يذبح المثل من النَّعم، فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوّم المثـل دراهم، والدراهم طعاماً، فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُدٍّ من الطعام يوماً وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين.

وقال مالك: إن لم يخرج المثل يقوّم الصيد ثم يجعل القيمة طعاماً فيتصدق به، أو يصوم.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النَّعم، بل يقوّم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النَّعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوماً.

وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير.

قوله/ تعالى: ﴿ليذوقَ وَبَالَ أمره﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عفا الله عمّا سَلَف﴾، يعني: قبل ١١٢/أ
التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿ومَنْ عادَ فينتقِمُ الله منه﴾، في الآخرة. ﴿والله عزيزٌ ذو انتقام﴾، وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قتل المحرم صيداً متعمداً يُسأَلُ هل قتلتَ قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال نعم لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه، فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه، ولكن يُملأ ظَهرُه وصدره ضرباً وجيعاً، وكذلك حَكم رسول الله ﷺ في وج وهو وادٍ بالطائف[2].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب فدية ما أصيب من الطير والوحش: ١/٤١٤، والشافعي في المسند: ١/ ٣٣٠ - ٣٣١، والبيهقي في السنن: ٥/١٨٣، ١٨٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٤/٢٤٥، وانظر: تلخيص الحبير: ٢/٢٧٨.

(٢) قطعه من حديث أخرجه أبو داود في المناسك، باب في مال الكعبة: ٢/ ٤٤١ - ٤٤٢، بلفظ «. . . إن صيد وَجّ وعضاهه حرم، محرّم لله . .»، والإمام أحمد في المسند برقم (١٤١٦) طبع الحلبي، وصححه أحمد شاكر.

قال المنذري: في إسناده محمد بن عبدالله بن إنسان الطائفي وأبوه، فأما محمد فسئل عنه الرازي فقال: ليس بالقوي، وفي حديثه نظر، وذكره البخاري في تاريخه الكبيرج ١ق ١/ ١٤٠، وذكر له هذا الحديث، وقال: لم يتابع عليه. وذكر أباه وأشار إلى هذا الحديث، وقال: لم يصح حديثه. =

واختلفوا في المحرم هل يجوز له أكل لحم الصيد أم لا؟ فذهب قوم إلى أنه لا يحل له بحال، ويروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول طاووس وبه قال سفيان الثوري، واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عبدالله بن عباس عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء أو بودّان، فردّه عليه رسول الله ﷺ، قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي، قال: «إنا لم نردّه عليك إلا أنّا حُرم»[1].

وذهب الأكثرون إلى أنه يجوز للمحرم أكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لأجله أو بإشارته، وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة، وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وإنما ردّ النبي ﷺ على الصعب بن جثامة لأنه ظن أنه صيد من أجله.

والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله التيمي عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة، تخلّف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا فأخذه ثم شدَّ على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأبى بعضهم فلما أدركوا رسولَ الله ﷺ سألوه عن ذلك، فقال: «إنّما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى»[2].

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن

= وقال البستي: عبدالله بن إنسان، روى عنه ابنه محمد ولم يصح حديثه.

وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢/ ٢٨٠ «سكت عليه أبو داود، وحسّنه الترمذي وسكت عليه عبد الحق، وذكر الذهبي أن الشافعي صححه، وذكر الخلّال أن أحمد ضعفه».

وقال النووي في المجموع: ٧/ ٤٤٩ «رواه البيهقي وإسناده ضعيف».

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً لم يقبل: ٤/ ٣١، وفي الهبة، ومسلم في الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، برقم (١١٩٣): ٢/ ٨٥٠، والمصنف في شرح السنة: ٧/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، باب ما جاء في التصيد: ٩/ ٦١٣، ومسلم في الحج باب تحريم الصيد للمحرم، برقم (١١٩٦): ٢/ ٨٥٢.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «لحم الصيد لكم في الإحرام حلال، مالم تصيدوه أو يُصاد لكم»[1]، قال أبو عيسى: المطلب لا نعرف له سماعاً من جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

وإذا أتلف المحرم شيئاً من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض أو طائر دون الحمام ففيه قيمة يصرفها إلى الطعام، فيتصدق به أو يصوم عن كل مُدّ يوماً، واختلفوا في الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر، رُوي ذلك عن كعب الأحبار، والأكثرون على أنها لا تحل، فإن أصابها فعليه صدقة، قال عمر: في الجراد تمرة، ورُوي عنه وعن ابن عباس: قبضة من طعام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**أحلّ لكم صيدُ البحر وطعامُه متاعاً لكم وللسيّارة**﴾، والمراد بالبحر جميع المياه، قال عمر رضي الله عنه: «صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به»[2]. وعن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتاً.

وقال قوم: هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبير وعكرمه وسعيد بن المسيب وقتادة والنخعي.

وقال مجاهد: صيده: طريُّه، وطعامه: مالحه، متاعاً لكم أي: منفعة لكم، وللسيارة يعني: المارّة.

وجملة حيوانات الماء على قسمين: سمك وغيره، أمّا السمك فميتته حلال على اختلاف أنواعها، قال النبي ﷺ: «أُحلّتْ لنا ميتتان [ودمان: الميتتان] الحوت والجراد، والدمان: [الكبد والطحال]»[3] ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبي حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء عنه ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود في المناسك، باب لحم الصيد للمحرم: ٣٦٢/٢، بلفظ «صيد البر لكم حلال..»، والترمذي في الحج، باب ما جاء في أكل لحم الصيد للمحرم: ٥٨٤/٣، والنسائي في الحج، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله حلال: ١٨٧/٥، وصححه ابن حبان، ص (٢٤٣) من الموارد، والحاكم: ٤٥٢/١، والشافعي: ٣٢٢/١ - ٣٢٣ (ترتيب المسند)، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٣/٧ - ٢٦٤.

والمطلب بن حنطب المخزومي: صدوق كثير التدليس والإرسال. وعمرو بن أبي عمرو: مختلف فيه وإن كان من رجال الصحيحين. انظر: تلخيص الحبير: ٢٦/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٨ (طبع الحلبي).

(٣) ما بين القوسين من «شرح السنة» ومن نسخة «ب»، والحديث أخرجه الشافعي في ترتيب المسند: ١٧٣/٢، وابن ماجه في الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤): ١١٠٢/٢، والدارقطني في الصيد والذبائح: ٢٧١/٤ - ٢٧٢، والإمام أحمد: ٩٧/٢ عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه البيهقي موقوفاً وقال: هذا إسناد صحيح، وهو في معنى المسند، السنن: ٢٥٤/١. وعزاه الزيلعي أيضا لعبد بن =

أمّا غير السمك فقسمان: قسم يعيش في البرّ كالضفدع والسرطان، فلا يحل أكله، وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح، فاختلف القول فيه، فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو معنى قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم إلى أن [ميت الماء كلها حلال][1]، لأنّ كلّهـا سمك، وإن اختُلفت صورها، [كالجريث][2] يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول أبي بكر وعمر وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة، وبه قال شريح والحسن وعطاء، وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي.

وذهب قوم إلى أن ما له نظير في البّر يُؤكل، فميتته من حيوانات البحر حلال، مثل بقر الماء ونحوه، ومالا يؤكل نظيره في البّر لا يحل ميتته من حيوانات البحر، مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها.

وقال الأوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال، قيل: فالتمساح؟ قال نعم.

وقال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأساً.

وظاهـر الآية حجـة لمن أباح جميع حيوانات البحر، وكذلك الحديث. أخبرنا أبو الحسن السـرخسي أنـا زاهـر بن أحمـد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن [سلمان][3] عن سعيد بن سلمة من آل بني الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبدالدار أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطّهورُ ماؤهُ الحِلُّ ميتته»[4].

= حميد وابن حبان في الضعفاء، وأعلّه بعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته من رفع الموقوفات وإسناد المراسيل، فاستحق الترك. انظر: نصب الراية: ٤/٢٠١ ـ ٢٠٢. وعزاه أيضا ابن حجر لابن مردويه في التفسير عن أبي سعيد مرفوعاً، وقال: ذكره الدارقطني في العلل... والرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أُمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع». تلخيص الحبير: ١/٢٦. وأخرجه أيضاً: المصنف في شرح السنة: ١١/٢٤٤.

(١) هذه العبارة جاءت في «ا» هكذا: (رميت الكل حلال).

(٢) في «ب»: (كالحربة).

(٣) في «ب» (سُليم).

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر: ١/٨١، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور: ١/٢٢٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الطهارة، باب ماء البحر: ١/٥٠، وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بماء البحر: =

أخبرنا عبدالواحد بن أحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرني عمر أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: غزوتُ جيش الخَبَط وأُمِّر أبو عبيدة، فجعنا جوعاً شديدا فألقى البحر حوتاً ميتاً لم نرَ مثله، يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه، فمرّ الراكب تحته. وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كلوا رزقاً أخرجه الله إليكم، أطعمونا إن كان معكم» فأتاه بعضُهم بشيء منه فأكلوه(١).

١١٢/ب قوله تعالى: ﴿وحُرّم عليكم / صيد البّر ما دمتم حُرُماً واتقوا الله الذي إليه تحشرُون﴾، صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أما صيد البّر فحرام على المحرم وفي الحرم، والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أمّا ما لا يحلّ أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم أخذه وقتله، ولا جزاء على من قتله إلا المتولد بين مالا يؤكل لحمه وما يؤكل، كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم، لأن فيه جزاء من الصيد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك

= ١/٥٠، ومالك في الموطأ: ١/٢٢، وصححه الحاكم: ١/١٤٠ - ١٤١، وابن حبان برقم (١١٩)، وأخرجه الشافعي: ١/٢٣ (ترتيب المسند) والدارقطني: ١/٣٤ - ٣٥، والمصنف في شرح السنة: ٢/٥٥. وانظر تلخيص الحبير: ١/٩ - ١٢.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة سيف البحر: ٨/٧٨ واللفظ له، ومسلم في الصيد والذبائح، باب إباحة ميتات البحر، برقم (١٩٣٥): ٣/١٥٣٥، والمصنف في شرح السنة: ١١/٢٤٦.

وقد يعجب بعض الناس من ضخامة هذه الدابة، وقد يظن بعضهم أن في هذا مبالغة، وقد يدفعه ذلك إلى تكذيب الرواية.

ونحن هنا أمام نص صحيح ووثيقة صادقة، فالحديث صحيح سنداً، إذ اتفق على تخريجه البخاري ومسلم، وهما في أعلى درجات الصحة، والحديث صحيح متناً، وإليك مثلاً قريباً من عجائب مخلوقات الله تعالى يدل على ذلك، ذكره المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي في صحيح مسلم، في الجزء الذي خصصه للفهارس: ٥/٥٨٦:

(١) نشرت جريدة الأهرام القاهرية، في العدد (٢٤٤١٩)، بتاريخ: ١٩٥٣/٩/٢٧ الصفحة الثانية، عمود ٧، تحت عنوان: «حوت يونس»:

اجتازت شوارع باريس أمس سيارة نقل طولها (٣٠) متراً. يقال إنها أطول سيارة نقل في العالم، وكانت تقل «يونس»، وهو حوت ضخم عمره (١٨) شهراً، وطوله (٢٠) متراً، ووزنه (٨٠٠٠) كيلو جرام. وقد حنطه أصحابه وقاموا بعرضه على النظارة في النرويج والسويد والدنمارك والنمسا وألمانيا. وسيعرض في باريس هذا الأسبوع لقاء أجر معلوم. وقد أضيء باطنه بالمصابيح الكهربائية ليتسنى للنظارة رؤية جوفه.

(٢) نشرت جريدة «الأخبار الجديدة» في العدد (٣٩٦) بتاريخ ١٩٥٣/٩/٢٧، الصفحة الثانية، عمود ١و٢، تحت عنوان: «حوت طوله ٢٠ متراً ووزنه ٨ أطنان الناس يدخلون بطنه، (١٠) كل دفعة:

باريس: دخل صباح اليوم «أونا» باريس دخول الفاتحين، يحرسه عشرات من رجال البوليس الراكب والراجل. أما «أونا» هذا: فهو حوت نرويجي ضخم.. ثم تابعت وصف الحوت فقالت: ويسمح للناس بدخول كرشه المضاء بالكهرباء. ويستطيع عشرة أشخاص أن يدخلوا بطنه مرة واحدة.. الخ.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهنّ جُناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»(١).

ورُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقتل المحرمُ السَّبُعَ العادي»(٢)، وعن أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «خمسٌ قتلهنّ حلال في الحرم: الحيّة والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور»(٣).

وقال سفيان بن عيينة: الكلب العقور كل سبع يعقر، ومثله عن مالك، وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل مالا يُؤكل لحمه، من الفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الأعيان المذكورة في الخبر، وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة، وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميعَ ما لا يُؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيانٍ بعضُها سباعٌ ضارية وبعضُها هوامٌ قاتلة وبعضُها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هيَ من جملة [الهوام](٤)، وإنما هي حيوان مستخبث اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم عليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿جعلَ الله الكعبةَ البيتَ الحَرامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها، والعرب تسمي كل بيت مربعٍ كعبةً، قال مقاتل: سُميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمي الكعب كعباً لنتوئه، وخروجه من جانبي

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٤/٣٤، وفي بدء الخلق، ومسلم في الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، برقم (١١٩٩): ٢/٨٥٧. والمصنف في شرح السنة: ٧/٢٦٦.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك. باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٢/٣٦٠ مطولاً، والترمذي في الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٣/٥٧٧، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في المناسك، باب ما يقتل المحرم: ٢/١٠٣٢، والامام أحمد في المسند: ٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٧/٢٦٧.
قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢/٢٧٤ «وفي إسناده زيد بن أبي زياد، وهو ضعيف».

(٣) أخرجه أبو داود في الموضع السابق نفسه، والترمذي في الموضع السابق عن عائشة، وقال: حديث حسن صحيح وفي إسناد أبي داود: ابن عجلان. ويتقوى بالحديث السابق وغيره.

(٤) في «ب»: (السباع).

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٩٩ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ
وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
۝١٠٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ
يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٠١﴾

القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديُها: تكعّبت. وسمي البيت الحرام: لأن الله تعالى حرّمه وعظّم حرمته. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرّم مكةَ يومَ خلقَ السمواتِ والأرض»[1] ﴿قياماً للنّاس﴾، قرأ ابن عامر ﴿قيماً﴾ بلا ألف والآخرون: «قياماً» بالألف، أي: قواماً لهم في أمرِ دينهم ودنياهم، أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يُجبى إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرام، قال الله تعالى: (أوَ لمْ يروا أنّا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناسُ منْ حولهم) (العنكبوت ـ ٦٧) ﴿والشهرَ الحرامَ﴾، أراد به الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياماً للنّاس يأمنون فيها القتال، ﴿والهدي والقلائد﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي، فذلك القوام فيه.

﴿ذلك لتعلمُوا أنّ الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأنّ الله بكل شيءٍ عليم﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟ قيل: أراد أن الله عزّ وجلّ جعل الكعبة قياماً للنّاس لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله (سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين)، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله ﴿ذلك لتعلموا أنّ الله يعلم ما في السمواتِ وما في الأرض﴾ راجع إليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعلموا أنّ الله شديدُ العقاب، وأنّ الله غفورٌ رحيم﴾.

﴿ما على الرسولِ إلاّ البلاغ﴾، [التبليغ][2]، ﴿والله يعلم ما تُبدون وما تكتمون﴾.

﴿قلْ لا يستوي الخبيثُ والطيب﴾، أي الحلال والحرام، ﴿ولو أعجبك﴾، سرّك ﴿كثرةُ

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب رقم (٣٥): ٨/٢٦، ومسلم بنحوه في الحج، باب تحريم مكة وصيدها، برقم (١٣٥٣): ٢/٩٨٦، والمصنف في شرح السنة: ٧/٢٩٤.

(٢) ساقط من «ب».

﴿الخبيث﴾، نزلت في شريح بن [ضبيعة][1] البكري، وحجاج بن بكر بن وائل[2]، ﴿فاتَّقُوا اللّهَ﴾ـ، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين، وقد مضت القصة في أول السورة، ﴿يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنُوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم﴾، الآية أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حفص بن عمر أنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: سألوا رسول الله ﷺ حتى أَحْفَوْهُ بالمسألة، فغضب فصعِد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيَّنْتُه لكم»، فجعلتُ أنظر يميناً وشمالاً فإذا كلُّ رجلٍ لافٌ رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاَحَى الرجالَ يُدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال «حُذَافةُ»: ثم أنشأ عمر، فقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إني صُوِّرتْ لي الجنةُ والنّارُ حتى رأيتهما وراء الحائط»، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم﴾[3]

قال يونس عن ابن شهاب: أخبرني عبيدالله بن عبدالله قال: قالت أم عبدالله بن حذافة لعبدالله بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك، أأَمِنْتَ أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبدالله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته[4]. ورُوي عن عمر قال: يا رسول الله إنّا حديثو عهد بجاهلية فاعفُ عنا يعف الله سبحانه وتعالى عنك، فسكن غضبه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الفضل بن سهل أخبرنا أبو النضر أنا أبو خيثمة أنا أبو جويرية عن ابن عباس قال: كان

---

(١) في «أ»: (ضبعة) وهو خطأ.

(٢) انظر فيما سلف، سبب نزول الآية الثانية من السورة، ص (٧-٨).

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب التعوذ من الفتن: ١٣/٤٣، ومسلم في الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، برقم (٢٣٥٩): ٤/١٨٣٣ - ١٨٣٤.

ومعنى أَحْفَوه: أي أكثروا في الإلحاح والمبالغة فيه. يقال: أحفى وألحف وألحَّ، بمعنى. و«لاحى»: من الملاحاة وهي المماراة والمجادلة. و «أنشأ»: أي ابتدأ.

(٤) انظر: صحيح مسلم في الموضع السابق.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: مَنْ أبي؟ ويقول الرجل تضلّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها[1]. ورُوي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت: (ولِلّهِ على النّاسِ حجُّ البيت) قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «ما يُؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤكم﴾[2] أي: إن تظهر لكم تسؤكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فيسوءه، ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح.

وقال مجاهد[3]: نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحَام، ألا تراه ذكرها بعد ذلك؟ ﴿وإنْ تسألوا عنها حين يُنزّلُ القرآنُ تُبْدَ لكم﴾، / معناه صبرتم حتى ينزل القرآن ١١٣/
بحكم من فرض أو نهي أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتم عنها حينئذ تُبد لكم، ﴿عفا اللّهُ عنها والله غفورٌ حليم﴾.

﴿قدْ سألها قومٌ من قبلكم﴾، كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾، فأُهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة المائدة، باب «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»: ٨/٢٨٠.

(٢) أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه في تفسير سورة المائدة: ٨/٤٢٠ وقال هذا حديث حسن غريب من حديث علي. وابن ماجه في المناسك، برقم (٢٨٨٤): ٢/٩٦٣، قال في تحفة الأحوذي: «وهو منقطع».
وأصل الحديث في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧): ٢/٩٧٥، وعند المصنف في شرح السنة: ٧/٣. وانظر: الدر المنثور: ٣/٢٠٦.

(٣) قارن بالدر المنثور للسيوطي: ٣/٢٠٨ فقد ذكر عن مجاهد أنها نزلت في السؤال عن الحج، كما سبق، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(١)

قوله عز وجل: ﴿ما جعلَ اللّهُ منْ بَحيرةٍ﴾ أي: ما أنزل الله ولا أمرَ به، ﴿ولا سائبةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ﴾، قال ابن عباس في بيان هذه [الأوضاع](٢): البحيرة هي الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها، أي: شقُّوها وتركوا الحمل عليها وركوبها، ولم يجزّوا وَبَرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكراً نحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذنها، أي: شقّوها وتركوها وحُرّم على النساء لبنها ومنافعها، وكانت منافعها خاصة للرجال، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء.

وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة إناثاً سُيّبت فلم يُركب ظهرُها ولم يُجزّ وبرُها ولم يشرب لبنَها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلي سبيلها مع أمّها في الإبل، فلم تُركب ولم يُجزّ وبرُها ولم يشربْ لبنَها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة.

وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يُسيّب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض وغاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله تعالى أو شُفي مريضي أو ردَّ غائبي، فناقتي هذه سائبة، ثم يسيّبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحدٌ فكانت بمنزلة البحيرة.

وقال علقمة: هو العبد يُسيّب على أن لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث. وقال ﷺ: «إنّما الولاء لمن أعتق»(٣).

والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة، وهي المسيبة، كقوله تعالى (ماء دافق) أي: مدفوق (وعيشة راضية).

(١) أخرجه الدارقطني مرفوعاً عن أبي ثعلبة، في السنن: كتاب الرضاع: ١٨٤/٤، وحسنه النووي في الأربعين، وأخرجه أيضاً عن أبي سعيد الخدري: ٢٩٨/٤ وفيه قصة في سندها: نهشل الخراساني، قال اسحاق بن راهويه: كان كذاباً. وقال أبو حاتم: متروك.
قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث من رواية مكحول عن أبي ثعلبة. وله علتان:
إحداهما: أن مكحولاً لم يصح له سماع من أبي ثعلبة.
والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة. وقد روي معنى الحديث مرفوعاً من وجوه أخر. خرجه البزار في مسنده، والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، والبزار، وقال: إسناده حسن ورجاله موثقون. وعزا حديث أبي ثعلبة للطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح، انظر: جامع العلوم والحكم ص (٢٦٠ - ٢٦١)، مجمع الزوائد: ١٧١/١.

(٢) في «ب»: (الأوضاح).

(٣) أخرجه البخاري في الفرائض، باب الولاء لمن أعتق: ٣٩/١٢، وفي العتق، ومسلم في العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، برقم (١٥٠٤): ١١٤١/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٤٨/٨.

وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكراً وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا.

وأما الحَام: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهرُه فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلأ ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يُسيّبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

قال أبو هريرة: [قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَه في النار، وكان أول من سيّب السوائب»(١).

رَوى محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة](٢): قال: قال رسول الله ﷺ لأكثم بن جون الخزاعي: «يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحي بن قمعة [بن خِنْدَق](٢) يجر قصبه في النار فما رأيت من رجلٍ أشبه برجلٍ منك به ولا به منك» وذلك أنه أول من غيّر دين إسماعيل ونصبَ الأوثان وبحرَ البحيرة وسيّب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحام، «فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه»، فقال أكثم: أيضرُّني شبهه يا رسول الله؟ فقال: «لا إنك مؤمن وهو كافر»(٣).

قوله عز وجل: ﴿ولكنّ الذينَ كفرُوا يفترونَ على اللهِ الكذب﴾، في قولهم الله أمرنا بها ﴿وأكثرهُم لا يعقلون﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام»: ٨/٢٨٣، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، برقم (٢٨٥٦): ٤/٢١٩١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١١/١١٨، وابن اسحاق في السيرة: ١/٧٦، ونسبه ابن حجر أيضا لابن أبي عروبة وابن منده من طريق ابن اسحاق، ثم قال: والحديث مخرج عند مسلم من طريق سهيل بن صالح عن أبيه أخصر منه، دون قصة أكثم (وهو يشير إلى الحديث السابق). انظر: الاصابة: ١/١٠٧، أسد الغابة: ١/١٣٣، تفسير ابن كثير: ٢/١٠٨، البداية والنهاية: ٢/١٨٧ - ١٨٩.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وإذا قيلَ لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿قالوا حسبنا ما وجدْنا عليه آباءَنا﴾ من الدين، قال الله تعالى: ﴿أو لو كانَ آباؤُهم لا يعلمُون شيئاً ولا يهتدُون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا عليكمْ أنفسَكم لا يضرُكمْ منْ ضلّ إذا اهتديتُم﴾ روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسَكُم لا يضرُكم منْ ضلّ إذا اهتديتم﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيّروه يُوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»(١).

وفي رواية «لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليستعملنَّ اللّهُ سبحانه وتعالى عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعونَّ اللّهَ عزّ وجلّ خياركم فلا يُستجاب [لكم](٢)»(٣).

قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية على غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر](٢)، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الامساك عن تغييره من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صُولحوا عليه، فأما

---

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ١٨٧/٦، وعزاه المنذري للنسائي، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر: ٣٨٨/٦، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أيضاً في التفسير، وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٥): ١٣٢٧/٢، وصححه ابن حبان برقم (١٨٣٧) ص (٤٥٥)، والإمام أحمد في المسند: ٥/١، ٧، وأبو بكر المروزي في مسند الصديق ص (١٢٨ ـ ١٣١)، والمصنف في شرح السنة: ٣٤٤/١٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٩٢/١٣، ورواه الطبراني في الأوسط والبزار في مسنده. قال الهيثمي: وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها.
وقال العراقي: كلا طريقيه ضعيف.
انظر: مجمع الزوائد: ٢٦٦/٧، فيض القدير: ٢٦١/٥.

الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم.

وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قُبلَ منكم فإن رُدّ عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن قد نزل منه آيٌ: قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آيٌ: قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه آيٌ يقع تأويلهنّ بعد رسول الله بيسير، ومنه آيٌ يقع تأويلهنّ في آخر الزمان، ومنه آيٌ: يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يُذق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهوا، وإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤٌ ونفسهُ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية[1].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا أبو جعفر أحمد بن محمد العنزي أخبرنا عيسى بن نصر أنا عبدالله بن المبارك أنا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو / بن جارية اللخمي ١١٣/
أنا أبو أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلتُ: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أيّةُ آية؟ قلت: قول الله عزّ وجلّ ﴿عليكم أنفسَكُم لا يضركم منْ ضَلّ إذا اهتديتُم﴾، فقال: أمَا والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقال: «بل ائتمِرُوا بالمعروف وتناهُوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيتَ أمراً لا بدّ لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإنّ من ورائكم أيامَ الصبرِ، فمن صبر فيهنّ قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قال ابن المبارك: وزادني غيره قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»[2].

وقيل: نزلت في أهل الأهواء، قال أبو جعفر الرازي: دخل على صفوان بن محرز شابٌ من أهل الأهواء فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه: ﴿يا أيها الذينَ آمنُوا عليكم أنفسَكُم لا يضرّكم منْ ضلّ إذا اهتديتُم﴾.

---

(١) الطبري: ١١/١٤٣-١٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي: ٦/١٨٨، ١٨٩، والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٨/٤٢٣ - ٤٢٦ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في الفتن، باب قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» برقم (٤٠١٤): ٢/١٣٣٠ - ١٣٣١، وابن حبان برقم (١٨٥٠) ص (٤٥٧) وصححه الحاكم: ٤/٣٢٢ ووافقه الذهبي. وله شواهد يتقوى بها، وأخرجه أيضاً المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿إلى اللهِ مرجعُكم جميعاً﴾، الضالّ والمهتدي، ﴿فينبئُكم بما كنتُم تعملُون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا شهادةُ بينكم﴾، سبب نزول هذه الآية ما رُوي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن [بَدَّاء][1] قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام، وهما نصرانيان، ومعهما بُدَيْل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً فلما اشتدَّ وجعه أوصى إلى تميم وعدي، وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل ففتشا متاعه وأخذا منه إناءً من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمـائة مثقال فضة فغيّباه، ثم قضيا حاجتهما، فانصرفا إلى المدينة، فدفعا المتاع إلى أهل البيت، ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاؤوا تميماً وعدياً فقالوا: هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه؛ قالا: لا، قالوا: فهل اتجر تجارة؟ قالا: لا، قالوا: هل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا: لا، فقالوا: إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وإنا قد فقدنا منها إناءً من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة، قالا: ما ندري إنما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء، فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصرّا على الإنكار، وحلفا فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ﴿يا أيّها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ حينَ الوصيةِ اثنان﴾[2] أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر.

قيل: معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنين،

(١) في المخطوطتين (زيد) وهو خطأ. والتصويب من الترمذي وغيره.

(٢) انظر: الترمذي، تفسير سورة المائدة: ٨/٤٢٦ ـ ٤٣١، فقد ساق الرواية وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح. وأبو النَّضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي: محمد بن السائب الكلبي، وقد تركه أهل العلم بالحديث.. وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه.
وانظر: الطبري: ١١/١٨٥، أسباب النزول للواحدي ص (٢٤٥)، أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧١٣ ـ ٧١٧. وعزاه السيوطي أيضا لابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والمنسوخ وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة. انظر: الدر المنثور: ٣/٢٢٠ ـ ٢٢١.

فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان، لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال: ﴿**تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان**﴾، ولا يلزم الشاهد يمين، وجعلُ الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدتُ وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: (وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين) (النور-٢)، يريد الحضور، ﴿**ذَوَا عَدْلٍ**﴾ أي: أمانة وعقل، ﴿**منكم**﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿**أو آخَرَانِ من غيركم**﴾، أي: من غير دينكم وملّتكم في قول أكثر المفسرين، قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعبيدة.

ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية[1] فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت.

وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين.

وقال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يُشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتُهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلّا على وصية في سفر.

وعن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدِمَا الكوفة بتركته وأتيا الأشعري، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد النبي ﷺ فأحلفهما، وأمضى شهادتهما.

وقال آخرون: قوله ﴿**ذوا عدل منكم**﴾ أي: من حي الموصي أو آخران من غير حيّكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿**إن أنتم ضربتُم**﴾، أي سرتُم وسافرتُم، ﴿**في الأرضِ فأصابتْكم مصيبةُ الموتِ**﴾، فأوصيتُم إليهما ودفعتُم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادّعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أنْ ﴿**تحْبِسُونَهُما**﴾، أي: تستوقفونهما، ﴿**من بعد الصّلاةِ**﴾، أي: بعد الصلاة، و﴿**من**﴾ صلة يريد بعد صلاة العصر، هذا

(١) انظر بالتفصيل: أحكام القرآن للجصاص: ١٦٣/٤ وما بعدها، أحكام القرآن للطبري الهراس ٣/٣١٠-٣١٤، أحكام القرآن للشافعي، جمع البيهقي: ١٤٧/٢-١٥٥.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾

قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين، لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال الحسن: أراد من بعد صلاة الظهر، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فيُقْسمان﴾، يحلفان، ﴿باللّهِ إنِ ارْتَبْتُم﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لا نشتري به ثمناً﴾، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده، ﴿ولو كان ذا قُرْبَى﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة منّا، ﴿ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللّهِ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب ﴿شهادة﴾، بتنوين، ﴿الله﴾ ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر ﴿شهادة﴾، بتنوين، ﴿الله﴾ بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إنّا إذاً لَّمِنَ الآثمين﴾، أي إن كتمناها كنّا من الآثمين.

فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميماً وعدياً فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئاً مما دُفع إليهما فحلفا على ذلك، وخلّى رسول الله ﷺ سبيلهما.

ثم ظهر الإناء واختلفوا في كيفية ظهوره[1]، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه وجد بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي، وقال آخرون: لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا، لهما: ألم تزعما أن صاحبنا لم يبعْ
1/114 شيئاً من متاعه؟ قالا: لم يكن عندنا بينة وكرهنا / أن نقرّ لكم به فكتمناه لذلك، فرفعهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فإنْ عُثِرَ﴾، أي: اطلع على خيانتهما، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿على أنهما﴾، يعني: الوصيين ﴿استحقّا﴾، استوجبا، ﴿إثماً﴾، بخيانتهما وبأيمانهما

(١) انظر: الدر المنثور: ٣/٢٢٢.

الكاذبة، ﴿فآخرانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يقومانِ مقامَهما﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿منَ الذينَ استحقَّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذه قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عليهم﴾، أي فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم و(على) بمعنى في، كما قال الله (على ملك سليمـان) (البقـرة، ١٠٢) أي: في ملك سليمـان، وقرأ حفص (استحق) بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حقّ ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الأوْلَيَانِ﴾، نعت للآخران، أي: فآخران الأوليان، وإنما جاز ذلك و﴿الأوليان﴾، معرفة والآخران نكرة لأنه لمّا وصف الـ «آخران»، فقال ﴿من الذين﴾ صار كالمعرفة و ﴿والأوليان﴾ تثنية الأَوْلى، والأولى هو الأقـرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿الأولين﴾ بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضا أولياء الميت.

ومعنى الآية: إذا ظهرتْ خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت، ﴿فيُقسمانِ باللّهِ لَشَهادتُنَا أحقُّ من شهادتِهما﴾، يعني: يميننا أحقّ من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: (فشهادة أحدهم أربعُ شهادات بالله). (النور ـ ٦). والمراد بها الأيمان، فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿ومـا اعْتَـدَيْنَـا﴾، في أيمـاننا، وقولنا أنّ شهادتنا أحقّ من شهادتهما، ﴿إنّا إذاً لمنَ الظالمين﴾.

فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله بعد العصر فدفعا الإناء إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله وأستغفره، وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأنَ الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه.

والوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

ويُروى عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما عن تميم الداري قال: كنا بعنا الإناء بألف درهم فقسمتها أنا وعديّ، فلما أسلمت تأثمت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله ﷺ، وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي، ورددتُ أنا الخمسمائة.

(١) في رواية الترمذي السابقة في السنن: ٨/٤٢٦ ـ ٤٣١.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
١٠٩ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي
وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿ذلكَ أدنى أنْ يأتوا بالشهادةِ على وجهها﴾، أي: ذلك الذي حكمنا به من رَدّ اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أو يخافوا أنْ تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على [المدعي][1] فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم، ﴿واتّقوا اللّهَ﴾، أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا أمانة، ﴿واسمعُوا﴾، الموعظة، ﴿واللّهُ لا يهدي القومَ الفاسقين﴾.

قوله عزّ وجلّ ﴿يومَ يجمعُ اللّهُ الرُّسلَ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فيقولُ ماذا أُجبْتُم﴾، أي: ماذا أجابَتكُم أمتُكم؟ ومَا الذي ردّ عليكم قومُكم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطَاعتي؟ ﴿قالوا﴾، أي فيقولون ﴿لا علم لنا﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل: لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيّانا عن أمرٍ أنت أعلم به منّا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إنّكَ أنتَ علاّمُ الغيوب﴾، أي: أنتَ الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا عبدالعزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنّ عليّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتُهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقال:

(١) في «ب»: (المدعين).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

لا تدري ما أحدثوا بعدك»(1).

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي: إن للقيامة أهوالاً وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها، فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب، ثم بعدما ثابت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قال اللَّهُ يا عيسى ابْنَ مريمَ اذْكُر نعمتي عليك﴾، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله ﴿نعمتي﴾، أي نعمي، [قال الحسن]:(2) لفظه واحد ومعناه جمع، كقوله تعالى (وإنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحصُوها)، ﴿وعلى والدتِكَ﴾، مريم ثم ذكر النعم فقال: ﴿إذ أيدتُّكَ﴾، قويتك، ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿تكلّم النّاس﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿في المهدِ﴾، صبيا، ﴿وكهلاً﴾، نبياً قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه، ﴿وإذْ علمتُكَ الكتابَ﴾، يعني الخط، ﴿والحكمةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿والتوراة والإنجيل وإذْ تخلق﴾، تجعل وتصوّر، ﴿من الطين كهيئة الطير﴾، كصورة الطير، ﴿بإذني فتنفخُ فيها فتكونُ طيراً﴾، حيّاً يطير، ﴿بإذني وتُبرِيءُ﴾، وتصحح، ﴿الأكْمَهَ والأبْرَصَ بإذني وإذ تخرجُ الموتى﴾، من قبورهم أحياء، ﴿بإذني وإذْ كَفَفْتُ﴾، منعت وصرفت، ﴿بني إسرائيل﴾، يعني اليهود، ﴿عنك﴾، حين همُّوا بقتلك، ﴿إذْ جئتَهم بالبينات﴾، يعني: الدلالات والمعجزات، وهي التي ذكرنا.

﴿فقالَ الذينَ كفرُوا منهمْ إن هذا إلا سحرٌ مبين﴾، يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي ﴿ساحر مبين﴾ ها هنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعاً إلى محمد ﷺ.

﴿وإذْ أوحيتُ إلى الحواريين﴾، ألهمتُهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة يعني أمرت

(1) أخرجه البخاري في الرقاق، باب في الحوض... 11/464، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم (2304): 4/1800.

(2) زيادة من «ب».

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

و﴿إلى﴾ صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أنْ آمنُوا بي وبرسولي﴾، [عيسى][1] ﴿قالوا﴾ حين وفقتهم ﴿آمنّا واشهد بأنّنا مسلمون﴾.

﴿إذْ قالَ الحواريونَ يا عيسى ابْنَ مريم هلْ يستطيعُ ربُّك﴾ قرأ الكسائي «هل تستطيع» بالتاء «ربَّك» بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك، وقرأ الآخرون «هل يستطيع» بالياء و«ربُّك» برفع الباء، ولم يقولوه شاكين في قدرة الله عزّ وجلّ، ولكن معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقولهم: أجاب واستجاب، معناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر / ، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا ١١٤/ب
بشراً، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط، استعظاماً لقولهم ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ أي: لا تشكّوا في قدرته.

﴿أنْ ينزّل علينا مائدةً مّنَ السماء﴾، المائدة الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مادَهُ يميدُهُ إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميره، وامتاد: افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للآكلين الطعام، وسمي الطعام أيضاً مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سُميت مائدة لأنها تميد بالآكلين، أي: تميل. وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعول، أي تميد بالآكلين إليها، كقوله تعالى (عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿قال﴾، عيسى عليه السلام مجيباً لهم: ﴿اتّقُوا اللّهَ إنْ كنتُم مؤمنين﴾، فلا تشكّوا في قدرته، وقيل: اتقوا اللّهَ أن تسألوه شيئاً لم يسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

﴿قالوا نُريد﴾، أي: إنّما سألنا لأنّا نُريد، ﴿أنْ نأكل منها﴾، أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن

(١) ساقط من (ب).

قدرته، ﴿وتطمئنَّ﴾، وتسكن، ﴿قلوبُنا ونَعْلَمَ أنْ قَدْ صَدقتَنَا﴾، بأنّك رسول الله، أي: نزداد إيماناً ويقيناً، وقيل: إن عيسى ابن مريم أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً، فإذا أفطروا لا يسألون الله شيئاً إلّا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: «ونعلم أن قد صدقتنا» في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى شيئاً إلّا أعطانا، ﴿ونكونَ عليها منَ الشاهدين﴾ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

﴿قال عيسى ابْنُ مريم﴾، عند ذلك، ﴿اللَّهُمَّ ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء﴾، وقيل: إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغضّ بصره وبكى، ثم قال: اللهم ربَّنا أنزل علينا مائدةً من السماء، ﴿تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيداً لأنهما يعودان كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أُنزلتْ فيه عيداً لأوّلنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله ﴿لأوّلنا﴾ أي: لأهل زماننا ﴿وآخرنا﴾، أي لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، ﴿وآيةً منك﴾، دلالة وحجة، ﴿وارزقْنَا وأنْتَ خَيْرُ الرازقين﴾.

﴿قال الله﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام، ﴿إني منزلها عليكم﴾، يعني: المائدة وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم «منزّلها» بالتشديد لأنها نزلت مرات، والتفعيل يدل على التكرير مرةً بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله: أنزل علينا، ﴿فمن يكفرْ بعد منكم﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فإني أعذبه عذاباً﴾، أي: جنس عذاب، ﴿لا أعذبه أحداً من العالمين﴾، يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمُسِخُوا قردة وخنازير، قال عبدالله بن عمرو: إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون[1].

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن: لم تنزل لأن الله عزّ وجلّ لمّا أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، وقوله: «إني منزلها عليكم»، يعني: إن سألتم[2].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري موقوفاً على عبدالله بن عمرو: ٢٣٣/١١، وصححه الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير. وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد وأبي الشيخ موقوفاً كذلك. الدر المنثور: ٢٣٧/٣.

(٢) ما ذهب إليه مجاهد والحسن رحمهما الله ـ رأي مرجوح، لم يستندا فيه إلى خبر صحيح. وهو مخالف لنص الآية «إني منزلها عليكم». ولذلك رجح البغوي وغيره رأي الجمهور، وهو الصحيح.

والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنها نزلت، لقوله تعالى: «إني منزّلها عليكم»، ولا خُلْفَ في خبره، لتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

واختلفوا في صفتها فرَوى خلّاس بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحماً، وقيل لهم: إنها مقيمة لكم مالم تخونوا [وتخبؤوا][1] فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤوا فمسخوا قردة وخنازير[2]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى عليه السلام قال لهم: صُومُوا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتُم يعطكموه، فصامُوا فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنّا لو عملنا لأحد فقضيناعمله لأطعمنا، وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم[3].

قال كعب الأحبار: نزلت [مائدة] منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلّا اللحم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أُنزل على المائدة كل شيء إلّا الخبز واللحم، قال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال عطية العوفي: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال الكلبي: كان عليها خبز ورز وبقل.

وقال وهب بن منبه: أنزل الله أقرصة من شعير وحيتاناً وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعُهم وفضل.

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري في التفسير عن عمار بن ياسر مرفوعاً وموقوفاً: ١١/٢٢٨، ٢٢٩، والترمذي في تفسير سورة المائدة: ٨/٤٣٣، وقال: «هذا حديث غريب، ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خِلَاس عن عمار موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قَزَعة. . . ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً».

(٣) ينبغي أن نذكر هنا بأن أصل القصة ثابت بالقرآن الكريم، ولا يتوقف فهم هذا على شيء من الروايات الكثيرة التي ساقها المفسرون لبيان صفة هذه المائدة وكيفية نزولها ووقت النزول. . . الخ هذه الروايات المنقولة عن وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وسلمان، وابن عباس، ومقاتل والكلبي وعطاء، وغيرهم. فإنها غير ثابتة الإسناد، وما قد يكون صحيح النسبة إلى قائله منها، لا يعني أنه صحيح في ذاته، فقد ينقل الخبر عن وهب مثلاً بسند ثابت، ولكنه متلقىً من أهل الكتاب، فينبغي تنزيه كتب التفسير عن أمثال هذه الروايات، ومنها ما ساقه البغوي هنا في تفسيره.

هذا، وقد أشار ابن كثير والقرطبي وابن عطية وغيرهم إلى ضعف هذه الروايات الاسرائيلية. والله أعلم.

انظر أيضا: الاسرائيليات والموضوعات د. محمد أبو شهبة ص (٢٦٦ - ٢٧٧).

وعن الكلبي ومقاتل: أنزل الله خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة، فأكلوا ما شاء الله تعالى، والناس ألف ونيف فلمّا رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، وقالوا: ويحكم إنما سحر أعينكم، فمن أراد الله به الخير ثبَّته على بصيرته، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره، ومسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل ممسوخ.

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمنِّ والسلوى لبني إسرائيل، وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفاً وبكى، وقال: «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء» الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين: أنت أولى بذلك منّا [فقام عيسى عليه السلام][1] فتوضأ وصلّى صلاة طويلة وبكى كثيراً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد،
١١٥/أ فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من / طعام الآخرة؟ فقال: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتم يمددكم ويزيدكم من فضله، قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين، فقال: كلوا من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء، فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزَمِن ومُبتلى كلهم شبعان، وإذا السمكة بهيئتها حين نزلت، ثم طارت سفرة المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت، فلم يأكل منها زَمِنٌ ولا مريض ولا مبتلى إلا عُوفي ولا فقير إلّا استغنى، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، فإذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء، ولا تزال منصوبة يؤكل

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

منها حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم، وكانت تنزل غباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كناقة ثمود، فأوحى الله تعالى [إلى عيسى عليه السلام](١): اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكّوا وشكّكُوا الناسَ فيها، وقالوا: أترون المائدة حقاً تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: (إنْ تعذبْهم فإنهم عبادك وإن تغفرْ لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم) فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكنّاسات، ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابْنَ مريم أأنتَ قلتَ للنّاس اتخذوني وأميَ إلهين مِنْ دُونِ الله﴾، واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف «إذْ» يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله [من قبل](١): (يوم يجمع الله الرسل) (المائدة، ١٠٩). وقال من بعدها (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (المائدة، ١١٩)، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء «إذْ» بمعنى «إذا» كقوله عزّ وجلّ: (ولو ترى إذ فزعوا) أي: إذا فزعوا [يوم القيامة](١)، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة.

قوله: ﴿أأنت قلتَ للنّاس اتخذوني وأميَ إلهين منْ دُونِ الله﴾؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟

قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً.

وأيضاً: أراد الله عزّ وجلّ أنْ يقرَّ [عيسى عليه السلام عن][1] نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيبا لله عزّ وجلّ: ﴿قال سبحانَكَ﴾، تنزيهاً وتعظيماً لك ﴿ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍ إنْ كنتُ قلتُهُ فقدْ علمتَه تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِكَ﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل معناه: تعلم سرِّي ولا أعلَم سرَّك، وقال أبو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة، وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك، ﴿إنّك أنتَ علاّمُ الغُيوب﴾، ما كان وما يكون.

﴿ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أنِ اعبدُوا الله رَبي وربكم﴾، [وحِّدوه][2] ولا تُشركوا به شيئاً، ﴿وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ﴾، أقمت، ﴿فيهِمْ فلمّا توفيتني﴾، قبضتني ورفعتني إليك، ﴿كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾ والحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم، ﴿وأنتَ على كل شيء شهيد﴾.

قوله تعالى: ﴿إنْ تُعذبهمْ فإنهم عبادُكَ وإنْ تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾، فإن قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم على قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «ب».

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

وأما السؤال الثاني: فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ وإن تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرحيم، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزّك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبدالأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: «ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس فمنْ تبعني فإنه مني»، الآية. وقول عيسى عليه السلام: «إنْ تعذبهم فإنهم عبادك وإنْ تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» فرفع يديه وقال: اللهم أمتي وبكى فقال الله عزّ وجلّ: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربُّك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبر رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك»[1].

١١٥/ب ﴿قالَ اللّهُ هذا يوم ينفع الصادقين صدقُهم﴾، / قرأ نافع ﴿يوم﴾ بنصب الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر ﴿هذا﴾ أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا، وقيل: أراد بالصادقين النبيين.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته، وبكائه شفقة عليهم، برقم (٢٠٢): ١/١٩١، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٦٥ - ١٦٦.

وقال الكلبي: ينفع المؤمنين إيمانهم، قال قتادة: متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام، وهو ما قصّ الله عز وجل، وعدو الله إبليس، وهو قوله: «وقال الشيطان لمّا قضي الأمر»، الآية. فصدق عدو الله يومئذٍ، وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقاً في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه.

وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بيّن ثوابهم فقال: ﴿لهم جنّـاتٌ تجـري من تحتهـا الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضُوا عنه ذلك الفوزُ العظيم﴾، ثم عظّم نفسه. فقال: ﴿لله ملكُ السموات والأرض وما فيهنّ وهو على كل شيء قدير﴾.

سورة الأنعام

مكية، وهي مائة وخمس وستون آية، نزلت بمكة [جملة][1] ليلاً معها سبعون ألف ملك قد سدُّوا ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد، فقال النبي ﷺ «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخرّ ساجداً»[2].

ورُوي مرفوعاً: «من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملكٍ ليله ونهاره»[3].

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة الأنعام بمكة، إلّا قوله: «وما قدَرُوا الله حقَّ قدره»، إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: «قلْ تعالوا أتْلُ»، إلى قوله: «لعلكم تتقون»، فهذه الستّ آيات مدنيات[4].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

﴿الحمدُ لله الذي خلَقَ السمواتِ والأرضَ﴾، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة. قوله: «الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» الآية (الاسراء - ١١١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: (الحمد لله الذي خلقَ السمواتِ والأرض)، وختمه بالحمد فقال: (وقضي بينهم بالحق)، أي: بين الخلائق، (وقيل: الحمد

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣/٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) أخرجه الثعلبي من حديث أُبيّ بن كعب. وفيه: أبو عصمة، وهو متهم بالكذب. وأوله عند الطبراني في الصغير. . . وفيه: يوسف بن عطية وهو ضعيف، وعنه أخرجه ابن مردويه في التفسير، وأبو نعيم في الحلية.
انظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (٦٣)، الدر المنثور: ٣/٢٤٦.

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس. الدر المنثور: ٣/٢٤٤.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

لله رب العالمين) [الزمر-٧٥].

قوله: «الحمد لله» حمد الله نفسه تعليماً لعباده، أي: احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصّهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وجعلَ الظلمَاتِ والنور﴾، والجعل بمعنى الخلق، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار.

وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم.

وقال قتادة: يعني الجنة والنار.

وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه قد خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض.

قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار، ورُوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأة ضلَّ»[(١)].

﴿ثمّ الذينَ كفرُوا بربهم يعدِلُون﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدول، قال الله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) أي: منها.

وقيل: تحت قوله «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» معنى لطيف، وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضّلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هو الذي خلقكمْ منْ طين﴾، يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب افتراق هذه الأمة: ٤٠١/٧، وقال: هذا حديث حسن. وصححه ابن حبان ص (٤٤٩) والحاكم: ٣٠/١، ٣١. وأخرجه الإمام أحمد: ١٧٦/٢، ١٩٧.

قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات. مجمع الزوائد: ١٩٤/٧. وذكره الخطيب في مشكاة المصابيح: ٣٧/١ وصححه الألباني.

ولده. قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني، فرجع جبريل ولم يأخذ وقال: يا ربِّ إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعاذت فرجع، فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفتْ ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمرّ، فلذا اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرمَ أَجْعَلُ أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.

ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمأً مسنوناً ثم خلقه وصوّره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار، ثم نفخ فيه روحه»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ثم قضى أجلاً وأجلٌ مُسَمًّى عنده﴾، قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، ورُوي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان بَرّاً تقياً وَصُولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثم قضى أجلاً﴾ يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿وأجلٌ مسمّىً عنده﴾، يعني: أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: [ثم قضى أجلاً][2] يعني: جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، «وأجل مسمى عنده» يعني: وهو أجل مسمىً عنده، لا يعلمه غيره، ﴿ثم أنتم تمترُون﴾، تشكّون في البعث.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وهو اللّهُ في السمواتِ وفي الأرضِ﴾، يعني: وهو إله السموات والأرض، كقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرضِ إله)، وقيل: هو المعبود في السموات والأرض، وقال محمد بن جرير: معناه هو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الأرض، [وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير تقديره: وهو الله، ﴿يعلم سِركم وجهركم﴾، في السموات والأرض][3]، ﴿ويعلمُ ما تَكْسِبُون﴾، تعملون من الخير والشر.

---

(١) رواه أبو يعلى، وفيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد: ١٩٧/٨.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

﴿وما تأتيهم﴾، يعني: أهل مكة، **﴿من آيةٍ مِّنْ آياتِ ربِّهم﴾**، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، **﴿إلا كانُوا عنها مُعْرِضين﴾**، لها تاركين بها مكذبين.

﴿فقد كذّبوا بالحقّ﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، **﴿لمّا جاءهُمْ فسوفَ يأتيهم أنباءُ ما كانُوا به يستهزئون﴾**، أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة/ استهزائهم إذا عُذِّبوا. ١١٦/ أ

قوله عزّ وجل: **﴿ألمْ يرَوْا كمْ أهلكنا من قَبْلِهِمْ من قَرْنٍ﴾**، يعني الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوي أنّ النبي ﷺ قال لعبدالله بن بُسْر المازني: «إنكَ تعيشُ قرناً»، فعاش مائة سنة[1].

فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرنٍ، **﴿مكّناهم في الأرض مالم نمكّن لكم﴾**، أي: أعطيناهم مالم نعطكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكّنتهُ ومكنتُ له، **﴿وأرسلنا السماء عليهم مِّدْراراً﴾** يعني: المطر، مِفْعَال، من الدَّر، قال ابن عباس: مدراراً أي: مُتتابعاً في أوقات الحاجات، وقوله: «مالم نمكّنْ لكم» من خطاب التلوين، رجع من الخبر من قوله: «ألم يَرَوْا» إلى خطابٍ، كقوله: (حتى إذا كنتُم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم) [يونس،٢٢].

وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله «ألم يروا» وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبدالله ما أكرمه، وقلت، لعبدالله ما أكرمك، **﴿وجعلْنَا الأنهارَ تجري من تحتهمْ فأهلكنَاهُمْ بذنوبهمْ وأنشأنَا﴾** خلقْنَا وابتدأنا، **﴿من بعدهم قرناً آخرين﴾**.

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير، ص (٩٣). وانظر: الاصابة: ٢٣/٤، أسد الغابة: ١٢٥/٣.

وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ
مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِى
ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قِرْطَاسٍ﴾ الآية، قال الكلبي ومقاتل[1]: نزلت في النضر بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ مكتوباً من عندي، ﴿فلمسُوه بأيديهِمْ﴾، أي: عاينوه ومسّوه بأيديهم، وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من [الرؤية][2] فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لقالَ الذينَ كفرُوا إنْ هذا إلاّ سحرٌ مبين﴾، معناه: لا ينفع معهم شيء لِمَا سبق فيهم من علمي.

﴿وقالوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عليه﴾، على محمد ﷺ، ﴿مَلَكٌ ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾، أي: لوجب العذاب، وفُرِغ من الأمر، وهذا سنّة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استُؤصلوا بالعذاب، ﴿ثم لا يُنظرون﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة، لو أنزلنا ملكاً ثم لم يُؤمنوا لعُجّل لهم العذاب ولم يُؤخرُوا طرفةَ عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحّاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتُوا.

﴿ولو جعلنَاه مَلَكاً﴾، [يعني: لو أرسلنا إليهم ملكاً][3]، ﴿لجعلناه رجلاً﴾، يعني في صورة [رجل][3] آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولَلَبَسْنَا عليهم ما يَلْبِسُون﴾، أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبّهنا عليهم فلا يدرون أملَكٌ هو أم آدمي، وقيل معناه شَبّهوا على ضعفائهم فشبّه عليهم، وعن ابن عباس رضي الله

---

(١) انظر: أسباب النزول ص (٢٤٦)، تفسير القرطبي: ٣٩٣/٦.
(٢) في «ب» (المعاينة).
(٣) زيادة من «ب».

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

عنهما قال: هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري ﴿وللبسنا﴾ بالتشديد على التكرير والتأكيد.

﴿ولقد استهزىء برُسُلٍ مِّن قبلك﴾، كما استهزىء بك يا محمد يعزّي نبيه ﷺ، ﴿فحَاقَ﴾، قال الربيع [بن أنس][1]: فنزل، وقال عطاء: حلّ، وقال الضحّاك: أحاط، ﴿بالذين سخرُوا منهم ما كانوا به يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

﴿قل﴾، يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين، ﴿سيروا في الأرض﴾، معتبرين، يحتمل هذا: السيرَ بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام، ﴿ثم انظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ المُكذّبين﴾، أي: آخر أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، فحذّر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قلْ لمنْ ما في السمواتِ والأرض﴾، فإن أجابوك وإلّا فـ﴿قُلْ﴾، أنتَ، ﴿لله﴾، أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وآكد في الحجة، ﴿كتبَ﴾، أي: قضى، ﴿على نفسِهِ الرحمةَ﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولّين عنه إلى الإقبال عليه وإخباره بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى اللّهُ الخلقَ كتبَ كتاباً فهو عنده فوق العرش: إنّ رحمتي غلبت غضبي»[2].

وروى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: «إنّ رحمتي [سبقتْ][3] غضبي[4].

(١) زيادة من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى «ويحذركم الله نفسه»: ١٣/٣٨٤ وفي مواضع أخرى، ومسلم في التوبة باب في سعة رحمة الله، رقم (٢٧٥١): ٤/٢١٠٧، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٧٦.

(٣) في «ب»: (وسعت).

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين»: ١٣/٤٤٠.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكُرْكاني أنا أبو طاهر الزيادي أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحمن المروزيّ أخبرنا عبدالله بن المبارك أنا عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله مائةَ رحمةٍ واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تتعاطف الوحوش على أولادها، وأخَّرَ الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلَّب ثديها، تسعى إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟ فقلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: اللَّهُ أرحم بعبادهِ منْ هذهِ بولدِها»(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ليجمعنّكم﴾، اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازه: والله ليجمعنّكم، ﴿إلى يومِ القيامة﴾، أي: في يوم القيامة، وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿لا ريبَ فيهِ الذينَ خسرُوا﴾، غبنوا، ﴿أنفسهم فهم لا يُؤمنون﴾.

﴿ولهُ ما سكنَ في الليلِ والنهارِ﴾، أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله: (سرابيل تقيكم الحرّ) أي: الحرّ والبرد، وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، قال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض. وقيل معناه: ما يمرّ عليه الليل والنهار، ﴿وهو السميعُ﴾، لأصواتهم، ﴿العليمُ﴾ بأسرارهم.

قوله تعالى: ﴿قلْ أغيرَ الله أتخِذُ ولياً﴾؟ وهذا حين دعا إلى / دين آبائه، فقال تعالى: قل يا ١١٦/ب

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء: ١٠/٤٣١، ومسلم في التوبة، في الموضع السابق (٢٧٥٢): ٢١٠٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: ١٠/٤٢٦ - ٤٢٧، ومسلم في التوبة في الموضع نفسه برقم (٢٧٥٤): ٢١٠٩/٤، والمصنف: ١٤/٣٧٩.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

محمد أغير الله أتخذ ولياً، [ربّاً ومعبوداً وناصراً ومُعيناً][1]؟ ﴿فَاطِرِ السّموات والأرض﴾، أي: خالقهما ومُبدعهما ومبتديهما، ﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَم﴾، أي: وهو يرْزق ولا يُرزَق، كما قال: (ما أُريد منهم مِنْ رزقٍ وما أُريد أنْ يُطعمون). ﴿قل إني أُمِرْتُ أنْ أكون أوّلَ مَنْ أسلم﴾، يعني: من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿ولا تكوننَّ﴾، يعني: وقيل لي ولا تكوننّ، ﴿من المشركين﴾.

﴿قلْ إني أخاف إنْ عصيتُ ربي﴾، [فعبدتُ غيره][1] ﴿عذاب يوم عظيم﴾، يعني: عذاب يوم القيامة.

﴿منْ يصرفْ عنه﴾، يعني: من يُصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿يصرف﴾ بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرفِ اللهُ عنه العذابَ، لقوله: «فقد رحمه» وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿يومئذ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿فقدْ رَحِمَهُ وذلك الفوزُ المبين﴾، أي: النجاة البينة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ يَمْسَسْكَ الله بضرٍ﴾ بشدة وبلية، ﴿فلا كاشف له﴾، لا رافع، ﴿إلاّ هو وإنْ يَمْسَسْكَ بخيرٍ﴾، عافية ونعمة، ﴿فهو على كل شيء قدير﴾، من الخير والضر.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو عبدالله السلمي أنا أبو العباس الأصم أنا أحمد بن شيبان الرملي أنا عبدالله بن ميمون القدّاح أنا شهاب بن خراش، [هو ابن عبدالله][1] عن عبدالملك بن عمير عن ابن عباس قال: أهدي للنبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً ثم التفت إليّ فقال: يا غلام، فقلتُ: لبيك يا رسولَ الله، قال: «احفظِ الله يحفظك، احفظِ الله تجدْهُ أمامك، تعرّفْ إلى اللّهِ في الرخاء يعرفْك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله

(١) زيادة من «ب».

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾

تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك، ما قدروا عليه، فإن استطعتَ أن تعملَ بالصبر مع اليقين، فافعلْ فإن لم تستطع فاصبرْ فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكرب الفرج، وأنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[1].

﴿وهوَ القَاهِرُ فوقَ عبادِهِ﴾، القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير الذي يُجْبِرُ الخلقَ على مُراده، فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عزْ وجلّ. ﴿وهو الحكيمُ﴾، في أمره، ﴿الخبيرُ﴾، بأعمال عباده.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادة﴾؟ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنّا لا نرى أحداً يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قلْ أيُّ شيءٍ أكبر﴾، أعظم، ﴿شهادة﴾؟ فإن أجابوك، وإلاّ ﴿قلِ اللّهُ﴾ هو ﴿شهيدٌ بيني وبينكم﴾، على ما أقولِ، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿وأُوْحِيَ إليّ هذا القرآنُ لأُنْذِركَم به﴾، لأخوّفكم به يا أهل مكة، ﴿ومَنْ بَلَغَ﴾، يعني: ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن الحنفي أنا محمد بن بشر بن محمد المزني أنا أبو بكر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند من رواية حنش الصنعاني عن ابن عباس: ١/٣٠٧، والترمذي مختصراً في القيامة، باب حدثنا بشر بن هلال: ٧/٢١٩ ـ ٢٢٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ومثله في المسند: ١/٢٩٣ ـ ٣٠٣. وعبد بن حميد في المنتخب ص (٢١٤). وذكره ابن الأثير في جامع الأصول كما في سياق المصنف وقال: هذا الحديث ذكره رزين، ولم أجده في واحد من الأصول الستة، إلا ما أخرجه الترمذي، وهذا لفظه، ثم ساق رواية الترمذي. انظر: جامع الأصول: ١١/٦٨٦.
ورواه أيضا عبد بن حميد في مسنده بإسناد ضعيف، وعزاه ابن الصلاح في الأحاديث الكلية الى عبد بن حميد وغيره، وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة... وطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (١٧٤).

محمد بن الحسن بن بشر النقاش أنا أبو شعيب الحراني أنا يحيى بن عبدالله بن الضحاك البابلي أنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن أبي كبشة [السلولي][(1)] عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومنْ كذبَ عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدَه منَ النار»[(2)].

أخبرنا أبو الحسن عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نضّر اللهُ عبداً سمعَ مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها. فَرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يَغِلُّ عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنَّ دعوتَهم تحيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[(3)].

قال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أئنّكم لتشهدونَ أنّ معَ اللّهِ آلهة أُخرى﴾؟ ولم يقل أخر لأن الجمع يلحقه التأنيث، كقوله عزّ وجلّ: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) (الأعراف، ١٨٠)، وقال: (فما بالُ القُرونِ الأولى). (طه، ٥١) ﴿قلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أنتم، فـ﴿لا أشهد﴾، أنا أنّ معه إلهاً، ﴿قلْ إنّما هو إلهٌ واحد وإنني بريء مما تُشركُون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿الذينَ آتيناهُم الكتابَ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿يعرفُونَهُ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كما يعرفون أبناءَهم﴾، من بين الصبيان. ﴿الذين خَسِرُوا أنفُسَهُمْ﴾، غبنوا أنفسَهُمْ ﴿فهمْ لا يُؤمنُونَ﴾، وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، وإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

---

(١) في «ب»: (السلوي).

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل: ٦/٤٩٦، والمصنف في شرح السنة: ١/٢٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي في العلم، باب الحث على تبليغ السماع، بنحوه، ٧/٤١٧ ـ ٤١٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب من بلّغ علماً، برقم (٢٣٦): ١/٨٦، والدارمي في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي: ١/٧٥، والشافعي في كتاب العلم: ١/١٦، والإمام أحمد في المسند: ٣/٢٢٥ عن أنس، والمصنف في شرح السنة: ١/٢٣٦، وللشيخ عبدالمحسن العباد دراسة حديثية وفقهية لحديث «نضر الله امرءاً...» طبع عام ١٤٠١هـ بمطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عّز وجلّ: ﴿ومنْ أظلم﴾، أكفر، ﴿ممن افترى﴾، اختلق، ﴿على اللهِ كَذباً﴾، فأشرك به غيره، ﴿أو كذّب بآياتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿إنّه لا يُفلحُ الظالمون﴾، الكافرون.

﴿ويومَ نحشرُهم جميعاً﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب ﴿يحشرهم﴾ هاهنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ثمّ نقولُ للذينَ أشركُوا أينَ شركاؤُكمُ الذينَ كنتمْ تزعمُون﴾، أنها تشفع لكم عند ربكم.

﴿ثمَ لم تكنْ فتنتُهم﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «يكن» بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم «فتنتهم» بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله «أن قالوا» وفتنتهم الخبر، ومعنى قوله «فتنتهم» أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل فتنة.

قال الزجاج في قوله ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه [محنة][1] فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فُتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ في محبتهم الأصنام، ﴿إلا أنْ قالوا والله ربِّنا ما كنّا مشركين﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ربنا﴾ بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: / إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرةَ الله تعالى وتجاوزه 1/117
عن أهل التوحيد، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتُمُ الشرك لعلّنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربِّنا ما كنّا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهدُ عليهم جوارحُهم بالكفر.

فقال عزّ وجلّ: ﴿انظرْ كيفَ كَذَبُوا على أنفسِهمْ﴾، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وضلّ عنهم﴾: زال وذهب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

---

(١) في «ب»: (فتنة).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومنهم من يستمعُ إليك﴾ الآية، قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأُبيّ ابنا خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قُتَيْلَةَ ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها(١). فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا، لا نقرُّ بشيء من هذا، وفي رواية: لَلْموتُ أهونُ علينا من هذا، فأنزل الله عزّ وجلّ: «ومنهم من يستمعُ إليك» وإلى كلامك، ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنةً﴾، أغطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أن يفقهوهُ﴾، أن يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وفي آذانهم وَقْراً﴾، صمماً وثقلاً، هذا دليل على أن الله تعالى يقلّب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وإنْ يَرَوْا كلَّ آيةٍ﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لا يُؤمنُوا بها حتى إذا جاؤُك يجادلونَك يقولُ الذينَ كفرُوا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾، يعني: أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة. وقيل: هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كَتَبتُ.

﴿وهم ينهون عنه﴾ أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وينأون عنه﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحّاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه.

وقال ابن عباس ومقاتل(٢): نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد، حتى رُوي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا: خذْ شاباً من أصبحنا وجهاً، وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (٢٤٧).
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٤٧ ـ ٢٤٨)، تفسير القرطبي: ٤٠٦/٦.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ
بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ
هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ولدكم؟ ورُوي أن النبي ﷺ دعاه إلى الايمان، فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك، ولكن أذب عنك ما حييت. وقال فيه أبياتاً:

والـلهِ لَنْ يَصِـلُوا إلـيك بجَـمْـعِـهِـمْ ... حتَّـى أُوَسَّـدَ في الـتُّـراب دفـينـا
فاصْـدَعْ بأمـركَ ما عليكَ غَضَـاضَـةٌ ... وابْـشِـرْ بذاكَ وقـرّ بذاك منـكَ عيونـا
ودعـوتـنـي وعـرفـتُ أنـكَ ناصـحي ... ولـقـد صدقـتَ وكـنـتَ ثمّ أمـيـنـا
وعـرضـتَ ديـنـاً قدْ علمـتُ بأنـه ... من خير أديان الـبَـرِيَّة ديـنـا
لَوْلا الـمَـلامَـةُ أو حذارُ سُبَّـةٍ ... لوَجَـدْتَـنِـي سمـحـاً بذاك مبـيـنـا

﴿وإنْ يُهلكُون﴾، ما يهلكون، ﴿إلا أنفسَهم﴾ أي: لا يرجع وبال فعلهم إلّا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم، ﴿وما يشعرون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو تَرى إذْ وُقفُوا على النّار﴾ يعني: في النار، كقوله تعالى: (على ملك سليمان) أي: في ملك سليمان، وقيل: عُرضوا على النار، وجواب «لو» محذوف معناه: لو تراهم في تلك الحالة لرأيتَ عجبا، ﴿فقالوا يا ليتَنا نُرَدُّ﴾، يعني: إلى الدنيا، ﴿ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ منَ المؤمنين﴾، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى: يا ليتنا نرد ونحن لا نكذبُ، ونكونُ من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب «ولا نكذبَ ونكونَ» بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر «نكذب» بالرفع و«نكون» بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إنْ رُدوا إلى الدنيا.

﴿بلْ بدَا لهم﴾ قوله: «بل» تحته ردّ لقولهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا إنهم لو رُدّوا لآمنُوا، بل بدَا لهم: ظهر لهم، ﴿ما كانوا يُخفُون﴾، يسرّون، ﴿من قبل﴾، في الدنيا من كفرهم

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون وهو قولهم «والله ربِّنا ما كنّا مُشركين» (الأنعام، ٢٣)، فأخفوا شركهم وكتموا حتى شهدتْ عليهم جوارحُهم بما كتمُوا وستروا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا، إلا أن تُجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال النضر بن شميل: بل بَدَا عنهم.

ثم قال ﴿ولو رُدُّوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعادُوا لِمَا﴾، يعني إلى ما ﴿نُهوا عنه﴾، من الكفر، ﴿وإنّهم لكاذبُون﴾، في قولهم، لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين.

﴿وقالوا إنْ هي إلا حياتُنا الدنيا وما نحنُ بمبعوثين﴾، هذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، هذا من قولهم لو ردوا لقالوه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو تَرى إذْ وُقِفُوا على ربِّهم﴾، أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: عُرضوا على ربهم، ﴿قال﴾، لهم وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله، ﴿أليسَ هذا بالحقّ﴾؟ يعني: أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قالوا بلى وربِّنا﴾، إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم: والله ربِّنا ما كنّا مشركين في موقف آخر، وللقيامة مواقف، ففي موقف يُقرون، وفي موقف يُنكرون. ﴿قال فذُوقُوا العذابَ بما كنتُم تكفُرون﴾.

﴿قد خَسِرَ الذينَ كذَّبُوا بلقاءِ الله﴾، أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله بالبعث بعد الموت، ﴿حتى إذا جاءتْهُم الساعةُ﴾، أي: القيامة ﴿بغتةً﴾، أي: فجأة، ﴿قالوا يا حسرتَنا﴾، ندامَتَنَا، [ذُكر][1] على وجه النداء للمبالغة، وقال سيبويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك، ﴿على ما فرطنا﴾، أي: قصّرنا ﴿فيها﴾، أي: في الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» واستدركناه من «ب».

قال محمد بن جرير[1]: الهاء راجعة إلى الصفقة، وذلك أنّه لمّا تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا قالوا: يا حسرتَنا على ما فرطنا فيها، أي: في الصفقة [فترك ذكر الصفقة][1] اكتفاءً بقوله ﴿قد خسر﴾ لأن الخسران إنما يكون في صفقة بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر النادم، كما يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿وهم يحملُون أوْزارَهم﴾، أثقالهم وآثامهم، ﴿على ظهورهم﴾، قال السدي وغيره: إن المؤمن إذ أخرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحاً فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح فاركبني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله عزّ وجلّ: (يوم نحشرُ المتّقينَ إلى الرحمن وَفْداً) (مريم، ٨٥) أي ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورةً وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا / فأنا اليوم أركبك، فهذا معنى قوله: ﴿وهم يحملُون ١١٧/ب
أوْزارهم على ظهورهم﴾، ﴿ألا ساءَ ما يَزرُون﴾، يحملون قال ابنُ عباس: بئس الحمل حملوا.

﴿وما الحياةُ الدنيا إلاّ لَعِبٌ ولهوٌ﴾، باطل وغُرور لا بقاء لها ﴿ولَلدّارُ الآخرةُ﴾، قرأ ابن عامر ﴿ولدار الآخرة﴾ مضافاً أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله: (وحب الحصيد)، وقولهم: ربيع الأول ومسجد الجامع، سُميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتها، وسُميت الآخرة لأنها بعد الدنيا، ﴿خيرٌ للّذين يتّقُون﴾ الشرك، ﴿أفلا تعقلون﴾، أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (أفلا تعقلون) بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويٓس، ووافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يٓس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قدْ نعلمُ إنه ليحْزُنُكَ الذي يقولُون﴾، قال السُّديّ: التقى الأخْنَسُ بن شُرَيْق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قَطّ، ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[2].

وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ لا نتهمك ولا نكذبك، ولكنّا نكذب الذي جئت

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١١/٣٢٥، وفيه قوله: «والهاء والألف في قوله: «فيها» من ذكر «الصفقة»، ولكن اكتفى بدلالة قوله: «قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله» عليها من ذكرها، إذ كان معلوماً أن «الخسران» لا يكون إلا في صفقة بيع قد جَرَتْ».

(٢) أسباب النزول، ص (٢٤٩)، تفسير الطبري: ١١/٣٣٣.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

به، فأنزل الله تعالى: ﴿قد نعلم إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذي يقولون﴾[1] بأنك كاذب، ﴿فإنهم لا يُكذِّبونَكَ﴾، قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب، والتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب، وتقول له: كذبت، والإكذاب هو أن تجده كاذباً، تقول العرب: أجدبت الأرض وأخصبتها إذا وجدتها جدبة ومخصبة، ﴿ولكن الظالمينَ بآياتِ الله يجحدُون﴾، يقول: إنهم لا يكذبونك في السِّر لأنهم قد عرفوا صدقك فيما مضى، وإنّما يكذِّبون وَحْيي ويجحدون آياتي، كما قال: «وجحدُوا بها واستيقنتها أنفسهم» (النمل، ٩٤).

﴿ولقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ من قبلِكَ﴾، كذبهم قومهم كما كذبَتْك قريشٌ، ﴿فصبُروا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهم نصرُنا﴾ بتعذيب من كذبهم، ﴿ولا مُبدِّل لكلماتِ الله﴾، لا ناقض لِما حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام، فقال: (ولقد سبقتْ كلمتنا لعبادنا المرسلين إنَّهُمْ لَهُمُ المنصُورُون وإنَّ جندَنا لَهُمُ الغالِبُون) (الصافات، ١٧١ ـ ١٧٢)، وقال: (إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا) (غافر، ٥١) وقال: (كتبَ الله لأغْلِبَنَّ أنَا وَرُسُلِي) (المجادلة، ٢١)، وقال الحسن بن الفضل: لا خُلْفَ [لعداتِهِ][2] ﴿ولقدْ جاءَكَ من نَبَإِ المرسلين﴾، و﴿من﴾ صلة كما تقول: أصابنا من مطر.

﴿وإنْ كانَ كَبُرَ عليكَ إعراضُهم﴾ أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فإن استطعتَ أن تبتغي نفقاً﴾، تطلب وتتخذ نفقاً سَرَباً

(١) أخرجه الترمذي من طريق أبي كريب عن علي، في التفسير، سورة الأنعام: ٨/٤٣٧، ثم من طريق اسحاق بن منصور عن سفيان عن أبي اسحاق عن ناجية: أن أبا جهل. . . وذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن عليّ، وقال: هذا أصح.
وحديث علي أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣١٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي قائلاً: «ما خرّجا لناجية شيئاً».
وانظر: أسباب النزول، ص (٢٤٩)، الطبري: ١١/٣٣٤، القرطبي: ٦/٤١٦.

(٢) في «ب» «لعدته».

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦ وَقَالُوا۟ لَوْلَا
نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧
وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن
شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾

﴿في الأرض﴾، ومنه نافقاء اليربوع، وهو أحد جحريه فيذهب فيه، ﴿أو سُلّماً﴾، أي: دَرَجاً ومصعداً، ﴿في السماء﴾، فتصعد فيه، ﴿فتأتيهم بآية﴾، فافعل، ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾، فآمنوا كلُّهم، ﴿فلا تكونَنّ مِنَ الجاهلين﴾، أي: بهذا الحرف، وهو قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

﴿إنّما يستجيبُ الذينَ يسمعُون﴾، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتّبعُونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿والمَوْتَى﴾، يعني الكفار، ﴿يبعثُهم اللهُ ثمّ إليه يُرْجَعُون﴾، فيجزيهم بأعمالهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وقالوا﴾، يعني: رؤساء قريش، ﴿لَوْلاَ﴾، هلاّ، ﴿نُزِّلَ عليه آية من ربه قلْ إنَ الله قادرٌ على أنْ يُنزِّلَ آيةً ولكنّ أكثرَهم لا يعلمُون﴾، ما عليهم في إنزالها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه﴾، قيّد الطيران بالجناح تأكيداً كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي، ﴿إلا أُممٌ أمثالُكم﴾، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والدواب أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم، يقال: الإنس والناس.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبدالله بن مغفَّل عن النبي ﷺ قال: (لولا أن الكلابَ أمةٌ لأمرتُ بِقَتْلِها، فاقتُلوا منها كُلَّ أسودٍ بهيمٍ)(١).

(١) أخرجه أبو داود في الضحايا، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره: ٤/١٣٢ - ١٣٣، والترمذي في الصيد، باب ما جاء في قتل الكلاب: ٥/٦٣، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الصيد والذبائح، باب صفة الكلاب التي أمر بقتلها: ٧/١٨٥، وابن ماجه في الصيد، باب قتل الكلاب إلا كلب صيد أو زرع، برقم (٣٢٠٥): ٢/١٠٦٩، والدارمي في الصيد، باب في قتل الكلاب: ٢/٩٠، والإمام أحمد في المسند: ٥/٥٤، ٥٦، والمصنف في شرح السنة: ١١/٢١١.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ
مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء: أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، وقال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك.

﴿ما فرّطنا في الكتابِ﴾، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿من شيء ثمّ إلى ربِّهم يُحشَرُون﴾، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير، وكل شيء فيأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: (يا ليتني كنتُ تراباً).

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتردنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامةِ حتى يُقادَ للشاةِ الجلحاء مِنَ القَرْناء»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿والذينَ كذّبوا بآياتِنا صمٌ وبُكْمٌ﴾، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، ﴿في الظلمات﴾، في ضلالات الكفر، ﴿مَنْ يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعلْهُ على صراطٍ مستقيم﴾، وهو الإسلام.

قولـه تعـالى: ﴿قلْ أرأيتكُمْ﴾، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفرّاء: العرب تقول أرأيتَك، وهم يريدون أخبرنا، كما تقول: أرأيتَك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢): ٤/١٩٩٧.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

المدينة «أرايتكم، وأرايتم، وأرايت» بتليين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتكم، ﴿إنْ أتاكم عذابُ الله﴾، قبل الموت، ﴿أو أتتكُم الساعةُ﴾، يعني: القيامة، ﴿أغيرَ الله تَدْعُون﴾، في صرف العذاب عنكم، ﴿إن كنتُم صادقين﴾، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم: (وإذا غشيهم موجٌ كالظُّلَلِ دَعُوا الله مخلصينَ له الدين) (لقمان، ٣٢).

ثم قال: ﴿بلْ إيّاهُ تَدْعُون﴾، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، ﴿فيكشِفُ ما تدعُون إليه إنْ شاء﴾، قيد الإجابة بالمشيئة [والأمور كلها بمشيئته][1]، ﴿وتَنْسَونَ﴾، وتتركون، ﴿ما تُشْرِكُون﴾.

﴿ولقد أرسلنا إلى أُممٍ منْ قبلك فأخذناهم بالبأساءِ﴾، بالشدة والجوع، ﴿والضراء﴾، المرض والزمانة، ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي يتوبون ويخضعون، والتضرع السؤال بالتذلل.

1/118 ﴿فلولا﴾، فهلّا، ﴿إذْ جاءَهم بأسُنَا﴾، عذابُنَا، ﴿تضرَّعُوا﴾، فآمنوا فكشف عنهم، / أخبر الله عزّ وجلّ أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أُخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: ﴿ولكنْ قستْ قلوبُهم وزيّنَ لهمُ الشيطانُ ما كانُوا يعملون﴾، من الكفر والمعاصي.

﴿فلمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا به﴾، تركوا ما وعظوا وأمروا به، ﴿فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيء﴾، قرأ أبو جعفر «فتَّحنا» بالتشديد، في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيبه جمعاً، والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدّلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتوا﴾، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿أخذناهمْ بغتةً﴾، فجأة آمَنَ ما كانوا، وأَعْجَبَ ما كانت الدنيا إليهم، ﴿فإذا هُمْ مُبْلِسُون﴾، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة:

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

المبلس النادم الحزين، وأصل الإبلاس: الإطراق من الحزن والندم، وروى عقبة بن عامر أنّ رسولَ الله ﷺ قال: (إذا رأيتَ الله يُعطي العبدَ ما يحبُّ وهو مقيم على معصيته، فإنّما ذلك استدراج)، ثم تلا: «فلما نَسُوا ما ذُكِّرُوا به» الآية[1].

﴿فَقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ظلمُوا﴾، أي: آخرهم [الذين بدبرهم، يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم][2] ومعناه أنهم استُؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾، حمدَ الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على الرُسل، فذكَرَ الحمد لله تعليماً لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شرَّ الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابُه ربَّهم إذا أهلك المكذبين.

قوله تعالى: ﴿قلْ أرأيتُم﴾، أيها المشركون، ﴿إنْ أخذَ الله سمعَكم﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً ﴿وأبصارَكم﴾، حتى لا تبصروا شيئاً، ﴿وختم على قلوبِكم﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا، ﴿مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم به﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيرُه تحته، كقوله تعالى (واللهُ ورسولُهُ أحقُّ أنْ يُرضُوه) (التوبة، ٦٢). فالهاء راجعة إلى الله، ورضى الرسول يندرج في رضىٰ الله تعالى، ﴿انظرْ كيفَ نُصرِّفُ الآياتِ﴾ أي: نبيِّن لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثمّ هُمْ يَصْدِفُون﴾، يعرضون عنها مكذبين.

﴿قلْ أرأيتَكُم إنْ أتاكم عذابُ الله بغتةً﴾، فجأة، ﴿أو جهرةً﴾، معاينة ترونه عند نزوله، قال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/١٤٥، وفيه: رِشْدين بن سعد، وهو ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠/٢٤٥ «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف» وعزاه في موضع آخر: ٧/٢٠ لأحمد والطبراني.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هلْ يُهْلَكُ إلّا القوم الظّالمُون﴾ المشركون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وما نُرسلُ المرسَلينَ إلّا مُبشرين ومُنذِرينَ فمنْ آمنَ وأصلحَ﴾، العمل، ﴿فلا خوفٌ عليهم﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿ولا هم يحزنُون﴾، إذا حزنوا.

﴿والذينَ كذَّبُوا بآياتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾، يصيبهم، ﴿العذابُ بما كانوا يَفْسُقُون﴾، يكفرون.

﴿قلْ لا أقولُ لكمْ عندي خزائنُ الله﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: ﴿لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله﴾، أي خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿ولا أعلم الغيبَ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿ولا أقولُ لكمْ إني مَلَكٌ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على مالا يقدر عليه الآدمي ويشاهد مالا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون أمري، ﴿إنْ أتّبعُ إلّا ما يُوحَى إليّ﴾، أي: ما آتيكم به فمن وَحْيِ الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قلْ هلْ يستوي الأعمى والبصير﴾؟ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أفلا تتفكّرُون﴾، أي: أنهما لا يستويان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأنْذرْ به﴾ خوّف به أي: القرآن، ﴿الذينَ يخافُون أن يُحشروا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إلى ربهم﴾، وقيل: يخافون أي يعلمون، لأن خوفهم إنّما كان من علمهم، ﴿ليسَ لهم من دُونِهِ﴾، من دون الله، ﴿وليّ﴾، قريب ينفعهم، ﴿ولا شفيعٌ﴾، يشفع لهم، ﴿لعلَّهم يتّقون﴾، فينتهون عمّا نُهوا عنه، وإنّما نفى الشفاعة لغيره ـ مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون ـ لأنهم لا يشفعون إلّا بإذنه.

﴿ولا تَطْردِ الذين يدعونَ ربَّهم بالغَدَوةِ والعَشي﴾، قرأ ابن عامر «بالغُدْوَة» بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها، ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون: بفتح الغين والدال وألف بعدها.

قال سلمان وخباب بن الأرت: فينا نزلتْ هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلّفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلمّا رأوهم حوله حقّروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم، وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ﷺ لهم: «ما أنا بطاردِ المؤمنين» قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنّا، فإذا فرغنا فاقعدْ معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتابًا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، قالوا ونحن قعود في ناحية إذْ نزل جبريل بقوله: **﴿ولا تَطْرُدِ الذينَ يَدْعُونَ ربَّهم بالغَدَاة والعَشِي يُرِيدُونَ وَجْهَه﴾**، إلى قوله: **﴿بالشاكرين﴾** فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيته، وهو يقول: (سلامٌ عليكم كتبَ ربُّكم على نفسه الرحمة)، فكنّا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عزّ وجلّ: (واصبِرْ نفسَكَ مَعَ الذينَ يدعُونَ ربَّهم بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَه) (الكهف، ٢٨)، فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمسّ ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال لنا: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[1].

وقال الكلبي: قالوا له اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فقال: لا أفعل، قالوا: فاجعل المجلس واحداً فأقبل إلينا ولِّ ظهرك عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: **﴿ولا تطردِ الذينَ يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾**.

قال مجاهد: قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً، فأنزل الله هذه الآية: **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾**[2]، قال ابن عباس: يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي، يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر، ويُروى عنه: أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن أناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه السلام، فقال ناس من الأشراف: إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت الآية، وقال مجاهد: صليت الصبح مع سعيد بن المسيَّب، فلما سلّم الإمام ابتدر

---

(١) أخرجه الطبري: ١١/٣٧٦ - ٣٧٧، وابن ماجه في الزهد، برقم (٤١٢٧): ٢/٣٨٢ - ٣٨٣ قال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد روى مسلم والنسائي بعضه من حديث سعد. وانظر: صحيح مسلم، فضائل الصحابة، رقم (٢٤١٣): ٤/١٨٨٧.
وساقه ابن كثير في التفسير: ٢/١٣٦ وقال: هذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر».
ولا وجه لهذه الغرابة، فعندما قالا ذلك لم يكونا من المسلمين.

(٢) عزاه السيوطي في الدر: ٣/٢٧٤ لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

الناس القاص، فقال سعيد: ما أسرع الناس إلى هذا المجلس! قال مجاهد: فقلت يتأولون قوله تعالى ﴿يدعون ربَّهم بالغداة والعشي﴾، قال: أفي هذا هو، إنما / ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربَّهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿يريدُون وجْهَهُ﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله فقال: ﴿ما عليكَ مِنْ حسابِهِمْ من شيءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عليهِمْ من شيءٍ﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمـرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملّهم، ﴿فتطردَهم﴾، ولا رزقك عليهم، قوله ﴿فتطردهم﴾، جوابٌ لقوله ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ وقوله: ﴿فتكونَ من الظالمين﴾، جوابٌ لقوله ﴿ولا تطرد﴾ أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي. ١١٨/ ب

قوله عز وجل: ﴿وكذلك فتنّا﴾، أي: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُمْ ببعضٍ﴾، أراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله: ﴿ليَقُولُوا أهؤلاءِ منَّ الله عليهم مِّن بينِنا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أليسَ الله بأعلمَ بالشاكرين﴾، فهو جواب لقولهم ﴿أهؤلاء مَنّ اللهُ عليهمْ مِّن بينِنَا﴾، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عزّ وجلّ.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المـزني عن أبي الصـديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: جلستُ في نفرٍ من ضعفاء المهاجرين وإنّ بعضهم ليستتر ببعض من العُري، وقارىءٌ يقرأ علينا إذْ جاء رسولُ الله ﷺ، فقام علينا، فلمّا قام رسول الله ﷺ سكت القارىء، فسلم رسول الله ﷺ وقال: «ما كنتم تصنعون»؟ قلنا يا رسول الله كان قارىءٌ يقرأ علينا فكنّا نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾

الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فَتَحلَّقوا، وبرزت وجوههم له، قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري، فقال رسول الله ﷺ: «أبشرُوا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنّور التّامِّ يومَ القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة»[1].

قوله عز وجل: ﴿وإذا جاءكَ الذينَ يُؤمنُون بآياتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عليكم﴾، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عزّ وجلّ نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام[2].

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عُبيدة ومُصعب بن عُمير وحمـزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ على نفسِهِ الرحمة﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أنّه مَنْ عَمِلَ منكمْ سوءاً بجهالة﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلـك الـذنب، وقيل: جهالته من حيث أنَّه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير، ﴿ثم تابَ مِن بعدِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وأصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فأنّه غفورٌ رحيم﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿أنه مَنْ عمل منكم .. فأنّه غفور رحيم﴾ بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى، كقوله تعـالى: «أيعـدكم أنّكم إذا مِتّم وكنتُم تراباً وعظاماً أنّكم مُخْرَجُون»،(المؤمنون، ٣٥)، وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسروا الثانية على الاستئناف، وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

﴿وكذلك نُفصّل الآيات﴾، أي: وهكذا، وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب في القصص: ٥/٢٥٥، قال المنذري: «وفي إسناده زياد بن المعلى بن زياد، أبو الحسن، وفيه مقال»، وأخرجه أحمد: ٣/٦٣، ٩٦ عن أبي سعيد الخدري. والمصنف في شرح السنة: ١٤/١٩١. وله شاهد عند الترمذي في الزهد وابن ماجه وابن حبان، فيتقوى به.

(٢) انظر: الطبري: ١١/٣٨٠، أسباب النزول ص (٢٥٢).

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

وإعلامًنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نميِّز ونبيِّن لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿ولِتَسْتَبينَ سَبيلُ المُجْرِمينَ﴾، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة «ولتستبين» بالتاء، «سبيل» نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنتُ الشيءَ وتبيَّنته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «وليستبين» بالياء «سبيلُ» بالرفع، وقرأ الآخرون ﴿ولتستبين﴾ بالتاء «سبيل» رفع، أي: ليظهر ويتضح والسبيل، يُذكر ويُؤنث، فدليل التذكير قوله تعالى: «وإن يروا سبيلَ الرُّشد لا يتخذوه سبيلاً» (الأعراف، ١٤٦)، ودليل التأنيث قوله تعالى: «لِمَ تصدُّون عن سبيلِ الله مَنْ آمن تبغونَها عوجاً» (آل عمران، ٩٩).

قوله عزّ وجل: ﴿قُلْ إني نُهيتُ أن أعبد الذين تدعُونَ من دُونِ اللّهِ قلْ لا أتَّبعُ أهواءَكُم﴾، في عبادة الأوثان وطرد الفقراء، ﴿قدْ ضَلَلْتُ إذاً وما أنا مِنَ المُهتدين﴾، يعني: إن فعلتُ ذلك فقد تركتُ سبيل الحق وسلكتُ غير طريق الهدى.

﴿قلْ إني على بينةٍ﴾، أي: على بيان وبصيرة وبرهان، ﴿من ربّي وكذَّبتمْ بهِ﴾، أي: ما جئت به، ﴿ما عندي ما تستعجلُونَ به﴾، قيل: أراد به استعجالهم العذاب، كانوا يقولون: «إن كانَ هذا هو الحقَّ منْ عندِكَ فأمطر علينا حجارةً» (الأنفال، ٣٢) الآية، قيل: أراد به القيامة، قال الله تعالى: «يستعجل بها الذينَ لا يؤمنون بها» (الشورى، ١٨)، ﴿إنِ الحُكْمُ إلاّ لله يَقُصُّ الحقَّ﴾، قرأ أهل الحجاز وعاصم يقُصُّ بضم القاف والصاد مشدداً أي يقول الحق، لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال الحق ولم يقل بالحق، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف والضاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق بدليل أنه قال: ﴿وهو خيرُ الفاصلين﴾، والفصل يكون في القضاء وإنما حذفوا الياء لاستثقال الألف واللام، كقوله تعالى: (صال الجحيم) ونحوها، ولم يقلْ بالحقّ لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

﴿قلْ لو أنّ عندي﴾، وبيدي، ﴿ما تستعجلونَ بهِ﴾، من العذاب، ﴿لقُضيَ الأمرُ بيني

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

وبينكم﴾، أي: فرغ من العذاب [وأهلكتم][1]، أي: لعجلته حتى أتخلّص منكم، ﴿والله أعلم بالظالمين﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وعِنْدَهُ مفاتح الغيب لا يعلمُها إلاّ هو﴾، مفاتح الغيب خزائنه، جمع مفتح.

واختلفوا في مفاتح الغيب، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله: «مفاتحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاّ اللّهُ، لا يعلم ما تغيض الأرحام أحدٌ إلا الله تعالى، [ولا يعلم ما في الغد إلاّ الله عزّ وجلّ][2]، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلاّ الله، ولا تَدْري / نفسٌ بأيّ أرض تموت، ولا يعلمُ متى 1/119
تقومُ الساعة أحدٌ إلاّ الله»[3]. وكما قال الله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث).

وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب.

وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

وقيل: انقضاء الآجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي مالم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، ومالا يكون أنْ لو كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: «أوتي نبيُّكم عِلْمَ كلّ شيء إلا علم مفاتيح الغيب»[4].

---

(١) في «ب»: (وهلكتم).

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله: ٥٢٤/٢، وفي التوحيد وفي التفسير. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٢٢/٤.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ٢٦٣/٨.
وانظر: فتح الباري: ١٢٤/١ و٢٩١/٨، عالم الغيب والشهادة تأليف عثمان جمعة ضميرية ص (٨٠ - ٨١).

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ويعلَم ما في البَرِّ والبحر﴾، قال مجاهد: البَرُّ: المفاوز والقفار، والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء إلّا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وما تسقطُ مِن ورقةٍ إلّا يعلمها﴾، يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت[1] ظهراً لبطن إلى أن سقطت[2] على الأرض، ﴿ولا حَبَّةٍ في ظلماتِ الأرض﴾، قيل: هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة في أسفل الأرضين، ﴿ولا رَطْبٍ ولا يابس﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حَيٍّ ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إلا في كتابٍ مُّبين﴾، يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفّاكم باللّيل﴾، أي: يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل، ﴿ويعلمُ ما جرحتُم﴾، كسبتم، ﴿بالنّهارِ ثمّ يَبْعَثُكم فيه﴾، أي: يوقظكم في النهار، ﴿ليُقْضَى أجلٌ مسمّىً﴾، يعني: أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على التمام، ﴿ثم إليه مَرْجِعُكم﴾، في الآخرة، ﴿ثم ينبِّئكم﴾، يخبركم، ﴿بما كنتُم تعملُون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وهوَ القاهِرُ فوقَ عبادِهِ ويُرسلُ عليكم حفظةً﴾ يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره «وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين» (الانفطار، ١١)، ﴿حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفّتْهُ﴾، قرأ حمزة (توفيه) و(استهويه) بالياء وأمالهما، ﴿رسلُنا﴾ يعني:

---

(١) في «أ»: (انقلب).

(٢) في «ب»: (سقط).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾

أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه، كما قال: (قلْ يتوفّاكم مَّلكُ الموت)، وقيل الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت، فكأن ملك الموت توفاه لأنّهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسل ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، وجاء في الأخبار: أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن هاهنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له، ﴿وهم لا يُفرِّطُون﴾، أي لا يقصِّرون.

﴿ثم رُدُّوا إلى اللّهِ مولاهُمُ الحقِّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يُردُّون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى: «وأنّ الكافرين لا مولى لهم» (محمد، ١١)، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصـر للكفـار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عزّل وجلّ مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿ألا لهُ الحُكْمُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وهو أسْرَعُ الحاسبين﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

قولـه عزّ وجـلّ: ﴿قـلْ مَنْ يُنجيكم﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿من ظُلمات البرِّ والبحرِ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلُّوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوُا اللّهَ مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿تدعُونَه تضرعاً وخفْيَة﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وخفية﴾ بكسر الخاء هاهنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿لئنْ أنْجنا﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: لئن أنجانا الله، ﴿منْ هذه﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لنكونَنّ منَ الشّاكرين﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

﴿قُل ِ اللّهُ يُنجيكُمْ منها﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿ينجيكم﴾ بالتشديد، مثل قوله تعالى:

«قلْ مَنْ يُنجيكم»، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿ومن كلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس، ﴿ثمّ أنتم تُشركون﴾، يريد أنهم يقرون أنّ الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم تُشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضرّ ولا تنفع.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل هو القادرُ على أنْ يبعثَ عَلَيْكُمْ عذاباً من فَوقِكُم﴾، قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان. وقال قوم نزلت في المشركين.

قوله ﴿عذاباً من فوقكم﴾، يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ﴿أو مِن تحتِ أرْجُلِكُم﴾، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون.

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿عذاباً من فوقكم﴾، السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾، أي: يخلطكم فرقاً ويبث فيكم الأهواء المختلفة، ﴿ويُذيقَ بعضَكمْ بأسَ بعضٍ﴾، يعني: السيوف المختلفة، يقتل بعضكم بعضاً.

أخبـرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النعمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿قلْ هو القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال رسول الله ﷺ «أعوذُ بوجهك»، قال: ﴿أو مِنْ تحت أرجلكم﴾، قال: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أو يَلْبِسَكم شيعاً ويذيقَ بعضَكم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر»[1].

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلاً ثم قال: سألتُ ربّي ثلاثاً: سألته أن لا يُهلك أمتي بالغـرق فأعطانيها، وسألتُه أن لا يُهلك أمتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يجعلَ بأسهم بينهم، فَمَنَعْنِيهَا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الأنعام، باب «قل هو القادر على أن يبعث عليكم . . .» ٨/٢٩١، وفي الاعتصام، وفي التوحيد. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٢١٧.

(٢) أخرجه مسلم عن عثمان بن حكيم، في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٩٠): ٤/٢٢١٦. والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢١٤ - ٢١٥.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن إسماعيل البخاري ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيدالله بن عمر عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري أن عبدالله بن عمر جاءهم ثم قال: «إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، سأله أن لا يُسلّط على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يُهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك / وسأله أن لا يجعل بأسَ بعضهم على بعض، فمنعه ذلك»[1]. ١١٩/ب

قوله عزّ وجلّ: ﴿انظرْ كيفَ نُصرِّفُ الآيات لعلّهم يفقهُون﴾.

﴿وكذَّب به قومُك﴾، أي: بالقرآن، وقيل: بالعذاب، ﴿وهو الحقُّ قلْ لستُ عليكم بوكيل﴾، برقيب، وقيل: بمسلَّطٍ ألزمكم الإسلام شِئْتُمْ أو أبيتم، إنّما أنا رسول.

﴿لكل نبإٍ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبيّن صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإمّا في الآخرة، ﴿وسوفَ تعلمُون﴾، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت [وقّته][2] ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: [لكلٍّ][3] قولٍ وفعلٍ حقيقة، إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

---

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٢١٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وروي عن خباب بن الأرت كذلك.

قلت: أما حديث خباب فقد أخرجه الترمذي في الفتن، باب سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته: ٦/٣٩٧-٣٩٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساقط من «ا».

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضُون في آياتنا﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء ﴿فأعْرِضْ عنهم﴾، فاتركهم [ولا تجالسهم][1]، ﴿حتى يخوضُوا في حديثٍ غيرِه وإمّا يُنْسِيَنّكَ﴾، قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشيطانُ﴾، نَهْيَنا، ﴿فلا تقعدْ بعدَ الذِكرَى معَ القومِ الظّالمين﴾، يعني: إذا جلست معهم ناسياً فقم من عندهم بعدما تذكرت.

﴿وما على الذينَ يتّقُون مِن حِسَابِهِمْ منْ شيءٍ﴾، رُوي عن ابن عباس أنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وإذا رأيتَ الذينَ يخوضُون في آياتنا فأعرضْ عنهم﴾، قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً؟ وفي رواية قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وما على الذين يتّقون﴾، الخوض، ﴿من حسابهم﴾، أي: من آثام الخائضين ﴿من شيءٍ ولكن ذِكْرَى﴾، أي: ذكروهم وعِظُوهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكروهم ذكرى، فتكون في محل النصب، ﴿لعلّهم يتقون﴾، الخوض إذا وعظتموهم فرخّصَ في مجالستهم على الوعظ لعلّه يمنعهم ذلك من الخوض، وقيل: لعلّهم يستحيون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وذَرِ الذينَ اتّخذُوا دينهم لعباً ولهواً﴾، يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً فاتخذ كل قوم دينهم ـ أي: عيدهم ـ لعباً ولهواً، وعيد المسلمين الصلاةُ والتكبير وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر، ﴿وغرّتْهمُ الحياة الدنيا وذكّرْ به﴾، أي: وعظْ بالقرآن، ﴿أنْ تُبْسَلَ﴾، أي: لأن لا تبسل، أي: لا

(١) في «أ»: (ولا تجادلهم).

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝٧٣﴾

تُسلَّم، ﴿نفس﴾، للهلاك، ﴿بما كسبتْ﴾، قاله مجاهد وعكرمة والسدي، وقال ابن عباس: تهلك، وقال قتادة: أن تحبس، وقال الضحاك: تحرق، وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه: ذكِّرهم ليؤمنوا، كيلا تهلك نفس بما كسبت، قال الأخفش: تبسل تُجازى، وقيل: تفضح، وقال الفرّاء: ترتهن، وأصل الإبسال التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل نعتاً لكل شدة تُتقى وتُترك ﴿ليس لها﴾، أي لتلك النفس، ﴿مِن دُون الله وليٌ﴾، قريب، ﴿ولا شفيع﴾، يشفع لها في الآخرة، ﴿وإنْ تَعْدِلْ كلَّ عدلٍ﴾، أي: تَفْدِ كلَّ فداء، ﴿لا يُؤخَذْ منها﴾، ﴿أولئكَ الذينَ أُبْسِلُوا﴾، أُسْلموا للهلاك، ﴿بما كسبوُا، لهم شرابٌ من حميم وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفُرون﴾.

﴿قلْ أندعُوا مِن دُونِ اللّهِ ما لا ينفعُنا﴾، إن عبدناه، ﴿ولا يضرُّنا﴾، إنْ تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضر، ﴿ونُردُّ على أعقابِنَا﴾، إلى الشرك [مرتدّين][1]، ﴿بعدَ إذْ هدانا اللهُ كالذي استهوتهُ الشياطينُ في الأرضِ﴾، أي: يكون مَثَلُنا كمثل الذي استهوته الشياطين، أي: أضلّته، ﴿حَيْرَانَ﴾، قال ابن عباس: كالذي استهوته الغيلان في المهامه فأضلُّوه فهو حائر بائر، والحيران: المتردّد في الأمر، لا يهتدي إلى مخرج منه، ﴿له أصحابٌ يدعونَه إلى الهُدَى ائتِنَا﴾، هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى، كمثل رجل في رفقة ضلّ به الغُوْل عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلمَّ إلى الطريق، ويدعوه الغول [هلمَّ][2]، فيبقى حيران لا يدري أين يذهب، فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى[3].

﴿قلْ إنّ هُدَى اللّهِ هوَ الهُدَى﴾، يزجر عن عبادة الأصنام، كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى هدى الله، لا هدى غيره، ﴿وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾، أي: أن نُسلم، ﴿لربِّ العالمين﴾، والعرب تقول: أمرتك لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

﴿وأن أقيمُوا الصلاةَ واتقُوه﴾، أي: وأُمرنا بإقامة الصلاة والتقوى، ﴿وهو الذي إليه تُحشرُون﴾

---

(١) في «ب»: (متردّين).

(٢) زيادة من «ب». (٣) انظر: تفسير الطبري: ١١/٤٥٢.

أي: تجمعون في الموقف للحساب.

﴿وهو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقّ﴾، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿ويومَ يقولُ كنْ فيكونُ﴾، قيل: هو راجع إلى خلق السمواتِ والأرض والخلق، بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاه وقدّره قال له: كن، فيكون.

وقيل: يرجع إلى القيامة، يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق: موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون، ﴿قولُهُ الحقُّ﴾، أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿ولَـهُ المُلْكُ يومَ يُنفخُ في الصُّورِ﴾، يعني: مُلْكُ الملوك يومئذ زائل، كقوله: «مالك يوم الدين»، وكما قال: «والأمرُ يومئذٍ لله»، والأمر له في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصُّور: قرنٌ يُنفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصُّوَر وهو جمع الصّورة، وهو قول الحسن، والأول أصح.

والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبدالله [بن أبي توبة أنا أبو طاهر المحاربي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله](1) بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شَغَاف عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ يُنفخُ فيه»(2).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال: «كيف أَنْعَمُ وصاحبُ الصُّورِ قد التَقَمَهُ، وأصْغَى سمعَهُ وحنَى جبهتَهُ ينتظرُ متى يُؤمر»؟ فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولُوا حسبنا اللَّهُ ونِعْمَ الوكيل»(3).

وقال أبو العلاء عن عطية: متى يؤمر بالنفخ فينفخ.

---

(1) ساقط من «أ».

(2) أخرجه الترمذي في القيامة، باب ما جاء في الصور: ١١٧/٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن سليمان التّيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه، وأخرجه أيضاً في التفسير: ١١٦/٩.
وأخرجه الدارمي في الرقاق، باب في نفخ الصور: ٣٢٥/٢، وصححه الحاكم: ٥٠٦/٢، و٥٦٠/٤ ووافقه الذهبي. وابن حبان ص (٦٣٧) من موارد الظمآن، والإمام أحمد في المسند: ١٦٢/٢، ١٩٢.

(3) حديث صحيح أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في الصور: ١١٧/٧ - ١١٨ وقال هذا حديث حسن، وقد روي من غير هذا الوجه عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحوه، وأخرجه في تفسير سورة الزمر: ١١٦/٩، وصححه الحاكم من حديث ابن =

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾

﴿عالمُ الغيبِ والشّهادة﴾، يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ قال إبراهيمُ لأبيهِ آزَرَ﴾، قرأ يعقوب ﴿آزر﴾ بالرفع، يعني: ﴿آزرُ﴾، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينتصب في موضع الخفض.

قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب وكان من كوثى[1] قرية من سواد الكوفة، وقال مقاتل بن حيان وغيره: آزر لقب لأبي إبراهيم، واسمه تارخ. / ١/١٢٠

وقال سليمان التيمي: هو سبّ وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهِمُّ بالفارسية، وقال سعيد بن المسيَّب ومجاهد: آزر اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتتخذ آزر إلهاً، قوله ﴿أصناماً آلهةً﴾، دون الله، ﴿إني أراكَ وقومكَ في ضلال مبين﴾.

﴿وكذلك نُري إبراهيمَ﴾، أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿ملكوت السمواتِ والأرض﴾، والملكوت: الملك، زيدت فيه التاء للمبالغة، كالجبروت والرحموت والرهبوت، قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: «وآتيناه أجْرَهُ في الدنيا» يعني: أريناه مكانه في الجنة.

ورُوي عن سلمان رضي الله عنه، ورفعه بعضهم [عن علي رضي الله عنه][2] لما أُري إبراهيم

= عباس: ٤/٥٥٩، وابن حبان ص (٦٣٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس . . . وفي أسانيد كل منها مقال». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٥/١٠٣ وقال: هذا حديث حسن.

(١) بالضم ثم السكون، والتاء مثلثة، وألف مقصورة، تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم. انظر: معجم البلدان ٤٠/ ٤٨٧.
(٢) ساقط من «ب».

ملكوت السموات والأرض أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه فهلك، ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك، ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب عزّ وجلّ: «يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة، فلا تدعونَّ على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال إمّا أن يتوب فأتوب عليه، وإمّا أن أخرج منه نسمة تعبدني، وإمّا أن يبعث إليّ فإن شئتُ عفوت عنه، وإن شئتُ عاقبتهُ» وفي رواية: «وإمّا أن يتولى فإنّ جهنم من ورائه»[1].

وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار.

﴿وليكـونَ مِنَ المُوقِنِين﴾، عطف على المعنى، ومعناه: نريه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

﴿فلَمّا جَنّ عليه الليلُ رأى كوكباً﴾، الآية، قال أهل التفسير: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان، وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناسَ إلى عبادته، وكان له كهان ومُنَجِّمون، فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغيّر دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، يقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يُولد في ناحيتك في هذه السنة، فيكون هلاكك وهلاك مُلْكك وأهل بيتك على يديه، قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجال رجلاً فإذا حاضت المرأة خلّى بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض، فإذا طهرت حال بينهما، فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام[2].

وقال محمد بن إسحق: بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقرية، فحبسها عنده إلّا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام، فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن، لم يعرف الحبل في بطنها.

وقال السدي: خرج نمرود بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود أن

(١) قال السيوطي في الدر المنثور: ٣٠٢/٣ «أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن شهر بن حوشب. وشهر: صدوق كثير الأوهام.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٠٤/٣.
ونذكر هنا مرة أخرى، أن هذه التفصيلات التي ساقها المصنف رحمه الله لم يرد فيها نص صحيح يجب المصير إليه، ولا يتوقف فهم الآيات على هذه الروايات والأخبار.

يكون، فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة، فلم يأتمن عليها أحداً من قومه إلاّ آزر، فبعث إليه ودعاه وقال له: إنّ لي حاجة أحببت أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال آزر: أنا أشح على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته، فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلّما نظر إلى أم إبراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا حملت أم إبراهيم قال الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمُه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان، فلّما دنت ولادة أم إبراهيم عليه السلام وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء، فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت، وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرباً عند نهر، فواراه فيه وسدَّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.

وقال محمد بن إسحاق: لمّا وجدتْ أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدّت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حياً يمص إبهامه.

قال أبو روق: وقالت أم إبراهيم ذات يوم لأنظرنّ إلى أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماءً، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمراً، ومن أصبع سمناً.

وقال محمد بن إسحاق: كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدتُ غلاماً فمات، فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عِشاءً فنظرَ وتفكّر في خلق السمواتِ والأرضِ، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لَربي الذي مالي إله غيره، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً فقال: هذا ربي، ثم أتبعه بصره لينظر إليه حتى غاب، فلما أفل، قال: لا أحب الآفلين، ثم رأى القمر بازغاً قال هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب، ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره، ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فَسُرَّ آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً.

وقيل: إنه كان في السرب سبع سنين، وقيل: ثلاثة عشرة سنة، وقيل: سبعَ عشرة سنة، قالوا: فلما شبَّ إبراهيم عليه السلام، وهو في السرب قال لأمه: مَنْ ربي؟ قالت: أنا، قال: فمنْ ربُّكِ؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمرود، قال فمنْ ربُّه؟ قالت له: اسكت فسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض فإنه ابنك، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر، فقال له إبراهيم عليه السلام: يا أبتاه مَنْ ربي؟ قال: أمُّك، قال: فمن ربُّ أمي؟ قال: أنا قال: فمن ربُّك؟ قال: نمرود قال: فمن رب نمرود؟ فلطمه لطمة وقال له: اسكت فلما جنَّ عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً، قال: هذا ربي.

ويقال: إنه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فسأل أباه ما هذه؟ فقال: إبل/وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بدّ من ١٢٠/ب
أن يكون لها ربٌّ وخالق، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها، فرأى الكوكب قبل القمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿فلَمّا جَنّ عليه الليلُ﴾ أي: دخل، يقال: جنّ الليل وأجنّ الليل، وجنّه الليل، وأجن عليه الليل يجنّ جُنوناً وجَناناً إذا أظلم وغطى كل شيء، وجُنونُ الليل سواده، ﴿رأى كوكباً﴾ قرأ أبو عمرو (رأى) بفتح الراء وكسر الألف، ويكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر، فإن اتصل بكاف أو هاء فتحهما ابن عامر، وإن لقيها ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر، وفتحهما الآخرون. ﴿قال هذا ربي﴾.

واختلفوا في قوله ذلك: فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم عليه السلام مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله تعالى وآتاه رشده فلم يضرّه ذلك في حال الاستدلال، وأيضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفراً[1].

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقتٌ من الأوقات إلاّ وهو لله موحّدٌ وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهّره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: «إذ جاء ربَّه بقلبٍ سليم» (الصافات، ٨٤) وقال: «وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السمواتِ والأرض»، أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً قال: هذا ربي معتقداً؟ فهذا مالا يكون أبداً.

ثم قالوا: فيه أربعة أوجه من التأويل:

أحدها: أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم

---

(١) رجح هذا القول الطبري. وهو غير صحيح، فالراجح هو أن إبراهيم عليه السلام كان مناظراً لقومه في هذا. انظر: ابن كثير ٢/١٥٢.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

في تعظيم ما عظّموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها فأراهم أنه مُعظّم ما عظموه ومُلتمس الهدى من حيث ما التمسوه، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدَّعون، ومثل هذا مثل الحواريّ الذي ورد على قوم يعبدون الصنم، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صَدَروا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دهمهم عدو فشاوروه في أمره، فقال: الرأي أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنّا ما قد أظلنا، فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبيّن لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم إلى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون، فأسلموا.

والوجه الثاني من التأويل: أنه قاله على وجه الاستفهام تقديره: أهذا ربي؟ كقوله تعالى (أفإنْ مِتَّ فهمُ الخالدون) (الأنبياء، ٣٤)؟ أي: أفهمُ الخالدون؟ وذكره على وجه التوبيخ منكراً لفعلهم، يعني: ومثل هذا يكون رباً، أي: ليس هذا ربي.

والوجه الثالث: أنه على وجه الاحتجاج عليهم، يقول: هذا ربي بزعمكم؟ فلمّا غاب قال: لو كان إلهاً لمَا غاب، كما قال: [(ذُقْ إنّك أنتَ العزيزُ الكريم) (الدخان، ٤٩)، أي: عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر عن موسى أنه قال:][1] (وانْظُرْ إلى إلهِكَ الذي ظَلْتَ عليهِ عاكِفاً لنحرقَنَّهُ) (طه ٩٧) يريد إلهكَ بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار وتقديره يقولون هذا ربي، كقوله (وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ منَ البيتِ وإسمعيلُ ربَّنـا تقبَّـلْ مِنّـا)، (البقـرة، ١٢٧) أي: يقـولون ربّنا تقبلْ منّا. ﴿**فلّما أفَلَ قَالَ لا أُحبُّ الآفلينَ**﴾، ومالا يدُومُ.

﴿**فلّما رأى القمرَ بازِغاً**﴾، طالعاً، ﴿**قال هذا ربي فلما أفلَ قالَ لئنْ لمْ يهدني ربي**﴾، قيل: لئن لم يثبتني على الهدى، ليس أنه لم يكن مهتدياً، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨١﴾

الإيمان، وكان إبراهيم يقول: (واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام) (إبراهيم، ٣٥)، ﴿لأكونَنَّ من القوم الضّالّين﴾، أي: عن الهدى.

﴿فلما رأى الشمسَ بازِغةً قال هذا ربي هذا أكبر﴾، أي: أكبر من الكوكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أو ردّه إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضوأ من النجوم والقمر، ﴿فلّما أفلتْ﴾، غربت، ﴿قال يا قوم إنّي بريءٌ ممّا تُشركون﴾.

﴿إنّي وجهتُ وجهيَ للذي فطَر السمواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا مِنَ المشركين﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وحاجّه قومُهُ قال أتحاجُونّي في الله وقدْ هدانِ﴾، ولما رجع إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذّبّاحين، وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها، فيذهب بها [إبراهيم عليه السلام][1] وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر [فضرب][2] فيه رؤوسها، وقال: اشربي، استهزاءً بقومه، وبما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزاؤُهُ بها في قومه [وأهل][1] قريته، فحاجّه أيْ خاصمه وجادله قومه في دينه، ﴿قال: أتحاجّونّي في الله﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون، وقرأ الآخرون بتشديدها إدغاماً لاحدى النونين في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى النونين تخفيفاً يقول: أتجادلونني في توحيد الله، وقد هداني للتوحيد والحق؟ ﴿ولا أخاف ما تُشركون به﴾، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام فإنا نخاف أن تمسّك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إيّاها، فقال لهم: ولا أخاف ما تُشركون به، ﴿إلاّ أن يشاء ربي شيئاً﴾، وليس هذا باستثناء عن الأول بل هو استثناء منقطع، معناه لكن إن يشأ ربي شيئاً سوءً، فيكون ما شاء، ﴿وسعَ ربي كلَّ شيء علماً﴾، أي: أحاط علمه بكل شي . ﴿أفلا تتذكّرون﴾.

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب»: (فصوّب).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾، يعني الأصنام، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، **﴿ولا تخافُون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزِّلْ بِهِ عليكم سلطاناً﴾**، حجة وبرهاناً، وهو القاهر القادر على كل شيء، **﴿فأيُّ الفريقين أحق﴾**، أولى، **﴿بالأمن﴾**، أنا وأهل ديني أم أنتم؟ **﴿إن كنتم تعلمون﴾**. فقال الله تعالى قاضياً بينهما:

﴿الذينَ آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهم بِظُلْمٍ﴾، لم يخلطوا. إيمانهم بشرك، **﴿أولئك لهم الأمنُ وَهُم مهْتَدُون﴾**.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الأعمش أنا إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: لمَّا نزلت: (الذينَ آمنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بظلم» شقّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألَمْ تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بني لا تشرك بالله إن الشِّركَ لظلمٌ عظيم»[1]. ؟ (لقمان، ١٣)

قوله عزّ وجلّ: **﴿وتلكَ حُجَّتُنَا آتيناها إبراهيمَ على قومِه﴾**، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة، قال مجاهد: هي قوله: **﴿الذين آمنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾**، وقيل: أراد به الحجاج الذي حاج نمرود على ما سبق في سورة البقرة[2].

﴿نرفعُ درجاتٍ مَنْ نَشاء﴾، بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب (درجاتٍ) بالتنوين هاهنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاجّ قومه في التوحيد، **﴿إنّ ربك حكيمٌ عليم﴾**.

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى «ولقد آتينا لقمان الحكمة...» ٦/٤٦٥.
(٢) انظر فيما سبق تفسير الآية (٢٥٨).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝٨٩﴾

١/١٢١ ﴿ووهبنا له إسحق / ويعقوب كُلًّا هدينا﴾، وفّقنا وأرشدنا. ﴿ونُوحاً هدينا من قبلُ﴾، أي: من قبل إبراهيم، ﴿ومن ذريته﴾، أي ومن ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم لأنه ذكر في جملتهم يُونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم ﴿داودَ﴾، يعني: داود بن أيشا، ﴿وسليمان﴾، يعني ابنه، ﴿وأيوبَ﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿ويوسفَ﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿وموسى﴾، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب. ﴿وهرون﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿وكذلك﴾، أي: وكما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء كذلك، ﴿نجزي المحسنين﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

﴿وزكريا﴾، وهو زكريا بن اذن، ﴿ويحيى﴾، وهو ابنه، ﴿وعيسى﴾، وهو ابن مريم بنت عمران، ﴿وإلْياسَ﴾، اختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس، وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره، لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿كُلٌ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾.

﴿وإسماعيل﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿واليسعَ﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز، وقرأ حمزة والكسائي ﴿والليسع﴾، بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص ﴿ويونسَ﴾، وهو يونس بن متى، ﴿ولوطاً﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وكلاً فضّلنا على العالمين﴾، أي: عالمي زمانهم.

﴿ومن آبائهم﴾، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وذُرّياتهم﴾، أي: ومن ذرياتهم. وأراد به ذرية بعضهم: لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا
ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ
مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ
كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

كافراً، ﴿وإخوانهم واجْتبيناهم﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وهديناهم﴾، أرشدناهم، ﴿إلى صراطٍ مستقيم﴾.

﴿ذلك هُدَى اللّهِ﴾، دين الله، ﴿يهدي به﴾، يرشد به، ﴿من يشاءُ مِنْ عبادِهِ، ولو أشركُوا﴾، أي: هؤلاء الذين سمّيناهم، ﴿لَحَبِطَ﴾، لبطل وذهب، ﴿عنهم ما كانُوا يعملون﴾.

﴿أولئكَ الذينَ آتيْناهُمُ الكتابَ﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿والحُكْمَ﴾، يعني: العلم والفقه، ﴿والنبوّة فإنْ يكفرْ بها هؤلاءِ﴾، الكفار يعني: أهل مكة، ﴿فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾، يعني: الأنصار وأهل المدينة، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم هاهنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء، وهم الملائكة، ليسوا بها بكافرين.

﴿أولئكَ الذينَ هدَى اللّهُ﴾، أي: هداهم الله، ﴿فبهداهم﴾، فبسنتهم وسيرتهم، ﴿اقْتَدِهْ﴾، الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي الهاء في الوصل، والباقون بإثباتها وصلاً ووقفاً، وقرأ ابن عامر: ﴿اقتدهِ﴾ باشباع الهاء كسراً ﴿قلْ لا أسألكم عليهِ أجراً إنْ هوَ﴾، ما هو، ﴿إلّا ذكرى﴾، أي: تذكرة وعِظَة، ﴿للعالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قدْرِهِ﴾، أي ما عظّموه حق عظمته، وقيل: ما وصفوه حق صفته، ﴿إذْ قالُوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ﴾، قال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصَّيف يخاصم النبي ﷺ بمكة، فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أنّ الله يبغض الحبر السمين» وكان حبراً سميناً فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء[1].

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ١١/٥٢١-٥٢٢، والواحدي في أسباب النزول، ص (٢٥٣)، والبيهقي في الشعب عن كعب من قوله. ويروى عن مالك بن دينار قال: «قرأت في الحكمة: إن الله يبغض كل حبر سمين». وعزاه السيوطي لابن المنذر وابن أبي حاتم، =

وقال السدي: نزلت في فنحاص بن عازوراء، وهو قائل هذه المقالة(1).

وفي القصة: أنّ مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه، وقالوا: أليس أن الله أنزل التوراة على موسى؟ فلِمَ قلتَ ما أنزل الله على بشر من شيء؟ فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلتُ ذلك، فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول [على الله](2) غير الحق فنزعوه عن الحبرية، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله: «وما قدَرُوا اللّهَ حقَّ قدره إذْ قالُوا ما أنزلَ اللّهُ على بشرٍ من شيء»، فقال اللّهُ تعالى: ﴿قلْ﴾، لهم، ﴿مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاء به موسى نوراً وهدى للنّاس﴾(3)، يعني التوراة، ﴿تجعلُونَهُ قراطيسَ تبدوُنها وتُخْفُونَ كثيراً﴾، أي: تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة تبدونها، أي: تُبدون ما تُحبون وتُخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يجعلونه﴾ ﴿ويبدونها﴾ ﴿ويخفونها﴾، بالياء جميعاً، لقوله تعالى ﴿وما قَدَرُوا الله حق قدره﴾، وقرأ الآخرون بالتاء، لقوله تعالى ﴿قلْ مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء بِهِ موسى﴾.

وقوله ﴿وعُلِّمْتُمْ ما لم تعلمُوا﴾، [الأكثرون على أنها خطاب لليهود، يقول: عُلِّمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا](4) ﴿أنتُمْ ولا آباؤُكم﴾، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به.

وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكّرهم النعمة فيما علّمهم على لسان محمد ﷺ

﴿قُلِ اللّهُ﴾، هذا راجع إلى قوله ﴿قلْ مَنْ أنزلَ الكتابَ الذي جاءَ بِهِ موسَى﴾، فإن أجابوك وإلّا فقل أنت: الله، أي: قل أنزله الله، ﴿ثم ذَرْهم في خوضهم يلعبُون﴾.

= واختصره ابن هشام في السيرة: ١/٥٤٧. قال في المقاصد الحسنة: «ما علمته في المرفوع، نعم روى أحمد في المسند: ٣/٤٧١، و٤/٣٣٩، والحاكم: ٤/١٢١ - ١٢٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي بسند جيد عن جعدة الجشمي أنه ﷺ نظر إلى رجل سمين، فأومأ إلى بطنه، وقال: لو كان هذا في غير هذا لكان خيرًا لك».

وعزاه المنذري في الترغيب: ٣/١٣٨ لابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد جيد، والحاكم والبيهقي.

وانظر أيضا: تمييز الطيب من الخبيث ص (٥٣)، كشف الخفاء: ١/٢٨٩ - ٢٩٠، مجمع الزوائد: ٥/٣١، الدر المنثور: ٣/٣١٤، سلسلة الضعيفة للألباني: ٣/٢٦٥ - ٢٦٧.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ١١/٥٢٢ وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. الدر المنثور: ٣/٣١٤.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: ١١/٥٢٣.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿وهذا كتابٌ أنزلْناهُ مُباركٌ﴾، أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه ﴿مُصدِّقُ الذي بينَ يديهِ ولِتُنذِرَ﴾، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ولينذر﴾ بالياء أي: ولينذر الكتاب، ﴿أمَّ القُرى﴾، يعني: مكة سميت أم القرى لأنّ الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿ومَنْ حولَها﴾، أي: أهل الأرض كلها شرقاً وغرباً ﴿والذينَ يُؤْمنُون بالآخرة يُؤْمنُونَ بهِ﴾، بالكتاب، ﴿وهمْ على صَلاَتِهِمْ﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يُحافِظُون﴾، يداومون، يعني: المؤمنين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ أظلمُ مِمَّنْ افْترى﴾، أي: اختلق ﴿على اللّهِ كذباً﴾، فزعم أن الله تعالى بعثه نبياً، ﴿أوْ قالَ أُوْحِي إليّ ولم يُوحَ إليهِ شيءٌ﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي، وكان يسجع ويتكهن، فادّعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: أتشهدان أن مسيلمة نبي؟ قالا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أنّ الرسلَ لا تقتلُ لضربتُ أعناقكما».[1]

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أُتِيْتُ خزائن الأرض فوضع في يديَّ سواران من ذهب، فكَبُرا عليّ وأهمَّاني / ١٢١/ب
فأُوحِي إليّ أن انفخهما، فنفخْتُهُما فذهبا، فأوَّلْتهما الكذابيْنَ اللّذَين أنا بينهما: صاحبَ صنعاءَ وصاحبَ اليمامةِ»[2] أراد بصاحب صنعاء الأسود العَنْسي وبصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة: ٨٩/٨، وفي التعبير، ومسلم في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، برقم (٢٢٧٤): ١٧٨١/٤ عن أبي هريرة وعن ابن عباس. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٢/١٢.

(٢) انظر: الطبري: ٥٣٥/١١، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرسل: ٦٤/٤، مسند الإمام أحمد: ٣٩٠/١ ـ ٣٩١.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومَنْ قالَ سأُنْزِل مثلَ ما أنزل الله﴾، قيل: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذ أملى عليه: سميعاً بصيراً، كتب عليماً حكيماً، وإذا قال: عليمـاً حكيماً، كتب: غفوراً رحيماً، فلما نزلت: «ولقد خلقْنا الإنسان من سلالة من طين» (المؤمنـون، ١٢) أمـلاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: اكتبها فهكذا نزلتْ، فشكّ عبدالله، وقال: لئن كان محمد صادقاً فقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم رجع عبدالله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذْ نزل النبي ﷺ بمّر الظهران[1].

وقال ابن عباس: قوله ﴿ومَن قالَ سأنزل مثل ما أنزل الله﴾، يريد المستهزئين، وهو جواب لقولهم: ﴿لو نشاءُ لقُلْنَا مثلَ هذا﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو ترى﴾، يا محمد، ﴿إذ الظّالمُون في غَمَراتِ الموت﴾، سكراته وهي جمع غمرة، وغمرة كل شيء: معظمه، وأصلها: الشيء الذي [يعمّ][2] الأشياء فيغطيها، ثم وُضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿والملائكَةُ باسِطُوا أيديهم﴾، بالعذاب والضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل بقبض الأرواح، ﴿أخرجُوا﴾، أي: يقولون أخرجوا، ﴿أنفسَكُم﴾، أي: أرواحكم كُرْهاً، لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربها، والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجباً، ﴿أليوم تجزون عذابَ الهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿بما كنتُم تقولون على الله غيرَ الحقِّ وكنتُم عنْ آياتهِ تستكبرُون﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

﴿ولقدْ جئتمونا فُرادَى﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فُرادَى وحداناً، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفُرادى جمع فَرْدان، مثل سكران وسكارى، وكسلان وكسالى، وقرأ الأعرج فَرْدَى بغير ألف مثل سكرى، ﴿كما خلقكناكم أول مرّة﴾، عراةً حفاةً غُرْلاً،

(١) انظر: الطبري: ١١/٥٣٤، ٥٣٥، أسباب النزول ص (٢٥٤)، الدر المنثور: ٣/٣١٧.
(٢) في «ب»: (يغمر).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وتركتُم﴾ خلّفتم ﴿ما خوّلناكم﴾، أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿وراء ظهورِكم﴾، خلف ظهوركم، في الدنيا، ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذينَ زعمتُمْ أنّهم فيكم شُركاءُ﴾، وذلك أن المشركين زعموا أنّهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿لقد تقطّع بينكم﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون، أي: لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم. وقرأ الآخرون «بينُكم» برفع النون، أي: لقد تقطع [وصلكم][1] وذلك مثل قوله: «وتقطّعتْ بهمُ الأسباب» (البقرة، ١٦٦)، أي: الوصلات، والبين من الأضداد يكون وصلاً ويكون هجراً، ﴿وضلّ عنكم ما كنتم تزعمُون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إن اللهَ فالِقُ الحبِّ والنّوى﴾، الفلق الشق، قال الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير والذرة، وكل مالم يكن له نوى، [وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيُخرِج منها أوراقاً خضراً.

وقال مجاهد: يعني الشقين اللّذَين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النّوى عن النخل ويخرجها منه][2].

والنوى جمع النواة، وهي كل ما لم يكن حباً، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها.

وقال الضحاك: فالق الحبّ والنّوى يعني: خالق الحبّ والنّوى، ﴿يُخرِجُ الحيَّ منَ الميتِ ومُخرجُ الميّت مِنَ الحيِّ ذلِكُمُ اللّهُ فأنّى تؤفَكُون﴾، تصرفون عن الحقِّ.

﴿فالِقُ الإِصْبَاحِ﴾، شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه [وهو أول ما يبدو من النهار

---

(١) في «أ»: (وصولكم).
(٢) ساقط من «ب».

يريد مبدىء الصبح وموضحه][1].

وقال الضحاك: خالق النهار، والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار، وهو الإضاءة وأراد به الصبح. ﴿وجعلَ الليلَ سكناً﴾، يسكن فيه خلقه، وقرأ أهل الكوفة: ﴿وجعل﴾، على الماضي، ﴿الليل﴾، نَصْبُ إتّباعاً للمصحف، وقرأ ابراهيم النخعي ﴿فلق الإصباح﴾ ﴿وجعل الليل سكناً﴾، ﴿والشمس والقمرَ حُسْبانا﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحسابٍ معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، والحسبان مصدر كالحساب، ﴿ذلك تقديرُ العزيز العليم﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وهوَ الذي جعلَ لكمُ النّجومَ﴾ أي خلقها لكم، ﴿لتهتدُوا بها في ظلمات البَرِّ والبحر﴾.

والله تعالى خلق النجوم لفوائد:

أحدها هذا: وهو أن [راكب البحر][2] والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده.

والثاني: أنها زينة للسماء كما قال: «ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح» (الملك، ٥).

ومنها: رمي الشياطين، كما قال: «وجعلناها رُجُوماً للشياطين»، (الملك، ٥).

﴿قدْ فصلْنا الآيات لقومٍ يعلمُون﴾.

﴿وهوَ الذي أنشأكم﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نفسٍ واحدة﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فَمُسْتَقَرٌ ومُستوْدَع﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فمستقِرٌ﴾ بكسر القاف، يعني: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلكم مستقر ومستودع.

واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبدالله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث.

وقال سعيد بن جبير وعطاء: فمستقَر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت: لا، قال: إنه ما كان من مستودع في ظهرك فيستخرجه الله عزّ وجلّ.

ورُوي عن أُبيّ أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات.

وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: «ونقرّ في الأرحام ما نشاء» (الحج، ٥).

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (الراكب في البحر).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

وقال مجاهد مستقر على وجه ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: «ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين» (البقرة، ٣٦).

وقال الحسن: المستقر في القبور والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا بن آدم أنت وديعة في أهلك ويُوشك أن تلحق بصاحبك.

وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار، لقوله عزّ وجل في صفة الجنة والنار: «حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً» (الفرقان، ٧٦) و«ساءتْ مُستقراً» (الفرقان، ٦٦)، ﴿قدْ فصَّلْنَا الآياتِ لقومٍ يفقهُون﴾.

﴿وهوَ الذي أنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرَجْنا منه﴾، أي من الماء، وقيل: من النبات، ﴿خَضِراً﴾، يعني: أخضر، مثل العَوَر والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿نُخرجُ منه حبّاً مُتراكِباً﴾، أي متراكماً بعضه على
١/١٢٢ بعض / ، مثل سنابل البُرِّ والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿ومِنَ النّخْلِ من طَلْعِها﴾، والطّلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِنْوانٌ﴾ جمع قِنْو وهو العِذق، مثل صنو وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام، ﴿دَانيةٌ﴾، أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزقة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام، كقوله تعالى «سرابيل تقيكم الحَرَّ» (النمل، ٨١) يعني: الحرَّ والبـرْد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿وجناتٍ من أعناب﴾، أي: وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم ﴿وجناتٌ﴾ بالرفع نسقاً على قوله ﴿قنوان﴾ وعامة القراء على خلافه، ﴿والزيتونَ والرُّمانَ﴾، يعني: وشجر الزيتون [وشجر][1] الرمان، ﴿مشتبهاً وغيرَ مُتشابِهٍ﴾، قال قتادة: معناه مشتبهاً ورقها مختلفاً ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: مشتبه في المنظر مختلف في الطعم، ﴿انظروا إلى ثمره﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، هذا وما بعده وفي «يس» على جمع

(١) ساقط من «ب».

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

الثمار، وقرأ الآخرون [بفتحهما](١) على جمع الثمرة، مثل: بقرة وبقر، ﴿إذا أثمرَ وينْعِهِ﴾، ونضجه وإدراكه، ﴿إنّ في ذلكم لأياتٍ لقومٍ يُؤمنُون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجعلُوا للّهِ شُركاءَ الجِنَّ﴾، يعني: الكافرين جعلُوا لله الجن شركاء، ﴿وخَلَقَهُمْ﴾، يعني: وهو خلق الجن.

قال الكلبي: نزلت في الزنادقة، أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: [الله خالق](٢) النور والنّاس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيّات والعقارب، وهذا كقوله: «وجعلُوا بينَه وبينَ الجِنَّة نسباً»، (الصافات، ١٥٨) وإبليس من الجِنَّة، ﴿وخرقُوا﴾، قرأ أهل المدينة «وخرَّقوا»، بتشديد الراء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلقوا ﴿له بنين وبناتٍ بغيرِ علم﴾، وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار العرب الملائكة بنات الله، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سبحانَهُ وتعالى عمّا يصفُون﴾.

﴿بديعُ السمواتِ والأرضِ﴾، أي: مبدعهما لا على مثال سبق، ﴿أنّى يكونُ له ولد﴾، أي: كيف يكون له ولد؟ ﴿ولم تكنْ له صاحبةٌ﴾، زوجة، ﴿وخلقَ كلَّ شيء وهو بكل شيء عليم﴾.

﴿ذلكمُ اللّهُ ربُكم لا إلهَ إلّا هوَ خالقُ كلِّ شيءٍ فاعبدوه﴾، فأطيعُوه، ﴿وهو على كلِّ شيء وكيل﴾، بالحفظ له وبالتدبير فيه، ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأبصَارُ وهو يُدرك الأبصار﴾، الآية. يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رُؤية الله عزّ وجلّ عياناً.

ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عزّ وجلّ عياناً جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: «وُجوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربِّها ناظرة»، (القيامة، ٢٣)، وقال: «كلاّ إنّهم عنْ ربهم يومئذ لمحجوبون»

(١) ساقط من «ب».
(٢) في «ب»: (خَلَق اللّهُ).

﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

(المطففين، ١٥)، قال مالك رضي الله عنه: لو لم يرَ المؤمنون ربَّهم يوم القيامة لم يعيِّر اللَّهُ الكفارَ بالحجاب، وقرأ النبي ﷺ: «للذينَ أحسنُوا الحُسْنَى وزيَادة» (يونس، ٢٦)، وفسّره بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ(١).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا عاصم بن يوسف اليربوعي أنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «إنّكم ستروْنَ ربكم عياناً»(٢).

وأما قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو: الوقوفُ على كُنهِ الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى «فلما تراءَى الجمعان قالَ أصحاب موسَى إنّا لَمُدْرَكُون قال: كلا» (سورة الشعراء، ٦١)، وقال «لا تخافُ دركاً ولا تخشى» (سورة طه، ٧٧)، فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عزّ وجلّ يجوز أن يُرى من غير إدراك وإحاطة كما يُعرف في الدنيا ولا يُحاط به، قال الله تعالى: (ولا يُحيطون به علماً)، (سورة طه، ١١٠)، فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيَّب: لا تُحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلّتْ أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تُدركه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة، قوله تعالى: ﴿وهو يدرِك الأبصار﴾، لا يخفى عليه شيء ولا يفوته، ﴿وهو اللّطيفُ الخبيرُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه [الخبير بهم، وقال الأزهري: معنى ﴿اللطيف﴾](٣) الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسي العبادَ ذنوبَهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قدْ جاءَكمْ بصائرُ من رَّبكم﴾، يعني الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى

---

(١) انظر الروايات في الدر المنثور: ٣٥٦/٤-٣٥٨.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه البخاري في تفسير سورة (ق): ٥٩٧/٨، وفي التوحيد، وفي مواقيت الصلاة. ومسلم في المساجد، باب فضل صلاة الصبح والعصر، برقم (٦٣٣): ٤٣٩/١. والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم
مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فمن أبصر فلنفسه﴾، أي: فمن عرفها وآمن بها فلنفسِهِ عَمِلَ، ونفعُه له، ﴿ومَنْ عَمِيَ فعليها﴾، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها، أي: فبنفسه ضرَّ، وَوبال العمى عليه، ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾، برقيب أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول إليكم أبلغكم رسالاتِ ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

﴿وكـذلـك نُصرِّفُ الآيات﴾، نفصلها ونبيّنها في كل وجه، ﴿ولِيَقُولُوا﴾، قيل: معناه لئلا يقولوا، ﴿دَرَسْتَ﴾، وقيل: هذه اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: (فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عدّواً وحزناً)، (القصص، ٨)، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدواً لهم.

قال ابن عباس: وليقولوا يعني: أهل مكة حين تقرأ عليه القرآن درستَ، أي: تعلمتَ من يسار وجبر، كانا عبدين من سبي الروم، ثم قرأتَ علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم: درست الكتاب أدْرس درساً ودراسة.

وقـال الفرَّاء: يقولون تعلمت من يهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «دارست» بالألف، [أي: قارأتَ أهـل الكتاب من المدارسة بين اثنين، تقول:][1] قرأت عليهم وقرأوا عليك. وقرأ ابن عامر ويعقوب: «دَرَسَتْ» بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم: درس الأثر يدرس دروسا. ﴿ولِنُبَيِّنَهُ لقوم يعلمُون﴾، قال ابن عباس: يريد أولياءه الـذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبيّن له الحق فهو سعيد.

﴿اتبـعْ ما أُوحيَ إليـكَ مِن ربِّـك﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لا إله إلاّ هو وأعرضْ عَنِ المشركين﴾، فلا تجادلهم.

---

(١) ساقط من «ب».

﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾، أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين، ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾، رقيباً قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب إنّما بعثت مبلغاً. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تسبُّوا الذين يدعُون مِن دُونِ الله﴾ الآية /، قال ابن عباس: لما نزلت ١٢٢/
«إنّكم وما تعبدون مِن دُونِ اللّهِ حَصَبُ جهنّم» (الأنبياء، ٩٨) قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سَبِّ آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبُّوا أوثانهم.

وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك، لئلا يسبُّوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنّه أن ينهى عنّا ابنَ أخيه فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأميَّة وأُبيّ ابنا خلف وعقبة [بن أبي مُعيط وعمرو بن العاص، والأسود بن][1] البختري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدُنا وإن محمداً قد آذانا وآلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعنّه وإلهه، فدعاه فقال: هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتُم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم؟» قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، فما هي؟ قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فأبَوْا ونفروا، فقال أبو طالب: قلْ غيرها يابن أخي، فقال: يا عمُّ ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يديْ، فقالوا: لتكفنّ عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنّك ولنشتمنَّ من يأمرك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولا تسبّوا الذين يدعُون من دُونِ الله﴾[2]، يعني الأوثان، ﴿فيسبُّوا الله عَدْواً﴾، أي: اعتداء وظلماً، ﴿بغير علم﴾.

وقرأ يعقوب ﴿عُدُوّاً﴾ بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تسبُّوا ربّكم»، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم.

فظاهر الآية، وإنْ كان نهياً عن سب الأصنام، فحقيقته النهي عن سبّ الله، لأنه سبب لذلك.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور: ٣/٣٣٨ ـ ٣٣٩، والواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٥)، وانظر: الترمذي: ٩/٩٩ ـ ١٠١ مع تحفة الأحوذي، تاريخ الطبري: ٢/٣٢٣ ـ ٣٢٤، مجمع الزوائد: ٦/١٥، تفسير الطبري: ١٢/٣٤ ـ ٣٥.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿كذلك زيّنا لكلِّ أمّةٍ عملَهم﴾، [أي: كما زيّنا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زيّنا لكل أُمة عملَهم][1] من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثم إلى ربِّهم مرجعُهم فينبئُهم﴾، ويُجازيهم، ﴿بما كانُوا يعملُون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأقسمُوا بالله جَهْدَ أيمانهم﴾ الآيـة. قال محمد بن كعب القرظي والكلبي: قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان معه عصىً يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أيّ شيء تحبون؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعثْ لنا بعض أمواتنا حتى نسأله عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل، أو أرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله ﷺ: فإن فعلتُ بعض ما تقولون. أتصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: اختر ماشئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتـوب تائبُهم، فقـال رسـول الله ﷺ: بلْ يتوب تائبهُم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾[2]، أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدها.

قال الكلبي ومقاتل: إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه.

﴿لئن جاءتْهم آيةٌ﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤمِنُنَّ بها قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إنما الآيات عندَ الله﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وما يُشعركم﴾، وما يدريكم.

واختلفوا في المخاطبين بقوله ﴿وما يشعركم﴾، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذين أقسموا.

وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أنّها إذا جاءتْ لا يؤمنُون﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ١٢/٣٨، الواحدي ص (٢٥٦)، وانظر الدر المنثور: ٣/٣٤٠.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿إنّها﴾ بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تمّ الكلام عند قوله ﴿وما يشعركم﴾، فَمَنْ جعل الخطاب للمشركين قال: معناه: وما يُشعركم أيها [المشركون][1] أنها لو جاءت آمنتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يُشعركم أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله تعالى حتى يريهم ما اقترحوا حتى يُؤمنوا فخاطبهم بقوله: ﴿وما يشعركم﴾، ثم ابتدأ فقال جلّ ذكره: ﴿أنها إذا جاءتْ لا يُؤمنون﴾، وهذا في قوم مخصوصين [حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون][2]، وقرأ الآخرون: «أنها» بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: ﴿لا يؤمنون﴾، فقال الكسائي: ﴿لا﴾ صلة، ومعنى الآية: وما يشعركم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءتِ المشركينَ يؤمنون؟ كقوله تعالى «وحرامٌ على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون» (الأنبياء، ٩٥)، أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى لعلّ، وكذلك هو في قراءة أُبيّ، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئاً، أي: لعلك، وقال عدي بن زيد:

أعاذِلُ ما يُدريْكِ أنَّ مَنِيَّتِي ... إلى ساعةٍ في اليوم أَوْ في ضُحَى الغَدِ[3]

أي: لعلّ منيتي، وقيل: فيه حذف وتقديره: وما يُشعركم أنها إذا جاءت [يؤمنون أو لا يؤمنون؟ وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿لا تؤمنون﴾ بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أُبيّ: إذا جاءتكم][4] لا تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، دليلها قراءة الأعمش: أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون.

﴿ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يُؤمنوا به أوّلَ مرّة﴾، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التي سألوا ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يُؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى (أوَ لم يكفروا بما أُوتي موسى من قبل)، (القصص، ٤٨)، وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن

(١) في «ب»: (المؤمنون).
(٢) زيادة من «ب».
(٣) انظر: جمهرة أشعار العرب: ٢/٥٠٩، طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض. لسان العرب مادة «أنن»: ١٣/٣٤.
(٤) ساقط من «ب».

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

ابن عباس: المرة الأولى دار الدنيا، يعني لو رُدّوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم، كما قال: «ولو رُدّوا لعادُوا لما نُهوا عنه» (الأنعام، ٢٨) ﴿ونَذَرُهُمْ في طُغيانِهِمْ يعمهُون﴾، قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾، فرأوهم عياناً ﴿وكلَّمهم الموتى﴾، بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا، ﴿وحشرنا﴾، وجمعنا، ﴿عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلًا﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿قبلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي معاينة، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورُغف، وقضيب وقُضُب /، أي: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو ١/١٢٣
القبيلة، أي: فوجاً فوجاً. وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلًا لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه، ﴿وما كانُوا لِيؤْمِنُوا إلاّ أنْ يشاءَ اللّهُ﴾، ذلك، ﴿ولكنّ أكثرهم يجهلُون﴾.

﴿وكذلك جعلنا لكلِّ نبي عدواً﴾، أي: أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسّرهم فقال: ﴿شياطين الإنس والجن﴾، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم الذين يلتقون في كل حين، فيقول [شيطان][1] الإنس [لشيطان] الجن: أضللتُ صاحبي بكذا فأضلَّ صاحبك بمثله، وتقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض.

قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه، يدل عليه ما رُوي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس»؟ فقلت: يا رسول الله وهلّ للإنس من شياطين؟

(١) في الأصل «شياطين» في الموضعين.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)﴾

قال: «نعم، هم شرّ من شياطين الجن»(١).

وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد عليَّ من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذتُ بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿يُوحي بعضُهم إلى بعضٍ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرُفَ القَوْلِ﴾، وهو قول مموه مزّين بالباطل لا معنى تحته، ﴿غُرُوراً﴾، يعني: هؤلاء الشياطين يُزيّنون الأعمال القبيحة لبني آدم، يغـرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿ولو شاءَ رَبُّكَ ما فعلُوه﴾، أي: ما ألقاه الشيطان من الوسوسة [في القلوب](٢)، ﴿فذرْهُم وما يفترُون﴾.

﴿ولِتَصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يُؤمنُون بالآخرة﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يُصغي، صغاً، وصغى يَصْغَى، ويصغُو صغواً، والهاء في «إليه» راجعة إلى زخرف القول، ﴿وليَرْضَوْهُ وليَقْتَرِفُوا﴾، ليكتسبوا، ﴿ما هم مُقْتَرِفُونَ﴾، يقـال: اقتـرف فلان مالاً أي اكتسبـه، وقـال تعالى: (ومن يقترف حسنةً) (الشورى، ٢٣)، وقال الزجّاج: أي ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أفغيرَ اللّهِ﴾، فيه إضمار أي: قلْ لهم يا محمد أفغير الله، ﴿أبتغي﴾، أطلب ﴿حَكَماً﴾، قاضياً بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكَماً فأجابهم به، ﴿وهوَ الذي أنزلَ إليكمُ الكتابَ مُفصّلاً﴾، مبيناً فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً أي خمسـاً خمسـاً وعشـراً عشراً، كما قال: (لنثبّتَ به فؤادَك) (الفرقان، ٣٢)، ﴿والذين آتيناهمُ

(١) أخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس: ٨/٢٧٥، دون قوله «هم شر من شياطين الجن»، والإمام أحمد في المسند: ١/٢٦٥.

(٢) ساقط من «ب».

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

الكتابَ﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد بالكتاب هو القرآن، **﴿يعلمُون أنّه مُنزّلٌ﴾**، يعني: القرآن، قرأ ابن عامر [وحفص][1]: **﴿منزل﴾**، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوماً متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال، لقوله تعالى: «وهو الذي أنزل إليكم الكتاب»، **﴿مِن ربِّك بالحقّ فلا تكُونَنّ مِنَ الممترين﴾**، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وتَمّتْ كلمةُ ربِّكَ﴾**، قرأ أهل الكوفة ويعقوب **﴿كلمة﴾** على التوحيد، وقرأ الآخـرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده، **﴿صِدْقاً وعَدْلاً﴾**، أي: صدقاً في الوعد والوعيد، وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صدقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم، **﴿لا مُبدِّلَ لكلماتِه﴾**، قال ابن عباس: لا رادّ لقضائه ولا مغيّر لحكمه ولا خُلْف لوعده، **﴿وهو السّميعُ العليم﴾**، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدّل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

﴿وإنْ تُطعْ أكثرَ مَن في الأرض يُضِلّوكَ عن سبيل الله﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: **﴿وإن تُطعْ أكثرَ منْ في الأرض﴾** أي: وإن تطعهم في أكل الميتة يُضلّوكَ عن سبيل الله، **﴿إن يتّبعون إلا الظّنَّ﴾**، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظنٌّ [وهوىً][1] لم يأخذوه عن بصيرة، **﴿وإنْ هم إلاّ يخرصُون﴾**، يكذّبُون.

﴿إنّ ربَّك هو أعلمُ مَن يَضِلُّ عن سبيلِهِ﴾، قيل: موضع «من» نصب بنزع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إنّ ربك هو أعلم أيُّ الناس يضل عن سبيله، **﴿وهو أعلم بالمُهتدين﴾**، أخبر أنه أعلم بالفريقين الضالين والمعتدين فيجازي كلًا بما يستحقه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿فكلُوا ممّا ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عليهِ﴾**، أي: كلوا ممّا ذُبح على اسم الله، **﴿إن كُنتُم**

---

(١) ساقط من «ب».

وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ
﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

بآياته مُؤمنين﴾، وذلك أنهم كانوا يُحرّمون أصنافاً من النَّعم ويحلّون الأموات، فقيل لهم: أحِلّوا ما أحلّ الله وحرّموا ما حرّم الله.

ثم قال: ﴿ومَالكُمْ﴾، يعني: أي شيء لكم، ﴿ألّا تأكلوا﴾، وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿ممّا ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عليهِ﴾، من الذبائح، ﴿وقدْ فصّلَ لكُم مَا حرَّم عليكم﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص ﴿فصل﴾ و﴿حرم﴾ بالفتح فيهما أي فصل الله ما حرمه عليكم، لقوله ﴿اسمُ الله﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل، لقوله ﴿ذُكر﴾، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿فصل﴾ بالفتح و﴿حرم﴾ بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى «حُرّمَتْ عليكمُ الميتةُ والدمُ» (المائدة، ٣). ﴿إلاّ ما اضْطُرِرْتُم إليه﴾، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، ﴿وإنّ كثيراً لَيُضِلُّون﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس، لقوله تعالى: (يضلوك عن سبيل الله)، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: ﴿من يضل﴾، ﴿بأهوائهم بغيرِ علم﴾، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة /. ﴿إنّ ١٢٣/
ربَّك هو أعلمُ بالمعتدين﴾، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿وذَرُوا ظاهر الإثم وباطنَه﴾، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهر الإثم ما يعمله بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمُصِرِّ على الذنب القاصد له.

وقال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالّة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستسرار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا فكان الشريف منهم يتشرف، فيُسرُّ به، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عزّ وجلّ، وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا.

وقال ابن زيد: ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في [الطواف](1) والباطن الزنا، وروى حبان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، ﴿إنّ الذينَ يَكْسِبُون الإثم سَيُجْزَوْنَ﴾، في الآخرة، ﴿بما كانوا يَقترِفُون﴾، [يكتسبون في الدنيا](2).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تأكلوا ممّا لم يذكرِ اسمُ الله عليهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها.

وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام.

واختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها: فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً، وهو قول ابن سيرين والشعبي، واحتجوا بظاهر هذه الآية.

وذهب قوم إلى تحليلها، يُروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لا يحل، وإن تركها ناسياً يحل، حكى الخرقي من أصحاب أحمد: أن هذا مذهبه، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

من أباحها قال: المراد من الآية الميتات أو ما ذبح على غير اسم الله بدليل أنه قال: ﴿وإنّه لَفِسْقٌ﴾، والفسق في ذكر اسم غير الله كما قال في آخر السورة ﴿قلْ لا أجد فيما أُوحيَ إلي محرماً على طاعم﴾ إلى قوله ﴿أو فسقاً أُهِلَّ لغير اللّهِ به﴾.

واحتج من أباحها بما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام بن عروة يحدّث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قالوا: يا رسول الله إن هنا أقواماً حديثٌ عهدهم بشرك يأتونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: اذكروا أنتم اسم الله وكلُوا»(3).

ولو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل [الذبح](4).

---

(1) في «ب»: (الطرقات».
(2) ساقط من «ب».
(3) أخرجه البخاري في التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها: ١٣/٣٧٩، وفي البيوع. والمصنف في شرح السنة: ١١/١٩٤.
(4) في «أ»: (الذبائح).

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى ﴿وإنّ الشياطينَ لَيُوحُونَ إلى أوليائِهم لِيُجادِلُوكم﴾، أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت مَنْ قتَلَها؟ فقال: الله قتلها، قالوا أفتزعم أن ما قتلتَ أنتَ وأصحابك حلالٌ، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وإنْ أطعتموهم﴾، في أكل الميتة، ﴿إنّكم لَمشركُون﴾، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحلّ شيئاً مما حرّم الله أو حرّم ما أحلّ الله فهو مشرك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أوَ مَن كانَ مَيْتاً فأحييناه﴾، قرأ نافع ﴿ميِّتاً﴾، و(لحم أخيه ميِّتاً) (الحجرات، ١٢) و(الأرض الميتة أحييناها) (سورة يس، ٣٣) بالتشديد فيهن، والآخرون بالتخفيف ﴿فأحييناه﴾، أي: كان ضَالاً فهديناه، كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وجعلنا له نوراً﴾، يستضيء به، ﴿يمشي به في الناس﴾، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى «يُخرِجُهم مِّنَ الظّلماتِ إلى النور» (البقرة، ٢٥٧)، وقال قتادة: هو كتاب الله بيِّنةٌ من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ في الظّلمات﴾، المثل صلة، أي: كمن هو في الظلماتِ، ﴿ليس بخارج منها﴾، يعني: في ظلمة الكفر.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: جعلنا له نوراً، يريد حمزة بن عبدالمطلب، كمن مثله في الظلمات يريد أبا جهل بن هشام، وذلك أنّ أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفَرْثٍ، فأُخبر حمزةُ بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقول: يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به؟ سفّه عقولنا وسبَّ آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأنزل الله هذه الآية[1].

وقال الضحاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل[2].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٧ ـ ٢٥٨)، وذكر قصة إسلام حمزة: ابن هشام في السيرة ١/٢٩١ ـ ٢٩٢، والحاكم في المستدرك: ٣/١٩٢ ولم يذكرا أن الآية نزلت في هذا.

(٢) تفسير الطبري: ١٢/٨٩، أسباب النزول ص (٢٥٨)، الدر المنثور: ٣/٣٥٢.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

وقال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل[1].

﴿كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانُوا يعملُون﴾، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وكذلكَ جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾، أي: كما أن فُسَّاق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل [قرية][2] أكابرها، أي: عظماءها، جمع أكبر، مثل أفضل وأفاضل، وأسود وأساود، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح عليه السلام: (أنؤمنُ لكَ واتّبعكَ الأرْذَلُون) (الشعراء، ١١١)، وجعل فساقهم أكابرهم، ﴿لِيمْكُروا فيها﴾، وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون لكل من يقدم: إيّاك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب. ﴿وما يمكرُون إلاّ بأنْفُسِهم﴾، لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿وما يشعرُون﴾، أنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وإذا جاءتْهُمْ آيةٌ قالوا لن نُؤمنَ حتّى نُؤتى مِثْلَ ما أُوتيَ رُسُلُ اللّهِ﴾، يعني: مثل ما أوتي رسل الله من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً لكنتُ أولى بها منك، لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إنا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يُوحىَ إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وإذا جاءتهم آية﴾[4]، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، ﴿لن نُؤمنَ حتى نُؤتَى مثل ما أُوتي رسلُ الله﴾، يعني: محمداً ﷺ.

(١) أخرجه الطبري: ١٢/٩٠، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: الدر المنثور: ٣/٣٥٢.

(٢) في «ب»: (أمة).

(٣) انظر: الدر المنثور: ٣/٣٥٣.

(٤) أخرج القصة ابن اسحاق، السيرة: ١/٣١٥-٣١٦، ولم يذكر أنها سبب لنزول الآية.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ
ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

ثم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد، وقرأ الآخرون رسالاته بالجمع، يعني: الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سيُصيبُ الذينَ أجْرَمُوا صَغارٌ﴾، ذُلّ وهَوَان ﴿عند الله﴾، أي: من عند الله، ﴿وعذابٌ شديد بما كانوا يمكرُون﴾/، ١٢٤/
قيل: صَغارٌ في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن يُرِدِ اللَّهُ أن يهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام﴾، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، ولما نزلت هذه الآية سُئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «نورٌ يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح»، قيل: فهل لذلك [أمارة؟][1] قال: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[2].

قوله تعالى: ﴿ومَنْ يُردْ أنْ يُضلّه يجعل صَدْره ضَيّقاً﴾، قرأ ابن كثير ﴿ضيْقاً﴾، بالتخفيف هاهنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْن وهيِّن ولين ولين، ﴿حَرَجاً﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضاً مثل: الدنف والدَنف، وقال سيبويه الحَرج بالفتح: المصدر [كالطلب، ومعناه ذا حرج][3]، وبالكسر الاسم، وهو أشد الضيق، يعني: يجعل قلبه ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. وقال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيئاً من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية، فسأل أعرابياً من كنانة: ما الحَرَجَةُ فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

---

(١) في «ب»: (من علامة).

(٢) أخرجه الطبري: ١٢/٩٨-١٠٢، والبيهقي في الأسماء والصفات: ١/٢٥٧ - ٢٥٨ قال البيهقي: «هذا منقطع».
وانظر: الدر المنثور: ٣/٣٥٤. فقد عزاه لابن المبارك في الزهد، وعبدالرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
وضعفه الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري. وقواه ابن كثير لتعدد طرقه: ٢/١٧٦.

(٣) ساقط من «ب».

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿**كأنّما يَصّعّدُ في السماء**﴾، قرأ ابن كثير: ﴿**يصعد**﴾، بالتخفيف، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿**يصاعد**﴾ بالألف، أي يتصاعد، وقرأ الآخرون ﴿**يصّعّد**﴾، بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمـان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) أي: عقبة شاقة، ﴿**كذلك يجعلُ اللّهُ الرِّجْسَ على الذين لا يؤمنون**﴾، قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه. وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجس. وقيل: هو النجس. رُوي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «[اللهم إني][1] أعوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النّجس»[2]. وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وهذا صراطُ ربِّكَ مستقيماً**﴾، [أي: هذا الذي بيّنا. وقيل هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً][3] لا عوج فيه وهو الاسلام. ﴿**قدْ فصّلنا الآيات لقومٍ يذّكّرون**﴾.

﴿**لهمْ دارُ السلام عنـدَ ربِّهم**﴾، يعني: الجنة: قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة، وقيل: السلام هو السلامة، [أي: لهم دار السلامة][4] من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سَلِمَ من البلايا والرزايا.

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، رقم (٢٩٩): ١٠٩/١، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص(١٢). من طريق اسماعيل بن رافع عن دريد بن نافع عن ابن عمر، وابن عساكر عن ابن مسعود. قال المنذري: «هذا حديث ضعيف» وقال العراقي: «اسماعيل مختلف فيه، ورواية دريد بن نافع عن ابن عمر منقطعة». انظر: فيض القدير للمناوي: ١٢٨/٥ والذي ثبت في الصحيحين وفي السنن أنه ﷺ كان يقول إذا دخل الخلاء: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث».

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، يقال في الابتداء: (ادْخُلوها بسلامٍ آمنين) (الحجر، ٤٦)، (والملائكةُ يدخلون عليهمْ من كلّ بابٍ سلام عليكم) (الرعد، ٢٣)، وقال: (لا يسمعُون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً) (الواقعة، ٢٦)، وقال: (تحيّتُهم فيها سلامٌ) (ابراهيم، ٢٣) (سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم) (يس، ٥٨). ﴿وهوَ وليُّهُمْ بما كانوا يعملُون﴾، قال [الحسين][1] بن الفضل: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ويومَ يحشرُهم﴾، قرأ حفص: ﴿يحشرهم﴾، بالياء، ﴿جميعاً﴾، يعني: الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يا معشرَ الجنّ﴾، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿قد استكثْرتُم منَ الإنسِ﴾، أي: استكثرتم من الإنس بالإضلال والإغواء أي: أضللتم كثيراً، ﴿وقال أولياؤُهم منَ الإنس﴾، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿ربَّنا اسْتَمْتَعَ بعضُنا ببعضٍ﴾.

قال الكلبي: استمتاع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض قَفْرٍ وخاف على نفسه من الجن قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم.

وأما استمتاع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سِدْنَا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في قومهم وعِظَماً في أنفسهم، وهذا كقوله تعالى (وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذُون برجالٍ من الجنِّ فزادُوهم رهقاً) (الجن، ٦).

وقيل: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يُلْقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتاع الجنّ بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزيّنون لهم من الضلالة والمعاصي.

قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم [لبعض][2].

﴿وبَلَغْنَا أجلنَا الذي أجّلْتَ لنَا﴾، يعني: القيامة والبعث، ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿النارُ مثواكم﴾، مقامكم، ﴿خالدينَ فيها إلاّ ما شاءَ الله﴾.

اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: (خالدينَ فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُّك) (هود، ١٠٧).

---

(١) في «ب»: (الحسن).

(٢) في «ب»: (بعضاً).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

قيل: أراد إلّا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: هم خالدون في النار إلّا هذا المقدار.

وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله ﴿النار مثواكم﴾، أي: خالدين في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب.

وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، و«ما» بمعنى «من» على هذا التأويل، ﴿إنّ ربَّك حكيمٌ عليم﴾، قيل: عليم بالذي استثناه وبما في قلوبهم من البِرّ والتقوى.

﴿وكذلك نُولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانُوا يكسِبُون﴾، [قيل: أي][1]: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضاً، أي: نسلّط بعضهم على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: «مَنْ أعان ظالماً سلّطه اللّهُ عليه»[2].

وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالمؤمن وليّ المؤمن [أين كان][3]، والكافر وليّ الكافر حيث كان. ورُوي عن معمر عن قتادة: نتبع بعضهم بعضاً في النار، من الموالاة. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض، كقوله تعالى: (نُولّه ما تولى) (النساء، ١١٥)، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو: أنّ الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولّى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولّى أمرهم شرارهم.

---

(١) في «ب»: (يقول).

(٢) قال في اللآلىء: «ذكره صاحب الفردوس بسنده من حديث ابن مسعود» وقال في المقاصد الحسنة: رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن مسعود رفعه، وفيه: ابن زكريا العدوي، متهم بالوضع، فهو آفته. وأورده الديلمي في الفردوس بلا سند عن ابن مسعود. انظر: كشف الخفاء: ٢/٢٩٧ ـ ٢٩٨، فيض القدير: ٦/٧٢، تمييز الطيب من الخبيث، ص (١٧٧).

(٣) ساقط من «ب».

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ
مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن
يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن
ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا معشرَ الجنِّ والإنس ألَمْ يأتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾**، اختلفوا في أن الجن هلْ أُرسل إليهم منهم [رسول](١)؟ فسُئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول **﴿ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم﴾**، يعني: بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن. قال الكلبي: كانت الرسل من قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون إلى الجن وإلى الإنس جميعا.

قال مجاهد: الرسل من الإنس، والنُّذُر من الجن، ثم قرأ (ولَّوْا إلى قومهم مُّنْذِرين) (الأحقاف، ٢٩)، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله «رسل منكم» ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)
١٢٤/ب (الرحمن، ٢٢)/، وإنّما يخرج من الملح دون العذب، قال: (وجعل القمر فيهن نوراً) (نوح، ١٦)، وإنّما هو في سماء واحدة.

﴿يقصُّون عليكم﴾، أي: يقرؤون عليكم، **﴿آياتي﴾**، كتبي **﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾**، وهو يوم القيامة، **﴿قالوا شهدْنَا على أنفسنا﴾**، أنهم قد بلَّغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدتْ عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عزّ وجلّ: **﴿وغرتْهُمُ الحياةُ الدنيا﴾**، حتى لم يؤمنُوا، **﴿وشهدُوا على أنفسهم أنهم كانُوا كافرين﴾**.

﴿ذلك أن لَّمْ يكن ربُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بظلم﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم، لأنه لم يكنْ ربُّكَ مُهلكَ القرى بظلم، [أي: لم يكن مهلكهم بظلم](٢)، أي: بشركِ من أشرك، **﴿وأهلُها غافلُون﴾**، لم ينذروا حتى نبعث إليهم رسلاً ينذرونهم.

وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل.

وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله

(١) في «ب»: (رسل).
(٢) زيادة من «ب».

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ
عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ
لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ
شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟
عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلّا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أُمر فلم يأتمر ونُهي فلم ينته، يكون ذلك بعد إنذار الرسل.

﴿ولكلّ درجاتٌ ممّا عملُوا﴾، يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وما ربُّك بغافل عمّا يعملون﴾، قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون بالياء.

﴿وربُّك الغني﴾، عن خلقه، ﴿ذُو الرحمة﴾، قال ابن عباس: [ذو الرحمة][1] بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إن يشأ يُذْهِبْكُم﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة، ﴿ويستخلفْ﴾، [يخلق][1] وينشيء، ﴿من بعدِكم ما يشاءُ﴾، خلقاً غيركم أمثل وأطوع. ﴿كما أنشأكم مِّن ذُرّيةِ قومٍ آخرين﴾، أي: آبائهم الماضين قرناً بعد قرن.

﴿إنّ ما تُوعدُون﴾، أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿لآتٍ﴾، كائن، ﴿وما أنتمْ بمعجزين﴾، أي: بفائِتين، يعني: يدرككم حيث ما كنتم.

﴿قلْ﴾ يا محمد ﴿يا قوم اعملُوا على مكانَتِكم﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿مكاناتكم﴾ بالجمع حيث كان أي: على تمكنكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجّاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أُمر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت

(١) زيادة من «ب».

عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول: قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون، ﴿إنّي عاملٌ﴾، ما أمرني به ربي عزّ وجلّ، ﴿فسوف تعلمُون مَن تكونُ له عاقبة الدّار﴾، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: يكون بالياء هنا وفي القصص، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة، ﴿إنه لا يُفلحُ الظّالمون﴾، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجعلوا للّهِ ممّا ذَرَأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ الآية، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إنّ الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من [نصيب][1] الأصنام فيما جعلوه لله ردّوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله، فذلك قوله تعالى ﴿وجعلُوا للّهِ مِمّا ذَرَأ﴾، خلق ﴿من الحرث والأنعام نصيباً﴾، وفيه اختصار مجازه: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً.

﴿فقالوا هذا للّهِ بزعمِهم﴾، قرأ الكسائي (بزُعْمهم) بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة. ﴿وهذا لشركائِنا﴾، يعني: الأوثان، ﴿فما كانَ لشُركائِهم فلا يصلُ إلى اللّهِ وما كان للّهِ فهو يصلُ إلى شُركائِهم﴾، ومعناه: ما قلنا أنهم [كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه لله، ولا][1] يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزّؤوا لله وأكلوا منه ووفّروا ما جزّؤوا لشركائهم ولم يأكلوا منه [شيئاً][1]، ﴿ساءَ ما يحكمُون﴾، أي: بئس ما [يصنعون][2].

﴿وكذلك زَيّنَ لكثير منَ المشركين﴾، أي: كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿قتلَ أولادِهم شركاؤُهم﴾، قال مجاهد شركاؤهم، أي: شياطينهم زيّنوا وحسّنوا لهمَ وأدَ البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها.

وقال الكلبي: شركاؤهم: سدنة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، فكان الرجل

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب»: (يقضون).

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ
حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا
كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ
سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾

منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرنّ أحدَهم كما حلف عبدالمطلب على ابنه عبدالله.

وقرأ ابن عامر: «زُيِّن» بضم الزاي وكسر الياء، «قتل» رفع «أولادهم» نصب، «شركائهم» بالخفض على التقديم، كأنه قال: زيّن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به، وهم الأولاد، كما قال الشاعر:

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكِّناً زَجَّ القَلُوصِ أبي مَزَادَهْ

أي: زجّ أبي مزادة القلوص، فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء، وإن لم يتولوا ذلك لأنهم هم الذين زيّنوا ذلك ودعوا إليه، فكأنهم فعلوه. قوله عزّ وجلّ: **﴿ليردوهم﴾**، ليُهلكوهم، **﴿وليَلْبِسُوا عليهم﴾**، ليخلطوا عليهم، **﴿دينَهم﴾**، قال ابن عباس: ليُدخلوا عليهم الشكَّ في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلَبْسِ الشياطين. **﴿ولو شاءَ اللّهُ ما فعلُوه﴾**، أي: لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، **﴿فَذَرْهم﴾**، يا محمد، **﴿وما يَفْتَرُون﴾**، يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

﴿وقالوا﴾ يعني: المشركين، **﴿هذهِ أنعام وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾**، أي حرام، يعني: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهد: يعني بالأنعام: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، **﴿لا يَطْعَمُهَا إلاّ مَن نشاء بزعمِهم﴾**، يعنون الرجال دون النساء، **﴿وأنعامٌ حُرِّمتْ ظُهورُها﴾**، هي: الحوامي كانوا لا يركبونها، **﴿وأنعامٌ لا يذكرُون اسمَ اللّهِ عليها﴾**، أي: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لمّا جرتِ العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبّر بذكر الله تعالى عن فعل الخير. **﴿افتراءً عليه﴾**، يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراءً عليه **﴿سيَجْزِيهمْ بما كانُوا يَفْتَرُون﴾**.

﴿وقالوا ما في بطونِ هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكورِنَا ومُحرَّمٌ على أزواجِنَا﴾، أي: نساؤنا. قال

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾

ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنَّة البحائر والسوائب، فما وُلد منها حيّاً فهو خالص للرجال دون النساء، وما وُلد ميّتاً أكله الرجال والنساء جميعاً. وأدخل الهاء في ﴿الخالصة﴾ للتأكيد كالخاصة والعامة، كقولهم: نسَّابة وعلاَّمة، وقال الفراء: أُدخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنثت بتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظٍ وموعظة.

١٢٥/أ ﴿وإن يكُن مَّيتةً﴾، قرأ ابن عامر [وأبو جعفر][١]: ﴿تكن﴾ بالتاء ﴿ميتة﴾ رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿تكن﴾ بالتاء / ﴿ميتة﴾ نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ ابن كثير: ﴿وإنْ يكن﴾ بالياء ﴿ميتة﴾ رفع، لأنّ المراد بالميتة الميت، أي: وإن يقع ما في البطون ميّتاً، وقرأ الآخرون ﴿وإنْ يكن﴾ بالياء ﴿ميتة﴾ نصب، ردّه إلى ﴿ما﴾ أي: وإن يكن ما في البطون ميتة، [يدل عليه أنه قال][٢]: ﴿فهمْ فيهِ شُركاء﴾، ولم يقل فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿سَيَجْزِيهم وَصْفَهم﴾، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله تعالى ﴿إنه حكيمٌ عليم﴾.

﴿قدْ خَسِرَ الذينَ قَتَلُوا أولادَهم﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ﴿قتلوا﴾ بتشديد التاء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿سفهاً﴾، جهلاً. ﴿بغير علمٍ﴾، نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك[٣].

﴿وحرّموا ما رزقَهم الله﴾، يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحَام، ﴿افْتراءً على اللّهِ﴾، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿قدْ ضلُّوا وما كانُوا مُهْتَدِين﴾.

---

(١) في «ب»: (وأبو حفص).
(٢) ساقط من «ب».
(٣) الدر المنثور: ٣/٣٦٦.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ﴾، ابتدع. ﴿جنَّاتٍ﴾، بساتين، ﴿معْرُوشاتٍ وغير معرُوشات﴾، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض وانتشر مما يعرش، مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق وبَسَقَ، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار.

وقال الضحاك: كلاهما، الكرم خاصة، منها ما عرش ومنها ما لم يعرش.

﴿والنّخلَ والزّرْعَ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿مختلفاً أُكُلُهُ﴾، ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والرديء، ﴿والزيتونَ والرمانَ متشابهاً﴾، في المنظر، ﴿وغير مُتشابه﴾، في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿كلُوا من ثمرهِ إذا أثمر﴾، هذا أمر إباحة.

﴿وآتُوا حقَّهُ يومَ حصادِه﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم ﴿حصاده﴾ بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها ومعناهما واحد، كالصِّرام والصَّرام والجَزاز والجِزاز.

واختلفوا في هذا الحق: فقال ابن عباس وطاووس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر.

وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم: هو حق في المال سوى الزكاة، أمر بإتيانه، لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة.

قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل.

وقال مجاهد: كانوا [يعلقون][1] العذق عند الصرام فيأكل منه مَنْ مرَّ.

وقال يزيد بن الأصم: كان أهل المدينة إذا صرموا يجيؤون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه.

وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقاً يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخاً بإيجاب العشر.

وقال مِقْسَم عن ابن عباس: نسختِ الزكاةُ كلَّ نفقة في القرآن.

﴿ولا تُسرفُوا إنّه لا يُحبُّ المُسرفين﴾، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال ابن عباس في رواية الكلبي: إنَّ ثابت بن قيس بن شَمَّاس صَرَمَ خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[2].

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣/٣٦٩.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)﴾

قال السدي: لا تسرفوا أي لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف، لأنه قد جاء في الخبر «ابدأ بمن تعول»(١). وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل الآية على هذا: لا تتجاوز الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

وقال مقاتل: لا تُشركوا الأصنام في الحرث والأنعام.

وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرّت به عن حق الله عزّ وجلّ، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مدّاً في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال: الخطاب للسلاطين، يقول: لا تأخذوا فوق حقكم.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ومِنَ الأنعام﴾**، أي: وأنشأ من الأنعام، **﴿حَمُولَةً﴾**، وهي كل ما يحمل عليها من الإبـل، **﴿وفَرْشاً﴾**، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. **﴿كُلُوا ممّا رزقَكُمُ اللّهُ ولا تتّبعوا خطواتِ الشيطان﴾**، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، **﴿إنّه لكمْ عدوٌ مبين﴾**.

ثم بيّن الحمولة والفرش فقال: **﴿ثمانية أزواج﴾**، نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، **﴿من الضأن اثنين﴾**، أي: الذكر والأنثى، [فالذكر زوج والأنثى](٢) زوج، والعرب تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم، والواحد ضائن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، **﴿ومنَ المَعْزِ اثنين﴾**، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة «من المعز» بفتح العين، والباقون بسكونها، والمعز والمعزى جمع لا

---

(١) قطعة من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى: ٣/٢٩٤، ومسلم في الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، برقم (١٠٣٤): ٢/٧١٧، والمصنف في شرح السنة: ٥/١٧٨، ١٧٩.

(٢) ساقط من «ب».

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا
ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن
يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز مَعِيْز، وجمع الماعزة مواعز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ءآلذَّكَرين حرّمَ﴾، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أم الأُنثيين﴾، يعني أنثى الضأن والمعز، ﴿أمَّا اشتملتْ عليه أرحام الأُنثيين﴾، منهما، فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، ﴿نبّئوني﴾، أخبروني ﴿بعلم﴾، قال الزجاج: فسِّروا ما حرّمتُم بعلم، ﴿إنْ كنتُم صَادقين﴾ أن الله تعالى حرم ذلك.

﴿ومِنَ الإبـل اثنين ومِنَ البقرِ اثنين قلْ ءآلذكرين حرّم أمِ الأُنثيين أمّا اشتملَتْ عليه أرحام الأُنثيين﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حِجْر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرَّمٌ على أزواجنا، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحَام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فلمّا قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ، وكانَ خطيبهم مالك بن عوف أبو الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد [بلغنا][1] أنك تحرم أشياء ممّا كان آباؤنا يفعلونه، فقال له رسول الله ﷺ: «إنكم قد حرّمتم أصنافاً من الغنم على غير أصل، وإنّما خلق الله هذه الأزاج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قِبَل الذكر أم من قبل الأنثى»؟[2] فسكت مالك بن عوف وتحيَّر فلم يتكلم. فلو قال جاء التحريم بسبب الذكور وجب أن يحرّم جميع الذكور، وإن قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرّم جميع الإناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل، لأنّ الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو ا لسابع أو البعض دون البعض / فمن أين؟. ١٢٥/ ب

(١) ساقط من «أ».
(٢)

ويُروى أنّ النبي ﷺ قال لمالك: «يا مالِكُ: مَا لَكَ لا تتكلم؟ قال له مالك: بل تكلمْ وأسمعُ منك».

﴿أمْ كنتُمْ شهداء﴾، حضوراً ﴿إذْ وصّاكُمُ اللّهُ بهذا فمنْ أظلمُ ممّنِ افْتَرى على الله كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ بغيرِ علم﴾، قيل: أراد به: عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقه، ﴿إنّ الله لا يهدي القومَ الظالمين﴾.

ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال: ﴿قلْ لا أجد فيما أُوحي إليّ محرماً﴾. ورُوي أنهم قالوا: فما المحرم إذاً فنزل: ﴿قلْ﴾ يا محمد ﴿لا أجد فيما أُوحي إليّ محرماً﴾، أي: شيئاً محرماً، ﴿على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾، آكلٍ يأكله، ﴿إلاّ أن يكون مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «تكون» بالتاء، ﴿ميتة﴾ رفع أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحمزة ﴿تكون﴾ بالتاء، ﴿ميتة﴾ نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو: الجثة ميتة، وقرأ الباقون «يكون» بالياء «ميتة» نصب، يعني إلا أن يكون [المطعوم][1] ميتة، ﴿أو دماً مسفوحاً﴾، أي: مُهْراقاً سائلاً، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان، وهنّ أحياء وما خرج من الأرواح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان، وقد جاء الشرع بإباحتهما، ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل.

قال عمران بن حُدَيْر: سألت أبا مجلز عمّا يختلط باللحم من الدم، وعن القِدْر يُرى فيها حمرة الدم؟ فقال: لا بأس به، إنما نهى عن الدم المسفوح.

وقال إبراهيم: لا بأس بالدم في عرق أو مخ، إلا المسفوح الذي تعمد ذلك. وقال عكرمة: لولا هذه الآية لاتّبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود.

﴿أو لَحْمَ خنزير فإنّه رِجْس﴾ حرام، ﴿أو فِسْقاً أُهلّ لغيرِ اللّهِ بهِ﴾، وهو ما ذُبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. يُروى ذلك عن عائشة وابن عباس قالوا: ويدخل في الميتة: المنخنقة والموقوذة، وما ذُكر في أول سورة المائدة[2].

وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء، والمحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا[3]،

(١) في «ب»: (الطعام).

(٢) راجع فيما سبق، تفسير الآية (٣) من سورة المائدة - في هذا الجزء. ص (١٠ - ١٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٧/١١٦ وما بعدها، أحكام القرآن للطبري الهراس: ٣/٣٤٦ - ٣٤٧.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾

ذلك معنى قوله تعالى: «قل لا أجد فيما أُوحي إليّ محرماً»، وقد حرّمتِ السنّةُ أشياء يجب القول بها.

منها: ما أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر ثنا عبدالغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج، قال ثنا عبيدالله بن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير»[1].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أكلُ كلِّ ذي نابٍ مِنَ السباع حرامٌ»[2].

والأصل عند الشافعي: أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل، فإن كان مما أمر الشرع بقتله ـ كما قال: «خمسٌ فواسق يقتلن في الحِل والحَرم»[3]، أو نهى عن قتله، كما رُوي أنه نهى عن قتل النحلة والنملة ـ فهو حرام، وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: (قُلْ أحل لكم الطيبات)، فثبت أن ما استطابوه فهو حلال.

﴿فمن اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربَّك غفورٌ رحيم﴾، أباح أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وعلى الذينَ هادُوا﴾، يعني اليهود، ﴿حرَّمنا كلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾، وهو مالم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل: البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب

---

(١) أخرجه مسلم في الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع... برقم (١٩٣٤): ١٥٣٤/٣. والمصنف في شرح السنة: ٢٣٤/١١.

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق - برقم (١٩٣٣): ١٥٣٤/٣. والمصنف في الموضع نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٣٤/٤، ومسلم في الحج باب ما يندب للمحرم وغيره قتله، برقم (١١٩٨): ٨٥٦/٢.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا
حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ
عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

من الطير وكل ذي حافر من [الدواب][1] وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمّي الحافر ظُفراً على الاستعارة.

﴿ومِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حرّمْنَا عليهِمْ شُحُومهما﴾، يعني شحوم الجوف، وهي الثُّروب، وشحم الكليتين، **﴿إلاّ ما حملتْ ظُهورُهما﴾**، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، **﴿أو الحَوَايا﴾**، وهي المباعر، واحدتها: حاوية وحَوِيَّة، أي: ما حملته الحوايا من الشحم. **﴿أو ما اخْتَلَطَ بعظم﴾**، يعني: شحم الإلية، هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثَّرْبِ[2] وشحم الكلية. أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة «إن الله ورسوله حَرّمَ بيعَ الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يُطلى بها السفن ويُدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا، هو حرام. ثم قال رسول الله عند ذلك: «قاتلَ اللّهُ اليهودَ إن الله عزّ وجلّ لمّا حرم شحومها جَمَلُوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه»[3].

﴿ذلـك جزينـاهم﴾، أي: ذلك التحريم عقوبة لهم **﴿ببغيهم﴾**، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل، **﴿وإنّا لصادقون﴾**، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيهم.

﴿فـإن كذَّبـوكَ فقـلْ ربُكم ذُو رحمـةٍ واسعة﴾، بتأخير العذاب عنكم، **﴿ولا يُردُّ بأْسُهُ﴾**،

---

(١) في «أ»: (السباع).

(٢) الثَّرْب: على وزن (فَلْس): شحم رقيق على الكرش والأمعاء.

(٣) أخـرجـه البخـاري في البيوع، باب بيع الميتة والأصنام: ٤/٤٢٤، ومسلم في المسـاقـاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزيروالأصنام، برقم (١٥٨١): ٣/٢٠٧. والمصنف في شرح السنة: ٨/٣٠.

[عذابه][1] ﴿عن القوم المجرمين﴾، إذا جاء وقتُه.

﴿سيقولُ الذينَ أشركوا﴾، لمّا لزمتهم الحجة وتيقّنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله [قالوا][1] ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤُنا﴾، من قبل، ﴿ولا حرّمنَا مِن شيءٍ﴾، من البحائر والسوائب وغيرهما، أرادوا أن يجعلوا قوله: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾، حجةً لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منّا وأمرَنَا به لَحَالَ بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كذلِكَ كذَّبَ الذينَ من قبلهم﴾، من كفار الأمم الخالية، ﴿حتى ذاقُوا بأسنا﴾، عذابنا.

ويستدل أهل القدر بهذه الآية، يقولون: إنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا كذّبهم الله وردّ عليهم، فقال: «كذلك كذَّبَ الذينَ من قبلهم».

قلنا: التكذيب ليس في قولهم «لو شاء الله ما أشركنا»، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف (الآية ٢٨): (وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجْدنَا عليها آباءنا والله أمرَنَا بها)، فالردّ عليهم في هذا كما قال تعالى: (قلْ إنّ اللّهَ لا يأمرُ بالفحشاء).

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: «لو شاء الله ما أشركنا»، قوله: ﴿كذلك كذَّب الذين من قبلهم﴾، بالتشديد / ولو كان ذلك خبراً من الله عزّ وجلّ عن كذبهم في قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾، لقال كَذَبَ الذين [من قبلهم][2] بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب. وقال الحسن بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عزّ وجلّ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك، لأنّ الله تعالى قال: ﴿ولو شاءَ اللّهُ ما أشركوا﴾ وقال: (ما كانُوا لِيُؤمِنُوا إلاّ أنْ يشاءَ الله)، (الأنعام، ١١١)، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عزّ وجلّ: (وقالوا لو شاء الرحمنُ ما عَبَدْنَاهم) (الزخرف، ٢٠)، قال الله تعالى: (ما لَهمْ بذلكَ من علم إنْ هم إلاّ يخرصُون) (الأنعام، ١١٦). ١/١٢٦

وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، وردّ عليهم في هذا لأنّ أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنـهُ مريدٌ لجميع الكـائنات غير آمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق

(١) زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «ب».

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد.

﴿قـلْ هلْ عندكم منْ علم﴾، أي: كتاب وحجة من الله، ﴿فتُخرجُوه لنا﴾، حتى يظهر ما تدّعون على الله تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمتم، ﴿إن تتّبعُون﴾، ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿إلا الظنّ﴾، من غير علم ويقين، ﴿وإنْ أنتم إلاّ تَخرُصون﴾، تكذبون.

﴿قلْ فللّه الحُجّةُ البالغةُ﴾، التامّة على خلقه بالكتاب [والرسول][1] والبيان، ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء لهداه.

﴿قـلْ هلمّ﴾، يقـال للواحـد والاثنين والجمـع، ﴿شُهَدَاءَكُم الذينَ يشهدُون﴾، أي: ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون، ﴿أنّ اللّهَ حرّمَ هذا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعْواهم أن الله أمرهم به، ﴿فإنْ شهدُوا﴾، كاذبين ﴿فلا تشهدْ﴾، أنت، ﴿معهم ولا تتّبعْ أهواءَ الذينَ كذّبُوا بآياتِنا والذينَ لا يُؤمنُون بالآخرة وهُم برَبِّهِمْ يعدِلُون﴾، أي: يشركون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قلْ تعالَوا أتل ما حرّم ربكُم عليكم أن لا تُشركوا به شيئاً﴾، وذلك أنهم سألوا وقالوا: أيّ شيءٍ الذي حرّم الله تعالى؟ فقال عزّ وجلّ: «قل تعالَوا أتل» أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقاً يقيناً لا ظناً ولا كذباً كما تزعمون.

فإن قيل: ما معنى قوله «حرّم ربكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً» والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟

---

(١) في «أ»: (والرسل).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

قيل: موضع ﴿أن﴾ رفع، معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب، واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرّم عليكم أن تشركوا به، و «لا» صلة كقوله تعالى (ما منعك أنْ لا تسجد) (الأعراف، ١٢)، أي: منعك أن تسجد. وقيل: تمّ الكلام عند قوله «حرم ربكم» ثم قال: عليكم أن لا تُشركوا به شيئاً على الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألاّ تشركوا به شيئاً. **﴿وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾**، فقر، **﴿نحن نرزقكم وإيّاهم﴾**، أي: لا تئدوا بناتكم خشية العَيلة، فإني رازقكم وإيّاهم، **﴿ولا تَقْرَبُوا الفوَاحِشَ ما ظهرَ منها وما بطَن﴾**، [ما ظهر يعني: العلانية، وما بطن][1] يعني: السّر.

وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السرّ فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسّر.

وقال الضحاك: ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا.

﴿ولا تقتلُوا النّفْسَ التي حرّم اللّهُ إلاّ بالحق﴾، حرّم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلاّ بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ دمُ امرىء مسلم يشهد أنْ لا إله إلا الله وأني رسول الله إلاّ بإحدَى ثلاث: الثيِّبُ الزاني، والنّفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة»[2].

﴿ذلِكُم﴾ الذي ذكرت **﴿وصّاكم به﴾**، أمركم به، **﴿لعلّكم تعقلُون﴾**.

﴿ولا تقرَبُوا مالَ اليتيم إلاّ بالتي هيَ أحْسنُ﴾، يعني: بما فيه صلاحه وتثميره. وقال مجاهد:

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: «أن النفس بالنفس..» ١٢/٢٠١، ومسلم في القسامة، باب بيان ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦): ٣/١٣٠٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠/١٤٧.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾

هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً، ﴿حتى يَبْلُغَ أشُدَّه﴾، قال الشعبي ومالك: الأَشُدُّ: الحُلم، حتى يكتب له الحسنات [وتكتب عليه](١) السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشدّ ما بين الثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأَشُدُّ ثلاث وثلاثون سنة.

والأَشُدُّ جمع شَدٍ، مثل قدٍّ وأقدٍّ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه، ومنه شدُّ النهار وهو ارتفاعه. وقيل بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ.

وتقدير الآية: ولا تقربُوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشدّه، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً.

﴿وأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيْزَانَ بالقِسْط﴾، بالعدل، ﴿لا نُكلّفُ نفساً إلاَّ وُسْعَها﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، أي: لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه، ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه، حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه.

﴿وإذا قلتُم فاعْدِلُوا﴾، فاصدقوا في الحكم والشهادة، ﴿ولو كانَ ذا قُرْبَى﴾، أي: ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة، ﴿وبعهد الله أَوْفُوا ذلِكُم وصّاكُمْ به لعلّكُم تذكّرون﴾، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون [خفيفة](٢) الذال، كل القرآن، والآخرون بتشديدها.

قال ابن عباس هذه: الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهنّ محرمات على بني آدم كلهم، وهنّ أم الكتاب من عمل بهنّ دخل الجنة، ومن تركهنّ دخل النار.

﴿وأنّ هذا﴾، أي: هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين، ﴿صراطي﴾، طريقي وديني،

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (بتخفيف).

﴿مستقيماً﴾، مستوياً قويماً، ﴿فاتّبِعُوه﴾، قرأ حمزة والكسائي «وإن» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون: بفتح الألف، قال الفرَّاء: والمعنى وأتْلُ عليكم أنّ هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون النون. ﴿ولا تتّبِعُوا السُّبل﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فتفرّق﴾، فتميل، ﴿بكم﴾، وتشتّت، ﴿عن سبيله﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذلكم﴾، الذي ذكرت، ﴿وصّاكم بهِ لعلّكم تتقُون﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي المعروف/ بأبي بكر بن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو ١٢٦/ب
الفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن عاصم بن بَهْدَلَة عن أبي وائل عن عبدالله قال: خطّ لنَا رسولُ الله ﷺ خطّاً ثم قال: «هذا سبيلُ اللّهِ، ثمّ خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سُبلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه» ثم قرأ: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبِعُوه» الآية[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ثمّ آتينا موسى الكتابَ﴾، فإن قيل: لِمَ قال: «ثم آتينا» وحرف «ثم» للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبرُكم أنّا آتينا موسى الكتاب، فدخل «ثم» لتأخير الخبر لا لتأخير النزول.

﴿تَمَاماً على الذي أحْسَنَ﴾، اختلفوا فيه، قيل: تماماً على المحسنين من قومه، فتكون «الذي» بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: «على الذين أحسنوا»، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: «الذي أحسن» هو موسى، و«الذي» بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره: آتيناه الكتاب، يعني التوراة، إتماماً عليه للنعمة، لإحسانه في الطاعة والعبادة، وتبليغ الرسالة وأداء الأمر.

وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه: تماماً على الذي أحسن موسى

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي: ٦٧/١، والطبري في التفسير برقم(١٤١٦٨)، وصححه الحاكم: ٣١٨/٢، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضا: الآجري في الشريعة، ص (١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٨٠ - ٨١، وابن أبي عاصم في السنة: ١٣/١، والامام أحمد في المسند: ١/ ٤٣٥.
قال الهيثمي في المجمع: ٢٢/٧: «رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف».
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٩٦/١ - ١٩٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٩١/٢.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝١٥٦ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ۝١٥٧﴾

من العلم والحكمة، أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل: معناه تماماً منّي على إحساني إلى موسى.

﴿وتفصيلاً﴾، بياناً ﴿لكلِّ شيء﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وهُدىً ورحمةً﴾، هذا في صفة التوراة، ﴿لعلّهم بلقاء ربِّهم يُؤمنُون﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

﴿وهـذا﴾، يعني: القرآن، ﴿كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعُوه﴾، واعملوا بما فيه، ﴿واتّقُوا﴾، وأطيعوا، ﴿لعلّكم تُرحمُون﴾.

﴿أن تقولُوا﴾، يعني: لئلا تقولوا، كقوله تعالى: «يبيّنُ الله لكم أن تَضِلُّوا»، (النساء، ١٧٦)، أي: لئلا تضلّوا وقيل: معناه أنزلناه كراهة ﴿أن تقُولوا﴾، قال الكسائي: معناه اتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿إنّما أُنزل الكتابُ على طائفتَيْنِ من قبلنَا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وإن كنّا﴾، وقد كنا، ﴿عن دراستهم﴾، قراءتهم، ﴿لغافلين﴾، لا نعلم ما هي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذراً لأنفسكم.

﴿أو تقولُوا لو أنّا أُنزل علينا الكتابُ لكُنّا أهدى منهم﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنّا أُنزل علينا ما أُنزل على اليهود والنصارى لكنا خيراً منهم، قال الله تعالى: ﴿فقدْ جاءكُمْ بينةٌ من ربِّكم﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وهدىً﴾، بيان ﴿ورحمةٌ﴾، ونعمة لمن اتبعه، ﴿فمن أظلم ممن كذّبَ بآياتِ اللّهِ وصدفَ﴾، أعرض، ﴿عنها سَنجْزِي الذينَ يَصْدفُونَ عن آياتِنا سُوءَ العَذاب﴾، شدّة العذاب، ﴿بما كانُوا يَصْدِفُون﴾، [يعرضون][1].

(١) ساقط من «ب».

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هلْ ينظُرون﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إلاّ أن تأتيَهُمُ الملائكةُ﴾، لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي «يأتيهم» بالياء ها هنا وفي النحل، والباقون بالتاء، ﴿أو يأتِيَ ربُّك﴾، بلا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أو يأتي بعضُ آياتِ ربّك﴾، يعني طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعا[1]. ﴿يوم يأتي بعضُ آياتِ ربِّك لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ منْ قبلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿أو كسبتْ في إيمانها خيراً﴾، يريد: لا يُقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق ﴿قلِ انْتَظِرُوا﴾، يا أهل مكة، ﴿إنا منتظِرون﴾، بكم العذاب.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبدالرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها فإذا طلعتْ ورَآها الناسُ آمنُوا أجمعين، وذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ منْ قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيراً»[2].

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدا الله بُسْطَان لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل، حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها»[3].

(١) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: «أو يأتي بعض آيات ربك» قال: «طلوع الشمس من مغربها». قال الترمذي: هذا حديث غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه، انظر: السنن، تفسير سورة الأنعام: ٤٤٨/٨ - ٤٤٩. ويؤيده ما أخرجه أيضا عن أبي هريرة وهو الحديث الآتي بعده.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنعام، باب قوله تعالى: «هلمّ شهداءكم»: ٢٩٧/٨ ومسلم في الايمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان، برقم (١٥٧): ١٣٧/١.

(٣) أخرجه مسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، برقم (٢٧٥٩): ٢١١٣/٤، بلفظ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب..». والمصنف في شرح السنة: ٨٢/٥.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تابَ قبلَ أنْ تطلعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللّهُ عليه»[1].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبدالله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زِرّ بنِ حُبيش قال: أتيتُ صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ: «أنّ الله عَزّ وجلّ جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعونَ عاماً للتوبة لا يُغلق مالمْ تطْلُع الشمسُ مِنْ قِبَلِهِ»، وذلك قول الله تعالى: «يوم يأتي بعض آياتِ ربِّك لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل»[2].

وروى أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خرجنَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبل أو كسبتْ في إيمانِها خيراً: الدجال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها»[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إن الذين فرّقوا دينَهم﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾، بالألف ها هنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دِينهم وتركوه وقرأ الآخرون: «فرّقوا» مشدداً، أي: جعلوا دينَ الله وهو واحد ـ دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية ـ أدياناً مختلفة، فتهوّد قوم وتنصّر قوم، يدل عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿وكانُوا شِيَعاً﴾، أي: صارُوا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي.

وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء. باب استحباب الاستغفار، برقم (٢٧٠٣): ٤/٢٠٧٦، والمصنف في شرح السنة: ٥/٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار: ٩/٥١٧ - ٥١٩ مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، برقم (٤٠٧٠) ٢/١٣٥٣، والطيالسي في المسند ص (١٦٠ - ١٦١)، والمصنف في شرح السنة: ٥/٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لايقبل الله فيه الإيمان، برقم (١٥٨): ١/١٣٨.

أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشةُ / إنّ الذين فارقُوا دينَهم وكانوا شِيَعاً هم أصحاب البدع ١/١٢٧
والشبهات من هذه الأمّة»[١].

حدثنا أبو الفضل زيادِ بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبدالرحمن بْن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو عبدالله محمد بن عقيل بن الأزهري بن عقيل الفقيه البلخي أنا الرَّمادي أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مَخْلَد أنا ثور بن يزيد نا خالد بن معدان عن عبدالرحمن بن عمرو السُّلَمِي عن العرباض بن سارية قال: «صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل: يا رسول الله كأنّها موعظةُ مودِّعٍ فأوْصِنَا: فقال: «أوصِيْكُم بتقوى الله والسمعِ والطّاعةِ وإنْ كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجِذِ وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل بدعة ضلالة»[٢].

وروي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بني إسرائيل تفرّقتْ على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقَت أمتي على ثلاثٍ وسبعين مِلّة، كلهم في النار إلّا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٣].

قال عبدالله بن مسعود: «فإن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محَمَّدٍ ﷺ،

---

(١) عزاه ابن كثير لابن مردويه، وقال: «وهو غريب. . ولايصح رفعه». ثم قال: «والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد، لا اختلاف فيه، ولا افتراق». تفسير ابن كثير: ١٩٧/٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة: ١١/٧، وسكت عنه المنذري، وأخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذفي السنة واجتناب البدع: ٤٣٧/٧ - ٤٤٢، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة في المقدمة، برقم (٤٢و٤٣): ١٥/١ - ١٦، والدارمي في المقدمة: ٤٤/١، وصححه ابن حبان ص (١٠٢) من موارد الظمآن، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٧٤/١ - ٧٥، والأجري في الشريعة ص (٤٦ - ٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة: ١٧/١ - ١٩. وأخرجه الحاكم: ٩٥/١ وقال: صحيح ليس له علة. والامام أحمد: ١٢٦/٤ - ١٢٧. والمصنف في شرح السنة: ٢٠٥/١.

(٣) روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة بألفاظ مختلفة، فقد أخرجه أوو داود في السنة: ٣/٧-٤، والترمذي في الإيمان، باب افتراق هذه الأمة: ٣٩٧/٧ وقال: حسن صحيح.
وابن ماجة في الفتن برقم (٣٩٩١): ١٣٢١/٢، والدارمي في السير: ٢٤١/٢، وابن حبان برقم (١٨٣٤) من الموارد، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي: ١٢٨/١-١٢٩، والامام أحمد في المسند: ٢٣٢/٢. .
وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة: ٧/١، واللالكائي: ١٠٠/١، والأجري في الشريعة ص(١٤-١٦) وانظر: الوصية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيقنا، ص (٤٥-٤٦) طبع مكتبة الصديق.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها»[1]. ورواه جابر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَسْتَ منهمْ في شيء﴾، قيل: لست من قتالهم في شيء، نسختها آية القتال[3]، وهذا على قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله: «لست منهم في شيء» أي أنتَ منهم بريء وهم منك براء، تقول العرب: إن فعلتَ كذا فلست مني ولستُ منكَ أي: كل واحد مِنَّا بَرِيءٌ من صاحبه، ﴿إنّما أمْرُهُمْ إلى اللّهِ﴾، يعني: في الجزاء والمكافآت، ﴿ثم يُنبِّئُهمْ بما كانُوا يفعلُون﴾، إذا وردُوا للقيامة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿من جاءَ بالحسنةِ فلَهُ عشرُ أمْثَالِها﴾، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب «عَشْرٌ» منون، «أمثالُها» بالرفع. ﴿ومَن جاءَ بالسيِّئة فلا يُجْزَى إلا مِثلَها وهم لا يُظلَمُون﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا محمد بن يوسف القطان ثنا محمد بن يوسف السلمي ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدُكم إسلامه فكلُّ حسنة يعملُها تُكتبُ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضعف، وكلُّ سيئةٍ يعملُها تُكتبُ له بمثلها

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بالسنن: ١٣/٢٥١. والمصنف في شرح السنة ١/٢١١. قال ابن حجر في الفتح: «ظاهر سياق الحديث أنه موقوف، لكن القدر الذي له حكم الرفع منه، قوله: «وأحسن الهدي هدي محمدصلى الله عليه وسلم» فإن فيه إخباراً عن صفة من صفاته صلى الله عليه وسلم، وهو أحد أقسام المرفوع، وقلَّ من نبَّه على ذلك. وهو كالمتفق عليه لتخريج المصنفين المقتصرين على الأحاديث المرفوعة - الأحاديث الواردة في شمائله صلى الله عليه وسلم، فإن أكثرها يتعلق بصفة خَلْقه وذاته، كوجهه وشعره، وكذا بصفة خُلُقه كحلمه وصفحه. وهذا مندرج في ذلك، مع أن الحديث جاء عن ابن مسعود مصرحاً فيه بالرفع من وجه آخر أخرجه أصحاب السنن، ولكنه ليس على شرط البخاري».

(٢) هذه الرواية أخرجها مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧): ٢/٥٩٢. والمصنف في شرح السنة: ١/٢١١. وانظر فتح الباري: ١٣/٢٥٣.

(٣) انظر فيما سبق التعليق على تفسير الآية (١٣) من سورة المائدة في هذا الجزء. ص (٣٢-٣٣).

حتى يلْقَى الله عزّ وجلّ»[1].

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني ثنا عبدالغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلَهُ عشرُ أمثالِها وأزيد، ومَنْ جاءَ بالسيئةِ فجزاءُ سيئةٍ بمثلها أو أغفر، ومنْ تقرّبَ منّي شِبْراً تقرّبتُ منه ذراعاً ومنْ تقرّب منّي ذِرَاعاً تقرّبتُ منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتهُ هرولةً ومن لقيني بِقُرَابِ الأرض خطيئةً لا يُشركُ بي شيئاً لقيتُه بمثلها مغفرة»[2].

قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قلْ إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً﴾، قرأ أهل الكوفة والشام «قيماً» بكسر القاف وفتح الياء خفيفةً، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قيماً، ﴿مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كانَ مِنَ المشركين﴾.

﴿قلْ إنّ صلاتي ونسكي﴾، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، ﴿ومحيايَ ومماتي﴾، أي: حياتي ووفاتي، ﴿لله ربِّ العالمين﴾، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله ربِّ العالمين. قرأ أهل المدينة: «ومحياي» بسكون الياء و«مماتي» بفتحها، وقراءة العامة «محياي» بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان.

قوله تعالى: ﴿لا شريكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّلُ المسلمين﴾، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حسن إسلام المرء: ١/١٠٠، وبنحوه في التوحيد، ومسلم في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم (١٢٩): ١/١١٨ - ١١٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء إلى الله تعالى، برقم (٢٦٨٧): ٤/٢٠٦٨، والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٥ - ٢٦.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿قُلْ أغيرَ اللهِ أبْغي ربّاً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيداً وإلهاً ﴿وهو ربُّ كلِّ شيء﴾، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجعْ إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحملْ عنكم أوزارَكم، فقال الله تعالى: ﴿ولا تَكْسِبُ كلُّ نفسٍ إلا عليها﴾، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني، ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾، أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، ﴿ثمّ إلى ربِّكم مرجعُكم فيُنبئكم بما كنتمْ فيه تختلفُون﴾.

﴿وهو الذي جعلكم خَلاَئِفَ الأرضِ﴾، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد مَنْ مضى فهو خليفة لأنه يخلفه. ﴿ورفعَ بعضَكم فوقَ بعضٍ درجات﴾، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، ﴿لِيَبْلُوكُمْ فيما آتاكُمْ﴾، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحرّ والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿إنّ ربَّك سريعُ العِقَاب﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿وإنّه لغفورٌ رحيم﴾، قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مكيّة كلها إلا خمس آيات، أولها «واسألهم عن القرية التي كانت».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾

١٢٨/أ ﴿آلمص﴾. ﴿كتابٌ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أُنزلَ إليكَ﴾، وهو القرآن، ﴿فلا يكنْ في صدرك حَرَجٌ منه﴾، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي ضيق، معناه لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أُرسلتَ به، ﴿لِتُنْذِرَ بهِ﴾، أي: كتاب أُنزل إليكَ لِتُنْذِرَ به، ﴿وذكرَى للمؤمنين﴾، أي: عظة لهم، وهو رفع، مردود على الكتاب.

﴿اتَّبِعُوا﴾، أي: وقلْ لهم اتَّبعوا: ﴿مَا أُنْزِلَ إليكمُ مِن رَّبِّكم ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء﴾، أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى، ﴿قليلاً ما تذكَّرُون﴾، تتعِظُونَ، وقرأ ابن عامر: ﴿يتذكرون﴾، بالياء والتاء.

﴿وكمْ مِّن قريةٍ أهلكنَاهَا﴾، بالعذاب، و﴿كم﴾ للتكثير و«رُبّ» للتقليل، ﴿فجاءها بأسُنَا﴾،

فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ
أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

عذابنا، ﴿بياتاً﴾، ليلاً ﴿أو هم قائلون﴾، من القيلولة، تقديره: فجاءها بأسُنا ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون، أي نائمون ظهيرة، والقيلولة الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى الآية: أنهم جاءهم بأسُنا وهم غير متوقعين له إمّا ليلاً أو نهاراً. قال الزجاج: و«أوْ» لتصريف العذاب، مرّة ليلاً ومرة نهاراً. وقيل: معناه مِنْ أهل القرى مَنْ أهلكناهم ليلاً، ومنهم من أهلكناهم نهارا.

فإن قيل: ما معنى أهلكناها فجاءها بأسُنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى قوله: «أهلكنا» أي: حَكَمْنَا بإهلاكها فجاءها بأسُنَا. وقيل: فجاءها بأسنا هو بيان قوله «أهلكناها» مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إليّ، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إليّ فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

﴿فما كانَ دَعْوَاهم﴾، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم، ﴿إذْ جاءَهم بأسُنا﴾، عذابنا، ﴿إلاّ أن قالوا إنّا كنّا ظالمين﴾، معناه لم يقدروا على ردّ العذاب، وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أُرسلَ إليهم﴾، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، يعني: لنسألهم عمّا عملوا فيما بلّغتهم الرسل، ﴿ولنسألَنَّ المرسَلِين﴾، عن الإبلاغ.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عليهمْ بعلمٍ﴾ أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم، كقوله تعالى (هذا كتابُنا ينطِقُ عليكم بالحقّ). (الجاثية، ٢٩)، ﴿وما كُنّا غائِبين﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿والوزنُ يومئذٍ الحقُّ﴾، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذٍ العدل. وقال الأكثرون: أرادَ به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾

واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: تُوزن صحائف الأعمال: وروينا: «أنّ رجلاً يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مدّ البصر، فيُخرج له بطاقةٌ فيها شهادة أنْ لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلاتُ وثَقُلَتِ البطاقةُ»(1).

وقيل: توزن الأشخاص، وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجلُ العظيمُ السّمينُ يوم القيامة لا يَزِنُ عند الله جناحَ بَعُوضة»(2).

وقيل: تُوزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتَى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمةُ في وزن الأعمال امتحانُ الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ موازينُهُ﴾، قال مجاهد: حسناته، ﴿فأولئكَ همُ المفلحُونَ﴾.

﴿ومَن خفتْ موازينُه فأولئكَ الذينَ خسرُوا أنفسَهُمْ بما كانُوا بآياتنا يَظْلِمُونَ﴾، يجحدون، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحُقَّ لميزانٍ يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفَّتْ موازينُ من خفتْ موازينُه يومَ القيامة باتّباعهم الباطلَ في

(1) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب فيمن يموت وهويشهد أن لا إله إلا الله: ٣٩٥/٧ - ٣٩٧، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم (٤٣٠٠): ١٤٣٧/٢، وصححه الحاكم: ٦/١، وابن حبان ص (٦٢٥) من الموارد، وأخرجه الامام أحمد: ٢١٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/١٥.

(2) أخرجه البخاري في التفسير، باب «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم»: ٤٢٦/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٥): ٢١٤٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤٣/١٥.

الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

فإن قيل: قد قال: «من ثقلت موازينه» ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؟ قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد كقوله: «يا أيها الرسل»، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم، ولكل عبد فيه ميزان معلّق به، وقيل جَمَعَه: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها.

قوله تعالى: ﴿ولقدْ مكنّاكُمْ في الأرضِ﴾، أي: مكنّاكم والمراد من التمكين التمليك والقدرة، ﴿وجعلنَا لكم فيها مَعَايِشَ﴾، أي: أسباباً تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشارب والمعايش جمع المعيشة، ﴿قليلاً ما تشكرُون﴾، فيما صنعتُ إليكم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقدْ خلقنَاكُم ثمَّ صوّرْنَاكُم﴾ قال ابن عباس: خلقناكم، أي: أصُولكم وآباءَكم ثم صوّرناكم في أرحام أمهاتكم. وقال قتادة والضحاك والسدي: أمّا «خلقناكم» فآدم، وأمّا «صوّرناكم» فذريته. وقال مجاهد في خلقناكم: آدم، ثم صوّرناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع، لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: خلقناكم في ظهر آدم ثم صوّرناكم يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صوّرناكم في أرحام النساء. وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صوّره وشقّ سمعَه وبصَره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوَّره و«ثم» بمعنى الواو.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله «ثمّ قلنا» وثم للترتيب وللتراخي؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم هذا الكلام، أما على قول من يصرفه إلى الذرية: فعنه أجوبة:

أحدها «ثم» بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون للترتيب والتعقيب.

وقيل: أراد «ثم» أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا.

وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صوّرناكم.

قوله تعالى ﴿فسجدُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إلاّ إبْليسَ لم يكن مِّنَ السّاجِدين﴾، لآدم.

﴿قال﴾، الله تعالى يا إبليس: ﴿ما منعك ألاّ تسجدَ إذ أمرتُك﴾، أي: وما منعك أن تسجد

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝١٣ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾

و«لا» زائدة كقوله تعالى: «وحرام على قريةٍ أهلكناها أنّهم لا يرجعون» / (الأنبياء، ٩٥). ﴿قال﴾، ١٢٨/ب
إبليس مجيباً ﴿أنا خير منه﴾ لأنك ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، والنار خير وأنور من الطين.

قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس.

قال ابن سيرين: ما عُبِدَتِ الشمسُ إلا بالقياس.

قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار من وجوه منها: أنّ من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعدَ السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والاصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإنَّ حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿قالَ فاهْبِطْ منها﴾، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروع فيها حتى يخرج منها.

قوله تعالى: ﴿فما يكونُ لكَ أنْ تتكبَّر﴾، بمخالفة الأمر، ﴿فيها﴾، أي: في الجنة، فلا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبرٌ مخالفٌ لأمر الله تعالى: ﴿فاخرجْ إنَّكَ من الصّاغرين﴾، من الأذلاء، والصغار: الذل والمهانة.

﴿قال﴾، إبليس عند ذلك، ﴿أنظرني﴾، أخِّرني وأمهلني فلا تمتني، ﴿إلى يوم يُبعثُون﴾، من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت.

﴿قال﴾، الله تعالى، ﴿إنّك مِنَ المُنْظَرين﴾، المؤخرين، وبيّن مدة النظر والمهلة في موضع آخر فقال: (إلى يوم الوقت المعلوم)، (الحجر، ٣٨)، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

﴿قالَ فَبِمَاأغْوَيتني﴾، اختلفوا في «ما» قيل: هو استفهام يعني فبأيّ شيء أغويتني؟ ثم ابتدأ فقال: ﴿لأقعدنّ لهم﴾ وقيل: «ما» الجزاء، أي: لأجل أنك أغويتني لأحقدَنَّ لهم. وقيل: هو «ما» المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إيّاي لأقعدنّ لهم، كقوله «بما غفر لي ربي» (يس، ٢٧)، يعني: لغفران ربي.

والمعنى بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك فيَّ. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء، أغويتني: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكتني. وقيل: خيّبتني، ﴿لأقعدنّ لهم صراطَكَ المستقيم﴾، أي: لأجلسنّ لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

﴿ثمّ لآتينّهم من بينِ أيديهم﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي مِنْ قِبـل الآخرة فأشكّكُهم فيها، ﴿ومِنْ خلفِهم﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وعنْ أيمانِهم﴾، أشبِّه عليهم أمر دينهم. ﴿وعَنْ شمائلِهم﴾، أشهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿من بين أيديهم﴾ من قِبَلِ دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿ومن خلفهم﴾، من قِبَلِ الآخرة فأقول: لَا بعث، ولا نشور، ولا جنَّةَ، ولا نارَ، ﴿وعن أيمانهم﴾ من قِبَلِ حسناتهم، ﴿وعن شَمائِلِهِمْ﴾ من قِبَلِ سيئاتهم.

وقال الحكم: من بين أيديهم: من قبل الدنيا يُزيّنها لهم، ومن خلفهم: من قبل الآخرة يثبطهم عنها، وعن أيمانهم: من قبل الحقّ يصدّهم عنه، وعن شمائلهم: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم: من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها، وعن أيمانهم: من قبل حسناتهم بطّأهم عنها، وعن شمائلهم: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون أي لا يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون.

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظناً فأصاب، قال الله تعالى «ولقدْ صدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه» (سبأ، ٢٠).

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾

﴿قال﴾، الله تعالى لإبليس، ﴿اخرجْ منها مَذْءُوماً مَّدْحُوراً﴾، أي: معيباً، والذيم والذَّأم أشد العيب، يقال: ذَأَمَهُ يَذْأَمُهُ ذَأْماً فهو مذؤومٌ وذامه يذيمه ذاماً فهو مذيم، مثل سار يسير سيراً. والمدحور: المبعد المطرود، يقال: دحره يدحره دحراً إذا أبعده وطرده. قال ابن عباس: مذؤوماً أي ممقوتاً. وقال قتادة: مذؤوماً مدحوراً أي: لعيناً منفياً. وقال الكلبي: مذؤوماً: ملوماً، مدحوراً: مقصياً من الجنة ومن كل خير. ﴿لمنْ تَبِعَكَ منهم﴾، من بني آدم، ﴿لأملأنَّ جهنَّمَ﴾، اللام لام القسمُ، ﴿منكم أجمعين﴾، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

﴿ويا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنّةَ فكُلَا منْ حيثُ شِئْتُما ولا تقربَا هذهِ الشجرةَ فتكونَا مِنَ الظّالمين﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لهمَا الشّيطانُ﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يُلقيه الشيطان في قلب الإنسان ﴿لِيُبْدِيَ لهما مَا وُورِيَ عنهما مِنْ سَوْآتِهما﴾، أي: أظهر لهما ما غُطي وسُتر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس بهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهما، كقوله تعالى: «فالتقطه آلُ فِرْعَونَ ليكونَ لهُمْ عدوّاً وحَزَناً» (القصص، ٨)، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿وقال﴾ يعني: إبليس لآدام وحواء ﴿مَا نهاكُمَا ربُّكما عن هذه الشجرة إلاّ أنْ تكونَا مَلَكَيْنِ﴾، يعني: لئلا تكونا، كراهية أن تكونا مَلَكَيْن من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿أو تكونَا مِنَ الخالدين﴾، من الباقين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر: «هل أدلّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْك لا يبلى» (طه، ١٢٠).

﴿وَقَاسَمَهُمَا إنّي لكما لَمِنَ النّاصحين﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتّبعاني أرشدكما، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فلما حلف ظنّ

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

آدم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، فاغترّ به.

﴿فدلاّهُما بِغُرور﴾، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول.

وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حال المعصية، ولا يكون التدلي إلاّ من علو إلى أسفل، والتدلية: إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلَّى بنفسه ودلّى غيره، قال الأزهري: أصله: تدلية العطشان ١٢٨/ب
البئر ليروى من الماء ولا يجد الماء / فيكون مُدَلّى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبْطانِ الغش.

﴿فلما ذَاقَا الشجرةَ بدتْ لهما سوآتهما﴾، قال الكلبي: فلما أكلا منها. ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا أخذتْهُما العقوبةُ، والعقوبةُ أنْ «بدتْ» ظهرتْ لهما «سوآتهما» عوراتُهما، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وُوْرِيَ عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك. قال وهب: كان لباسهما من النور. وقال قتادة: كان ظفراً ألبسهما الله من الظفر لباساً فلّما وقعا في الذنب بدت لهما سوآتهما فاستحيا، ﴿وطَفِقَا﴾، أقبلا وجعلا ﴿يَخْصِفَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿عليهما منْ وَرَقِ الجنّة﴾، وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب.

قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما. ورُوي عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ «كان آدم رجلاً طِوَالاً كأنه نخلة سَحُوق[1] كثير شعر الرأس، فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته، وكان لا يراها فانطلق هارباً في الجنة، فعرضتْ له شجرةٌ من شجر الجنة فحبسته بشعره، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربُّه: يا آدمُ أمِنِّي تفرّ؟ قال: لا يا رب، ولكن استحييتُك»[2].

﴿ونـاداهـمـا ربُّهمـا ألمْ أنهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشجرة﴾، يعني: الأكل منها، ﴿وأقلْ لكُمَا إنّ

(١) هي النخلة الطويلة المفرطة في الطول التي تبعد ثمرها عن المجتني.
(٢) أخرجه ابن جرير مرفوعاً وموقوفاً: ١٢/ ٣٥٢ و٣٥٤، قال ابن كثير: ٢/ ٢٠٧ «وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً».
وصحة السند إلى أبي رضي الله عنه، لا تعني صحة الخبر في ذاته، فهذه التفصيلات الغيبية، لا دليل ثابت على صحتها، وغالباً ما تكون متلقاة من أهل الكتاب، والله أعلم.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ٢٥ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾

الشيطانَ لكُما عدوٌ مُّبين﴾، أي: بيّن العداوة، قال محمد بن قيس: ناداه ربُّه يا آدمُ أكلت منها وقد نهيتُك؟ قال: ربِّ أطعَمَتْنِي حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمَرتني الحية، قال للحيّةِ: لِمَ أمرتيها؟ قالتْ: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: أمّا أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة فتدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك، وأمّا أنتَ يا إبليس فملعون مدحور[1].

﴿قال اهبطُوا بعضُكم لبعضٍ عَدُوٌ ولكم في الأرضِ مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين﴾.

﴿قال فيها تَحْيَوْنَ﴾، يعني في الأرض تعيشون، **﴿وفيها تَموتُونَ ومنها تخرُجُون﴾**، أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: **﴿تخرجون﴾**، بفتح التاء هاهنا وفي الزخرف، وافق يعقوب هاهنا وزاد حمزة والكسائي: «وكذلك تخرجون» في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

﴿يـا بني آدمَ قدْ أنزلنا عليكمْ﴾، أي: خلقْنا لكم **﴿لباساً﴾**، وقيل: إنّما قال: «أنزلْنا» لأنّ اللباس إنما يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: **﴿أنزلنا﴾**، أي: أنـزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء كما قال تعالى: «وأنزلنا الحديد» (سورة الحديد، ٢٥)، وإنما يستخرج الحديد من الأرض.

وسبب نزول هذه الآية: أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، ويقولون: لا نطوف في

---

(١) تقدمت الاشارة إلى ضعف الروايات في ذلك، وأنها مستقاة من الاسرائيليات، وخبر محمد بن قيس هذا: أخرجه الطبري في التفسير: ١/٥٣٠ـ٥٣١، ١٢/٣٥٤، وفي التاريخ: ١/١٠٩.

ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة.

وقال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فأمر الله سبحانه بالستر فقال: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يُوارِي سوآتِكم﴾[1]، يستر عوراتكم، واحدتها سوأة، سميت بها لأنه يسوء صاحبَها انكشافُها، فلا تطوفوا عراةً، ﴿وريشاً﴾، يعني: مالاً في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يُقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما يتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس.

﴿ولباسُ التقوى ذلك خير﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ﴿ولباس﴾ بنصب السين عطفاً على قوله ﴿لباساً﴾ وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خير﴾، وجعلوا ﴿ذلك﴾ صلة في الكلام، ولذلك قرأ ابن مسعود وأُبيّ بن كعب ﴿ولباسُ التقوى خير﴾.

واختلفوا في ﴿لباس التقوى﴾ قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى.

وقال عطية عن ابن عباس: هو العمل الصالح. وعن عثمان بن عفان، أنه قال: السَّمْتُ الحسن.

وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله، وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خُلق له من اللباس للتجمل.

وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف.

وقال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين.

وقيل: لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع. ﴿ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكّرون﴾.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٩ - ٢٦٠)، ابن كثير: ٢/٢٠٩، ٢١١.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾

﴿يا بني آدمَ لا يفتِنَنّكُم الشيطانُ﴾، لا يضلنّكم الشيطان، ﴿كما أخرج أبويكُمْ﴾، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿مِنَ الجنّةِ ينْزِعُ عنهما لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سوءاتِهما﴾، ليرى كل واحد سوأة الآخر. ﴿إنّه يراكم﴾، يعني أنّ الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿هو وقبيله﴾، جنوده. قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة: الجن والشياطين، ﴿من حيثُ لا ترونَهم﴾، قال مالك بن دينار: إنّ عدواً يراكَ ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلاّ من عصم الله، ﴿إنّا جعلنا الشياطينَ أولياء﴾، قرناء وأعواناً، ﴿للذينَ لا يُؤمِنُون﴾ وقال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: ﴿إنا أرسلنا الشياطينَ على الكافرينَ تؤزّهم أزّاً﴾.

﴿وإذا فعلُوا فاحشةً﴾، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة. وقال عطاء: الشرك والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿قالوا وَجَدْنا عليها آباءنَا﴾، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فَنُهُوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا. قيل: ومن أين أخذ آباؤكم؟ قالوا، ﴿واللّهُ أمرنَا بها قلْ إنّ الله لا يأمرُ بالفحشاءِ أتقولون على الله مالا تعلمون﴾.

﴿قلْ أمرَ ربي بالقسط﴾، قال ابن عباس: بِلاَ إلهَ إلاّ الله. وقال الضحاك: بالتوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿وأقيمُوا وجوهَكم عند كلِّ مسجد﴾ قال مجاهد والسدي: يعني وجِّهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولنّ أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً. ﴿وادْعُوه﴾، واعبدوه، ﴿مخلصين له الدين﴾، الطاعة والعبادة، ﴿كما بدأكم تعودُون﴾، قال ابن عباس: إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً/ كما قال: «هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم ١/١٢٩
مؤمن» (التغابن، ٢)، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً. قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ
وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبدالله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره»[1].

وقال أبو العالية: عادوا على عمله فيهم. قال سعيد بن جبير: كما كتب عليكم تكونون.

قال محمد بن كعب: من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل بعمل أهل السعادة، كما أن إبليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بعمل أهل الشقاء، وكما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل فيما يرى الناسُ بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم»[2].

وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال الله تعالى: «كما بدأنا أول خلق نعيده» (الأنبياء، ١٠٤)، قال قتادة: بدأهم من

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨): ٤/٢٢٠٦، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٤٠٢. - دون قوله «المؤمن على إيمانه».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه، برقم (١١٢): ١/١٠٦، وفيه قصة، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١/١٥٠.

التراب وإلى التراب يعودون، نظيره قوله تعالى: «منها خلقَناكُمْ وفيها نُعيدُكم» (طه، ٥٥).

قوله عزّ وجلّ: ﴿فريقاً هدَى﴾، أي هداهم الله، ﴿وفريقاً حقَّ﴾، وجب ﴿عليهم الضّلالة﴾، أي: بالإرادة السابقة، ﴿إنّهم اتخذوا الشياطين أولياء من دُونِ اللّهِ ويَحْسَبُونَ أنّهم مُهْتَدُون﴾، فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

قوله تعالى: ﴿يا بني آدمَ خُذُوا زِينَتَكم عندَ كلِّ مسجدٍ﴾، قال أهلِ التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله عزّ وجلّ: «يا بني آدم خذُوا زينتَكم عندَ كلِّ مسجد»، يعني الثياب. قال مجاهد: ما يُواري عورتك ولو عباءة.

قال الكلبي: الزينة ما يُواري العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة.

﴿وكلُوا واشربُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجِّهم من الطعام إلّا قوتاً ولا يأكلون دسماً، يعظمون بذلك حجَّهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عزّ وجلّ: «وكلوا» يعني اللحم والدسم «واشربوا» اللبن[1] ﴿ولا تسرفوا﴾، بتحريم ما أحلّ الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إنّه لا يُحبُّ المسرفين﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كُلْ ما شئتَ والبسْ ما شئتَ ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة. قال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطِبَّ كله في نصف آية فقال: «كُلوا واشربوا ولا تسرفوا».

قوله عزّ وجلّ: ﴿قلْ مَنْ حرّمَ زينةَ اللّهِ التي أخرجَ لعبادِه﴾، يعني لبس الثياب في الطواف، ﴿والطيبات مِنَ الرزقِ﴾، يعني اللحم والدسم في أيام الحج.

وعن ابن عباس وقتادة: والطيبات من الرزق ما حرّم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب.

﴿قلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يومَ القيامة﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظّ للمشركين فيها.

وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم.

قرأ نافع ﴿خالصة﴾ رفع، أي: قلْ هي للذين آمنوا مشتركين في الدنيا، وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة للمؤمنين. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كذلك نُفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص (٢٦٠).

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥﴾

﴿قلْ إنّما حرّم ربّيَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿ما ظهر﴾ طواف الرجال بالنهار ﴿وما بطن﴾ طواف النساء بالليل. وقيل: هو الزنا سراً وعلانيةً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبدالله قال قلت: أنت سمعت هذا من عبدالله؟ قال: نعم، فرفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحدَ أغْيَرُ من الله، فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه المَدْحُ من الله فلذلك مَدَحَ نفسَه»(١).

قوله عزّ وجلّ: ﴿والإِثْمَ﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حدَّ فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر. قال الشاعر:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حتى ضَلَّ عَقْلِي		كذاك الإِثْمُ تَذْهَبُ بالعُقُولِ

﴿والبغيَ﴾، الظلم والكِبْر، ﴿بغيرِ الحقِّ وأنْ تُشْرِكُوا بالله ما لَمْ يُنزِّلْ به سُلطاناً﴾، حجةً وبرهاناً، ﴿وأن تقولوا على الله مَا لا تعلمُون﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره. هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿ولكلِّ أمّةٍ أجل﴾، مدّة، وأكل وشرب. وقال ابن عباس وعطاء والحسن: يعني وقتاً لنزول العذاب بهم، ﴿فإذا جاء أجلهم﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدِمُون﴾، أي: ولا يتقدمون. وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يا بني آدمَ إمّا يأتينّكم رسلٌ منكم﴾، أي: أن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الأنعام، باب «ولاتقربوا الفواحش»: ٨/٢٩٦، وفي التوحيد، وفي النكاح. ، ومسلم في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، برقم (٢٧٦٠): ٤/٢١١٣ - ٢١١٤.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

وقال مقاتل: أراد بقوله: ﴿**يا بني آدم**﴾ مشركي العرب وبالرسل محمداً ﷺ وحده، ﴿**يقصُّون عليكم آياتي**﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿**فمنِ اتّقَى وأصلح**﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿**فلا خوفٌ عليهم**﴾، إذا خاف النّاس، ﴿**ولا هم يحزنُون**﴾، أي: إذا حزنوا.

﴿**والذين كذّبوا بآياتنا واستكبرُوا عنها**﴾، تكبروا على الإيمان بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذِّب وكافر متكبر. قال الله تعالى «إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون» (الصافات، ٣٥)، ﴿**أولئكَ أصحابُ النّارِ هُمْ فيها خالدُون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**فمنْ أظلم ممّنِ افترَى على الله كذباً**﴾ جعل له شريكاً، ﴿**أو كذّب بآياتِهِ**﴾، بالقرآن، ﴿**أولئكَ ينالُهمْ نصيبُهم مِّنَ الكتاب**﴾، أي: حظهم ممّا كتب لهم في اللوح المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كُتب لمن يفتري على الله أنّ وجهه مسودٌ، قال الله تعالى: «ويومَ القيامة ترَى الذين كذَبُوا على الله وجوهُهُمْ مسودّة» (الزمر، ٦٠).

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة.

١٢٩/ب وقال ابن عباس وقتادة / والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشرّ يجزي عليها.

وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿**جاءتْهم رسلُنا يَتوفَّوْنَهُم**﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، ﴿**قالوا**﴾، يعني يقول الرسل للكافر، ﴿**أين ما كنتم تدعون**﴾، تعبدون، ﴿**منْ دونِ الله**﴾، سؤال تبكيت وتقريع، ﴿**قالوا ضَلُّوا عنّا**﴾، بطلوا وذهبوا عنّا، ﴿**وشَهدُوا على أنفسهم**﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿**أنّهم كانوا كافرين**﴾.

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾

﴿قالَ ادْخلوا في أمم﴾، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قدْ خلَتْ﴾، مضت، ﴿من قبلكم مِّنَ الجنّ والإنس في النار﴾، يعني كفار الأمم الخالية، ﴿كلما دخلتْ أمّـةٌ لعنتْ أختهـا﴾، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهودَ والنصارى النصـارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة، ﴿حتى إذا ادَّاركوا فيها﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جميعاً قالتْ أُخْراهم﴾، قال مقاتل: يعني أخراهم دخولاً النار وهم الأتباع، ﴿لأوْلاهم﴾، أي: لأُولاهم دخولاً وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أوّلاً. وقال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاها. وقال السدي: أهل آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿ربَّنا هؤلاء﴾، الذين، ﴿أضلُّونا﴾، عن الهدى يعني القادة ﴿فـآتِهمْ عذابـاً ضِعْفـاً مِّنَ النّـار﴾، أي: ضَعِّفْ عليهم العـذاب، ﴿قال﴾، الله تعالى، ﴿لكلٍ ضِعْفٌ﴾، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿ولكنْ لا تعلمون﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

قرأ الجمهور: «ولكن لا تعلمون»، وقرأ أبو بكر «لا يعلمون» بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

﴿وقالتْ أُولاَهُمْ﴾، يعني القادة ﴿لأُخْراهم﴾، للأتباع، ﴿فما كان لكم علينَا من فضل﴾، لأنكمْ كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿فَذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكسبون﴾.

﴿إنّ الذينَ كذَّبُوا بآياتنا واستكبَرُوا عنها لا تُفتّح لهم﴾، بالتاء، خفف أبو عمرو، وبالياء،

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن
تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشدَّدة، ﴿أبوابُ السّماءِ﴾، لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يُصعد بها بل يُهوى بها إلى سجين، إنما تفتّح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿ولا يدخلون الجنّة حتى يَلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط﴾، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيط الإبرة، والمراد منه: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن الشيء إذا عُلّق بما يستحيل كونه يدلُّ ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض القار. يريد لا أفعله أبداً. ﴿وكذلكَ نَجْزي المجرمين﴾.

﴿لهمْ مِّن جهنَّم مِهَادٌ﴾، أي: فراش، ﴿ومِن فوقهم غَوَاشٍ﴾، أي: لُحف. وهي جمع غاشية، يعني ما غشّاهم وغطّاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل جانب، كما قال الله، «لهمْ مِّن فوقهمْ ظُلَلٌ مِنَ النّارِ ومن تحتهم ظلل» (الزمر، ١٦)، ﴿وكذلكَ نَجْزي المجرمين﴾.

﴿والذينَ آمنُوا وعملوا الصالحات لا نُكلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها وما لا تحرج فيه ولا تضيق عليه، ﴿أولئكَ أصحابُ الجنّةِ همْ فيها خالدُون﴾.

﴿ونزعنا﴾ وأخرجنا، ﴿ما في صدورِهمْ مِّن غِلٍ﴾، من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخواناً على سُرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خصّ الله به بعضهم. ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾، روى الحسن عن علي رضي الله عنه قال: فينا والله أهل بدر نزلتْ: «ونزعنا ما في صدورهم من غَلّ إخواناً على سرر متقابلين»[1].

وقال علي رضي الله عنه أيضاً: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص.(٦٤): «رواه ابن سعد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه، والطبري من رواية معمر عن قتادة عن علي، وكلاهما منقطع. وفي ابن أبي شيبة من رواية ربحي عن علي، وهومتصل».

لهم الله عزّ وجلّ: «ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍ».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَلَّصُ المؤمنون من النار، فَيُحْبَسُونَ على قنطرةٍ بين الجنَّةِ والنار، فَيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانتْ بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذن لهم في دخول الجنة، فَوَالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَأَحَدُهُمْ أهدى بمنزلِهِ في الجنة منه بمنزلِهِ كان في الدنيا»[1].

وقال السدي في هذه الآية: ؛ إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة، في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غِلّ، فهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يسحنوا بعدها أبداً، أي إلى هذا، يعني طريق الجنة.

وقال سفيان الثوري: معناه هدانا لعملٍ هذا ثوابه، ﴿وما كُنّا﴾، قرأ ابن عامر: «ما كنا» بلا واو، ﴿لِنَهْتَدِي لولا أنْ هدانا الله لقد جاءتْ رُسلُ ربِّنا بالحقّ﴾، هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً، ﴿ونُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجنّةُ أورِثْتُمُوهَا بما كُنْتُمْ تعملون﴾، قيل: هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نُودُوا أنْ تلكم الجنة.

وقيل: هذا النداء يكون في الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبدالله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال حدثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا: ينادي منادٍ: إنّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقمُوا أبداً، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإنّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرمُوا أبداً، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تَبْأسُوا أبداً، فذلك قوله: «ونُودُوا أن تلكمُ الجنّةُ، أورِثْتُموهَا بما كنتُم تعملون»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن إسحاق بن إبراهيم وعبدالرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الاسناد مرفوعا[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة: ١١/٣٩٥، وفي المظالم، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنة، برقم (٢٨٣٧): ٤/٢١٨٢.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

ورُوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن أحدٍ إلاّ وله منزلةٌ في الجنة ومنزلة في النار، فأمّا الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر ومنزله من الجنة»[1].

قوله تعالى: ﴿ونادى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النارِ أنْ قد وَجَدْنَا ما وعدنا ربُّنا﴾، من الثواب، ﴿حقاً﴾، أي صدقاً، ﴿فهلْ وجدتُّم ما وَعَدَ ربُّكم﴾، من العذاب، ﴿حقاً قالوا نعم﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لغتان، ﴿فأذَّنَ مؤذنٌ بينهم﴾، أي: نادى منادٍ أسمع الفريقين، ﴿أنْ لعنَةُ الله على الظالمين﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: «أنْ» خفيف، «لعنةُ»، رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، «لعنةَ الله» نصب على الظالمين، أي: الكافرين. / ﴿الذين يصدّون﴾، أي: يصرفون الناس، ﴿عن سبيل الله﴾، طاعة الله، ﴿ويبغُونَها عِوَجاً﴾، أي: يطلبونها زيغاً وميلاً، أي: يبطلون سبيل الله جائرين عن القصد. 1/130

قال ابن عباس: يصلّون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. والعِوَج ـ بكسر العين ـ في الدِّين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً، وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وهمْ بالآخرةِ كافرُون﴾.

﴿وبينهما حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله تعالى في قوله: «فضُرب بينهم بسُورٍ له باب» (الحديد، ١٣).

قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عُرف، وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده. وقال السدي: سُمي ذلك السور أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس.

واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف: فقال حذيفة وابن عباس: هم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير: ١٣٥/٢.

قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جبير، يُحدّث عن ابن مسعود قال: يُحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناتُه أكثرَ من سيئاته بواحدة دخل الجنّةَ، ومن كانت سيئاتُه أكثرَ من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: (فمن ثَقُلَتْ موازينُه فأولئك هُمُ المفلحُون ومن خفتْ موازينُه فأولئك الذين خسرُوا أنفسَهم) (الأعراف ٨ ـ ٩). ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح[1]. قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادَوا سلامٌ عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا ربَّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فأمّا أصحاب الحسنات فإنهم يُعطون نوراً يمشُون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كل عبدٍ [يومئذ][2] نوراً فإذا أتوا على الصراط سَلَبَ اللَّهُ نورَ كلِّ منافق ومنافقة، [فلمّا][3] رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربَّنا أتْمِمْ لَنا نورَنا.

فأمّا أصحاب الأعراف فإن النور لم ينزع من بين أيديهم، ومنعتهم [سيئاتهم][4] أن يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع إذْ لم يُنزع النورُ من بين أيديهم، فهنالك يقول الله: «لَمْ يدخلُوها وهمْ يَطْمَعُون»، وكان الطمع النّور الذي [بين أيديهم][5]، ثم أُدخلوا الجنّة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً.

وقال شرحبيل بن سعد: أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم. ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعاً: هم رجالٌ غزوا في سبيل الله [عصاة لآبائهم فقُتِلُوا، فأُعْتِقُوا من النار بقتلهم في سبيل الله][6]، وحُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة.

ورُوي عن مجاهد: أنهم أقوام رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر، يُحبسون على

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٨/١٩٠ ـ ١٩١ (طبع الحلبي)، وانظر: الدر المنثور: ٣/٤٦١.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) في «ب»: (فإذا).
(٤) في «أ» (السيئات).
(٥) في «أ»: (في قلوبهم).
(٦) ساقط من «ب».

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[الأعراف][1] إلى أن يقضي الله بين الخلق، ثم يدخلون الجنة.

وقال عبدالعزيز بن يحيى الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم.

وقيل: هم أطفال المشركين. وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطّلعُون على أهل الجنة وأهل النار جميعاً، ويطالعون أحوال الفريقين.

قوله تعالى: ﴿يعرفُون كُلًّا بسيماهم﴾، أي: يعرفون أهل الجنّة ببياض وجوههم وأهل النّار بسواد وجوههم. ﴿ونادَوْا أصحابَ الجنّةِ أنْ سلامٌ عليكم﴾، أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لم يدخلوها﴾، يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، ﴿وهم يَطْمَعُون﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة [يريد][2] بهم، قال الحسن: الذي جعل الطمعَ في قلوبهم يُوصلهم إلى ما يطمعون.

﴿وإذا صُرِفَتْ أبصارُهم تلقاءَ أصحابِ النار﴾، تعوّذُوا بالله، ﴿قالوا ربَّنا لا تجعلنا مع القوم الظّالمين﴾، يعني: الكافرين في النار.

﴿ونادى أصحابُ الأعرافِ رجالًا﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يعرفُونَهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعُكم﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وما كُنْتُمْ تستكبرُون﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا فلان، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم، فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾، حلفتم، ﴿لا ينالُهُمُ اللَّهُ برحمةٍ﴾، أي: حلفتم أنهم لا يدخلون الجنة. ثم يقال لأهل الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الجنّةَ لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنُون﴾، وفيه قول آخر: أن

(١) في «ب»: (الصراط).
(٢) في «ب»: (يريدها).

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا، قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها. فيعيِّرونَهم بذلك، ويُقسمون أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكةُ الذين حَبَسُوا أصحابَ الأعراف على الصراط لأهل النار: أهؤلاء، يعني: أصحاب الأعراف، الذين أقسمتم يا أهل النار أنهم لا ينالهم الله برحمة، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: «ادخلُوا الجنةَ لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون» فيدخلون الجنة.

قوله تعالى: **﴿ونادَى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنّةِ أنْ أفِيضُوا﴾**، أي: صُبّوا، **﴿علينا من الماء أو ممّا رزقَكُمُ الله﴾**، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة.

قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج، وقالوا: يا رب إنّ لنا قَرابات من أهل الجنة، فأذنْ لنا حتى نراهم ونكلِّمهم، فينظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادي أصحابُ النار أصحابَ الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم: أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله، **﴿قالوا إنّ اللّهَ حرّمهما على الكافرين﴾**، يعني: الماء والطعام، **﴿الذين اتّخذُوا دينَهم لهواً ولعباً﴾**، وهو ما زيّن لهم الشيطان من تحريم البَحيرة وأخواتها، والمُكاء والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة، التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، **﴿وغرّتْهُمُ الحياةُ الدنيا فاليوم نَنْسَاهُم﴾**، نتركهم في النار، **﴿كما نَسُوا لقاءَ يومهم هذا﴾**، أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، **﴿وما كانُوا بآياتِنا يجحدُون﴾**.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ولقدْ جئْناهم بكتابٍ﴾، يعني القرآن ﴿فصّلناه﴾، بيناه ﴿على علمٍ﴾، منّا لما يصلحهم، ﴿هدىً ورحمةً﴾، أي: جعلنا القرآن هادياً وذا رحمة، ﴿لقومٍ يؤمنون﴾ / ﴿هل ينظرون﴾ أي: هل ينتظرون، ١٣٠/ب ﴿إلّا تأويلَه﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم، في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يقولُ الذينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قدْ جاءتْ رسلُ ربِّنا بالحقّ﴾، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿فهلْ لنا﴾، اليوم، ﴿من شُفعاءَ فيشفعُوا لَنا أو نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا، ﴿فنَعْمَلَ غيرَ الذي كنّا نعملُ قدْ خسِرُوا أنفسَهم﴾، أهلكوها بالعذاب، ﴿وضلَّ﴾، [وبطل][(1)]، ﴿عنهمْ ما كانوا يفْتَرُون﴾.

قوله تعالى: ﴿إنّ ربَّكُمُ اللَّهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أيّام﴾، أراد به في مِقْدَارِ سِتَّةِ أيام لأن اليوم من لَدن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء. قيل: ستة أيام كأيام الآخرة وكل يوم كألف سنة. وقيل: كأيام الدنيا. قال سعيد بن جبير: كان الله عزّ وجلّ قادراً على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام [تعليماً][(2)] لخلقه التثبت والتأني في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»[(3)].

﴿ثم استوى على العرش﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عزّ وجلّ. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: (الرحمن على العرش استوى) [طه ـ ٥]، كيف استوى؟ فأطرق رأسه مَلِيًّا، وعلاه

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: (تعظيماً).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد بن منيع والحارث بن أبي أسامة، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن عن أنس بن مالك: ١٠/١٠٤، وعزاه الهيثمي أيضاً لأبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح. انظر: المطالب العالية لابن حجر: ٣/٣٥، كشف الخفاء للعجلوني: ١/٣٥٠، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٣/١٧٦.
وله شاهد عند الترمذي في البر، باب ما جاء في التأني والعجلة: ٦/١٥٣، عن سهل بن سعد بلفظ: «الأناة من الله. . .» وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبدالمهيمن بن عباس، وضعفه من قبل حفظه.

الـرُّحَضَاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلاّ ضالاً، ثم أمر به فأُخرج.

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمِرّوها كما جاءت بلا كيف.

والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظلّ، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرشُ المُلْكُ.

﴿يُغْشِي اللَّيلَ النّهار﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: «يُغشّي» بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: «يُكوِّرُ اللَّيلَ على النّهار ويُكوِّرُ النّهارَ على الليل» [الزمر ـ ٥]، ﴿يطلبُه حثيثاً﴾، أي: سريعاً، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه، فكأنه يطلبه. ﴿والشّمسَ والقمرَ والنجومَ مسخّراتٍ﴾، قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب، وكذلك في سورة النحل عطفاً على قوله: «خلقَ السمواتِ والأرضَ»، أي: خلق هذه الأشياء مسخراتٍ، أي: مُذلّلاتٍ ﴿بأمره ألَا له الخلقُ والأمر﴾، له الخلق لأنه [خلقهم](١)، وله الأمر، يأمر في خلقه بما يشاء. قال سفيان بن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر.

﴿تبارك الله﴾، أي: تعالى الله وتعظّم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركةُ تُكتسبُ وتُنال بذكره.

وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قِبَلِه وقيل: تبارك: تقدَّس. والقُدُس: الطهارة. وقيل: تبارك الله أي: باسمه يُتبرّك في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه [الصفة](٢) ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال. وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبُّ العالمين﴾.

(١) في «ب»: (أمرهم).
(٢) في «ب»: (الآية).

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾

﴿ادْعُوا ربَّكم تضرُّعاً﴾، تذللاً واستكانةً، ﴿وخُفْيَةً﴾ أي سرّاً. قال الحسن: بينَ دعوةِ السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإن كان، إلّا همساً بينهم وبين ربِّهم، وذلك أن الله سبحانه يقول: «ادْعوا ربَّكم تضرّعاً وخُفْيَةً»، وإن الله ذكَرَ عبداً صالحاً ورضيَ فعله فقال: «إذْ نادَى ربه نداءً خَفِيّاً». [مريم - ٣]. ﴿إنّه لا يُحبُّ المعتدين﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا محمد بن عبدالعزيز القاشاني، أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، ثنا أبو داود السجستاني، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد يعني ابن سلمة، أنبأنا سعيد الجريري، عن أبي نعامة أن عبدالله بن مغفَّل سمع ابنه يقول: اللهم إنّي أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بني سلِ اللَّهَ الجنة وتعوَّذْ من النار، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطّهور والدّعاء»[1].

وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر [والصياح][2]، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح.

وروينا عن أبي موسى قال لمّا غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناسُ على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «ارْبَعُوا على أنفسكم، إنّكم لا تدعُون أصمَّ ولا غائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً»[3]. وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحلّ، فيقولون: اللهم أخزهم اللهم العنهم.

---

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب الإسراف في الماء: ١/٨٧، وابن ماجه في الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء، برقم (٣٨٦٤) بلفظ: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء..»: ٢/١٢٧١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ١/٥٠٤، وابن حبان، برقم (١٧١) ص (٧٠ - ٧١) من موارد الظمآن، والإمام أحمد في المسند: ١/١٧٢، ١٨٣ عن سعد بن أبي وقاص، و ٤/٨٦، ٨٧، ٥/٥٥ من حديث عبدالله بن مغفَّل. وساقه ابن كثير في التفسير: ٢/٢٢٢ - ٢٢٣ وقال: «وهو إسناد حسن لا بأس به».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب غزوة خيبر: ٧/٤٧٠، وفي الدعوات وفي التوحيد وفي الجهاد، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤): ٤/٢٠٧٦، والمصنف في شرح السنة: ٥/٦٦.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ولا تُفسدُوا في الأرض بعد إصْلاَحِها﴾ ، أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إيّاها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله ، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي .

وقال عطية : لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويُهلك الحرث بمعاصيكم . فعلى هذا معنى قوله : «بعد إصلاحها» أي : بعد إصلاح الله إيّاها بالمطر والخصب.

﴿وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً﴾ ، أي : خوفاً منه ومن عذابه ، وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه . وقال ابن جريج : خوف العدل وطمع الفضل . ﴿إنّ رحمةَ اللّهِ قريبٌ مِّنَ المحسنين﴾ ، ولم يقل قريبة ، قال سعيد بن جبير: الرحمة هاهنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله : (وإذا حضرَ القسمةَ أولُوا القربَى واليتامَى والمساكين فارْزُقُوهم منه) [النساء ـ ٨] ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال.

وقـال الخليل بن أحمد : القريب والبعيد يستوي فيهما في اللغة : المذكر والمؤنث والواحد والجمع . قال أبو عمرو بن العلاء : القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب : هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة ، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة .

قوله تعالى : ﴿وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشراً﴾ ، قرأ عاصم «بُشْراً» بالباء وضمها وسكون الشين / هاهنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني : أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى : (الرياح مبشرات) ١/١٣١
[الـروم ـ ٤٦]، [وقـرأ حمـزة والكسائي «نَشْراً» بالنون وفتحها، وهي الريح الطيبة اللينة، قال الله تعـالى]:[1] (والنـاشرات نشراً) [المرسلات ـ ٣]، وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي : متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية ﴿بين يدي رحمتِه﴾ ، أي : قدام المطر.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنبأنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنبأنا أبو العباس الأصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال: أخذتِ الناسَ ريحٌ بطريق مكة وعمر حاج فاشتدّتْ، فقال عمر رضي الله عنه لمن حوله: ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا إليه شيئاً، فبلغني الذي سأل [عمر عنه من أمر الريح](1) فاستحثثت راحلتي حتى أدركتُ عمرَ رضي الله عنه، وكنتُ في مؤخر الناس، فقلت: يا أمير المؤمنين أُخبرت أنك سألتَ عن الريح وإنّي سمعَت رسول الله ﷺ يقول: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها، وسلوا الله من خيرها، وتعوّذوا به من شرها»(2)، ورواه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري بإسناده(3).

﴿حتى إذا أقلّتْ﴾، حملت الرياح، ﴿سحاباً ثِقَالاً﴾، بالمطر، ﴿سقناه﴾، وردّ الكناية إلى السحاب، ﴿لبلدٍ ميّتٍ﴾، أي: إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميّتٍ لا نباتَ فيه ﴿فأنزلْنا بهِ﴾، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت ﴿الماء﴾، يعني: المطر، ﴿فأخرجْنَا بهِ من كلِّ الثّمراتِ كذلكَ نُخرِجُ الموتَى﴾، استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى، ﴿لعلّكم تذكّرُون﴾، قال أبو هريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطراً كمنّي الرجال من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يُلقي عليهم النوم فينامون في قبورهم، ثم يُحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) [يس ـ ٥٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿والبلدُ الطيّبُ يَخرجُ نباتُه بإذنِ ربِّه﴾، هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب، يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿والذي خَبُثَ﴾، يريد الأرض السبخةَ التي، ﴿لا يخرج﴾، نباتُها، ﴿إلاّ نَكِداً﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً بعناء ومشقة.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص (٢٦٤)، وأبو داود في الأدب، باب القول إذا هاجت الريح: ٨/٤، واللفظ له، وابن ماجه في الأدب، باب النهي عن سب الريح: ١٢٢٨/٢، والشافعي في المسند: ١/١٧٥ ـ ١٧٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٥٢٠)، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣٩٩/١، والبيهقي في الدعوات الكبير (انظر: مشكاة المصابيح: ٤٨٠/١)، وصححه ابن حبان ص (٤٨٨) من الموارد، والحاكم في المستدرك ٢٨٥/٤، والإمام أحمد في المسند: ٢٦٨/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٩١/٤، وإسناده صحيح.

(٣) انظر: المصنف للإمام عبدالرزاق: ٨٩/١١.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

فالأول: مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، والثاني: مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبيّن أثر المطر فيه ﴿كذلك نُصرِّفُ الآياتِ﴾، نبيّنها، ﴿لقوم يشكرون﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثلُ ما بعثني اللَّهُ به مِنَ الهُدَى والعلمِ كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع اللَّهُ بها الناسَ فشربُوا وسَقَوْا وزرعُوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبتُ كلأً، فذلك مثلُ من فقُهَ في دينِ الله ونفعه ما بعثني اللَّهُ بِهِ فعَلِمَ وعلَّمَ، ومثلُ مَنْ لم يرفعْ بذلك رأساً ولم يقبلْ هُدى الله الذي أُرسلتُ به»[1].

قوله تعالى: ﴿لقدْ أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بُعث بعد إدريس، وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقيل: بُعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة[2]. وقال مقاتل: ابن مائة سنة. وقال ابن عباس: سُمي نوحاً لكثرة ما ناح على نفسه.

واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربَّه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه: أَعِبْتَني أم عِبْتَ الكلبَ؟ ﴿فقال﴾، لقومه، ﴿يا قوم اعبدُوا اللَّهَ ما لكمْ من إلهٍ غيرُه﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿من

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب فضل من علِم وعلّم: ١/١٧٥، ومسلم في الفضائل، باب بيان ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم (٢٢٨٢): ٢/١٧٨٧. والمصنف في شرح السنة: ١/٢٨٧.

(٢) في «ب»: (مائة وخمسين سنة).

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ٦٤ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن
رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٦٧﴾

إله غيره﴾، بكسر الراء حيث كان، على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: (هل منْ خالقٍ غير الله) (فاطر ـ ٣)، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: مالكم غيره من إله، **﴿إنّي أخافُ عليكم﴾**، إن لم تؤمنوا، **﴿عذابَ يومٍ عظيم﴾**.

﴿قال الملأ من قومه إنّا لَنراكَ في ضَلَالٍ﴾، خطأ وزوال عن الحق، **﴿مُبين﴾**، بيّن.

﴿قال﴾، نوح، **﴿يا قوم ليسَ بي ضَلَالة﴾**، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة: الضلال أو على تقديم الفعل، **﴿ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾**.

﴿أُبلِّغُكُم﴾، قرأ أبو عمرو: «أبلغكم» بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ. لقوله: (لقدْ أبلغتُكم) [الأعراف ـ ٩٣]، **﴿رسالاتِ ربّي﴾**، [«ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم»، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ، لقوله تعالى: (بلّغْ ما أُنزل إليك) (المائدة ـ ٦٧)، رسالات ربي][1]، **﴿وأنصحُ لكم﴾**، يقال نصحته ونصحت له. والنصح أن يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه، **﴿وأعلمُ منَ اللهِ ما لا تعلمُون﴾**، أن عقابه لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

﴿أوَعَجِبْتُم﴾، ألف استفهام دخلت على واو العطف، **﴿أنْ جاءَكم ذكرٌ من ربِّكم﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان. وقيل: رسالة. **﴿على رجلٍ منكم لِيُنْذِرَكم﴾**، عذاب الله إن لم تؤمنوا، **﴿ولِتَتَّقُوا﴾**، أي: لكي تتقوا الله، **﴿ولعلّكم تُرحَمُون﴾**، لكي ترحموا.

﴿فكذّبوه﴾، يعني: كذبوا نوحاً، **﴿فأنجيناه﴾**، من الطوفان، **﴿والذينَ معه في الفُلْكِ﴾**، في

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

السفينة، ﴿وأغرَقنا الذينَ كذّبُوا بآياتِنا إنّهم كانوا قوماً عَمِين﴾، أي: كفاراً. قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال رجلٌ عمٍ عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمي والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموات عن نزول العذاب بهم وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهُمْ هُوداً﴾، أي: وأرسلنا إلى عاد ـ وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ـ، وهي عاد الأولى «أخاهم» في النسب لا في الدين «هوداً»، وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. وقال ابن إسحاق: هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، ﴿قالَ يا قومِ اعبدُوا اللّهَ ما لكمْ من إلهٍ غيرُهُ أفلا تتَّقون﴾، أفلا تخافون نقمته؟

﴿قالَ الملأُ الذينَ كفرُوا منْ قومهِ إنّا لَنراكَ﴾، يا هود، ﴿في سَفاهةٍ﴾، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعونا إلى دين لا نعرفه، ﴿وإنّا لنظنّكَ من الكاذبين﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿قال﴾، هود ﴿يا قومِ ليسَ / بي سفاهةٌ ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾. ١٣١/ب

﴿أبلِغُكُمْ رسالاتِ ربّي وأنا لكمْ ناصحٌ أمين﴾، ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي: كنتُ فيكم قبل اليوم أميناً.

﴿أوعَجِبْتُم أن جاءَكم ذِكرٌ مِّن رَّبِّكم على رجلٍ منكم﴾، يعني نفسه، ﴿لِيُنْذِركم. واذْكرُوا إذْ

جعلَكم **﴿خُلَفَاءَ﴾**، يعني في الأرض، **﴿من بعدِ قوم نوح﴾**، أي: من بعد إهلاكهم، **﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾**، أي: طولاً وقوّة. قال الكلبي والسدي: كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع، وقامة القصير منهم ستون ذراعاً. وقال أبو حمزة الثمالي: سبعون ذراعاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمانون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طول كل رجلٍ اثني عشر ذراعاً. وقال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل تفرخ فيها الضِّباع، وكذلك مناخرهم. **﴿فاذْكُروا آلاءَ اللَّهِ﴾**، نِعَم الله، واحدها إلىً وآلاء مثل مِعَىً وأمعاء، وقفا وأقفاء، ونظيرها: (آناء الليل) (الزمر - ٩)، واحدها أناً وآناء، **﴿لعلّكم تفلحون﴾**.

﴿قالوا أجئتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وحدَهُ ونذر مَا كانَ يعبدُ آباؤنا﴾، من الأصنام، **﴿فأْتنا بِما تَعِدُنا﴾**، من العذاب، **﴿إنْ كنتَ منَ الصّادقين﴾**.

﴿قال﴾، هود، **﴿قدْ وقع﴾**، وجب ونزل، **﴿عليكمْ من ربِّكم رِجْسٌ﴾** أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، **﴿وغضبٌ﴾**، أي: سخط، **﴿أتُجادِلُونَني في أسماءٍ سميتُمُوها﴾**، وضعتموها، **﴿أنتم وآباؤُكم﴾**، قال أهل التفسير: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، **﴿ما نزّلَ اللَّهُ بها من سلطان﴾**، حجة وبرهان، **﴿فانتظروا﴾**، نزول العذاب، **﴿إنّي معكمْ من المنتظرين﴾**.

﴿فأنجيناه﴾، يعني هوداً عند نزول العذاب، **﴿والذينَ معه برحمةٍ منّا وقَطَعْنَا دَابِرَ الذينَ كذَّبُوا بآياتِنَا﴾**، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم، **﴿وما كانُوا مؤمنين﴾**.

وكانت قصةُ عاد على ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره:(1) أنهم كانوا قوماً ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عزّ وجلّ، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، صنم يقال له صدى، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً، فأمرهم أن يُوحّدُوا الله ويكفّوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك، فكذّبوه فقالوا من أشد منّا قوة فبنوا المصانع وبطشوا بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك.

---

(١) ساق هذه القصة الحافظ ابن كثير في التفسير: ٢/٢٢٦ - ٢٢٧ وفي البداية والنهاية: ١/١٢٦ - ١٢٧. وأشار إلى حديث يشبه هذه القصة، أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/٤٨٢، والترمذي في التفسير، تفسير سورة الذاريات: ٩/١٥٩ - ١٦٢، ورواه أيضاً النسائي من حديث سلام بن أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة، ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضاً عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكري، انظر: ابن كثير، الموضع السابق، الدر المنثور: ٧/٦٢٢، مجمع الزوائد: ٦/٩-١٢.

وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى، مختلفة أديانهم وكلهم معظّم لمكة، وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق، لأن أباهم عمليق بن لاذا بن سام بن نوح، وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد، فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفداً منكم إلى مكة فليستسقوا لكم، فبعثوا قيل بن عنز، ولقيم بن هزال من هزيل، وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر، ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن صندين بن عاد الأكبر، فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً.

فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان، قينتان لمعاوية بن بكر، وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون بهم من البلاء الذي أصابهم شقّ ذلك عليه، وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي، والله ما أدري كيف أصنع بهم، أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بُعِثُوا إليه، فيظنون أنه ضيق منّي بمقامهم عندي، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً، فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا: قلْ شعراً نُغنّيهم به، لا يدرون من قاله، لعلّ ذلك أن يُحرِّكهم، فقال معاوية بن بكر:

ألَا يا قيلَ ويحكَ قمْ فَهَيْنِم	لعلّ اللّهَ يُسْقينا غماما
فيسقي أرضَ عادٍ إنّ عاداً	قد أمْسَوا لا يَبِينُون الكلاما
منَ العطشِ الشديدِ فليسَ نرجُو	بهِ الشيخَ الكبيرَ ولا الغُلاما
وقدْ كانتْ نساؤهم بخيرٍ	فقدْ أمستْ نساؤهم أيامَى
وإنّ الوحش تأتيهم جهاراً	فلا تخشَى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم	نهارُكمو وليلكمو التماما
فَقُبِّحَ وفدُكُمُ منْ وَفْدِ قومٍ	ولا لَقُوا التحيَّةَ والسَّلاما

فلمّا غنّتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنّما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مرثد بن سعد بن

عفير، وكان قد آمن بهود سراً: إنكم والله لا تُسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سُقيتم، فأظهر إسلامه عند ذلك وقال:

عصتْ عادٌ رسولَهمُ فأمسَوا ... عطاشاً ما تبلهم السماء
لهم صنم يُقال له صمودٌ ... يقابله صداءٌ والهباءُ
فبصّرنا الرسولُ سبيلَ رشد ... فأبصرنا الهُدى وجَلَى العماءُ
وإن إله هود هو إلهي ... على اللّهِ التوكلُ والرجاءُ

فقالوا: لمعاوية بن بكر: احبس عنّا مرثد بن سعد فلا يقدمنّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعادٍ، فلمّا ولّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجُوا له، فلمّا انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد يدعون، فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوكَ به وفدُ عاد، وكان قِيْلُ بنُ عنز رأسَ وفد عاد، فقال وفد عاد: اللهم أعط قيلاً ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله.

وكان قد تخلف عن وفد عاد ـ حين دعوا ـ لُقمانُ بنُ عاد، وكان سيّدَ عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام، فقال: اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي، وسأل اللَّهَ طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر، وقال قِيْلُ بنُ عنز حين دعا: يا إلهنا إن كان هودُ صادقاً فاسقنا فإنا قد هلكنا، فأنشأ الله سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مُنادٍ من السحايب [يا قيل][1] اختر لنفسك وقومك ١/١٣٢
من هذه السحائب [ما شئت][1]، فقال قيلُ: / اخترتُ السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً فناداه منادٍ: اخترت رماداً رمدداً لا تبقي من آل عاد أحداً، وساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء التي اختارها قِيلُ بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له «المغيث»، فلمّا رأوها استبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا، يقول الله تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تُدمّرُ كلَّ شيء بأمر ربها﴾ (الأحقاف ـ ٢٤ ـ ٢٥) أي: كل شيء مرّتْ به.

وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صُعقت، فلما أفاقت قالوا لها: ماذا رأيت؟ قالتْ: رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها، فسخّرها الله عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فلم تدع من عادٍ أحداً إلا هلك، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذ الأنفس، وإنها لَتَمرُّ من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة،

(١) زيادة من «ب».

وخرج وفد عاد من مكة حتى مرّوا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذا أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر، فقالوا له فأين فارقت هوداً وأصحابه؟ فقال: فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكّوا فيما حدثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر: صدق وربِّ مكة.

وذكروا أن مرثد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل بن عنز، حين دعوا بمكة، قيل لهم: قد أعطيتكم مُنَاكم فاختاروا لأنفسكم، إلّا أنه لا سبيل إلى الخلود، ولا بُدَّ من الموت، فقال مرثد: اللهم أعطني صدقاً وبراً فأعطي ذلك، وقال لقمان: أعطني يا ربِّ عُمْراً، فقيلَ له: اختر، فاختار عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته، حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع، وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، وكان آخرها لبد فلما مات لبد مات لقمان معه.

وأمّا قيلُ فإنه قال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له: إنه الهلاك، فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم، فأصابه الذي أصاب عاداً من العذاب فهلك.

قال السدي: بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلمّا أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه.

ورُوي أن الله عزّ وجلّ أمر الريح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها.

وفي الحديث: «إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم»[1]، ورُوي عن علي رضي الله عنه: أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب أحمر. وقال عبدالرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً، وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة. ويُروى: أنّ النبيَّ منَ الأنبياء إذا هلك قومُه جاءَ هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا.

(١) جاء قريب من هذا في رواية الإمام أحمد والترمذي في الموضع السابق، وليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ، بل السياق يدل على أنه من راوي القصة.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً﴾، وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد هاهنا القبيلة.

قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود لقلّة مائها، والثمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ﴿أخاهم صالحاً﴾، أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب، لا في الدين صالحاً، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود، ﴿قالَ يا قوم اعبدُوا اللَّهَ ما لكم مِنْ إلهٍ غيرُهُ قدْ جاءتْكم بينةٌ مِّن رَّبِّكم﴾، حجة من ربكم على صدقي، ﴿هذه ناقةُ الله﴾، أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال بيت الله، ﴿لكم آيةً﴾، نصب على الحال، ﴿فذَرُوها تأكلْ﴾، العشب، ﴿في أرضِ اللَّهِ ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾، لا تصيبوها بعَقْر، ﴿فيأخُذَكم عذابٌ أليم﴾.

﴿واذْكُروا إذْ جعلكم خلفاءَ من بعد عادٍ وبوّأكم﴾، أسكنكم وأنزلكم، ﴿في الأرض تَتّخِذُونَ مِن سُهولها قُصوراً وتَنْحِتُون الجبالَ بُيوتاً﴾، كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال. وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿فاذكرُوا آلاءَ اللَّهِ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفسدين﴾، والعيث: أشدُّ الفساد.

﴿قالَ الملأ﴾، قرأ ابن عامر: (وقالَ الملأ) بالواو ﴿الذينَ استكبرُوا من قومه﴾، يعني الأشراف والقادة الذين تعظّموا عن الإيمان بصالح، ﴿للذين اسْتُضْعِفُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿لِمَنْ آمن

(١) ساقط من «ب».

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ
وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧
فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ
أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾

منهم﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين، ﴿**أتعلمون أنّ صالحاً مُرسلٌ من ربِّه**﴾، إليكم، ﴿**قالوا إنّا بما أُرسلَ به مُؤمنون**﴾.

﴿**قال الذين استكبرُوا إنّا بالذي آمنتُمْ بهِ كافرون**﴾، جاحدون.

﴿**فعقرُوا النّاقةَ**﴾، قال الأزهري: العقر هو قطع عرقوب البعير، ثم جُعل النحر عقراً لأنّ ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿**وعَتَوْا عن أمرِ ربِّهم**﴾، والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو عُتُواً: إذا استكبروا، والمعني: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذّبوا نبيّهم. ﴿**وقالوا يا صالحُ ائتِنَا بما تعِدُنا**﴾، أي: من العذاب، ﴿**إنْ كنتَ منَ المرسلين**﴾.

﴿**فأخذتْهُم الرجفةُ**﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿**فأصبحُوا في دارهم**﴾، قيل: أراد الديار. وقيل: أراد في أرضهم وبلدتهم، ولذلك وحّد الدار، ﴿**جاثمين**﴾، خامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

﴿**فتولّى**﴾، أعرض صالح، ﴿**عنهم وقالَ يا قومِ لقدْ أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم ولكن لا تُحبّون النّاصحين**﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم بعدما هلكوا بالرجفة؟

قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القليب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيَسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: [«والذي نفس محمد بيده][1] ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون»[2].

(١) زيادة من «ب» ومن صحيح البخاري.

(٢) قطعة من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧/٣٠٠ـ٣٠١.

وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتُكم رسالة / ربي فأخذتهم الرجفة. ١٣٢/ب

وكان قصة ثمود على ما ذكره محمد بن إسحاق ووهب وغيرهما: أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها، واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا، حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً، وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدُوا في الأرض وعبدُوا غير الله، فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً، وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً وموضعاً، فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً، فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم إلاّ قليل مستضعفون، فلمّا ألحّ عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يُريهم آية تكون مصداقاً لما يقول، فقال لهم: أيّ آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا غداً إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا، فإن استُجيب لك اتبعناك وإن استُجيب لنا اتّبعتنا، فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم، وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم، وسألوها أن لا يُستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال جندع بن عمرو بن حوّاس وهو يومئذ سيد ثمود: يا صالح أَخْرِج لنا من هذه الصخرة ـ لصخرة منفردة في ناحية من الحجر يقال لها الكاثبة ـ ناقةً مخترجة جوفاء وبراء عشراء

= وأخرج أيضا في الموضع نفسه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول» فذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: «إنك لا تُسْمع الموتى» حتى قرأت الآية.

فكان هذا مما استدركته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على ابن عمر رضي الله عنهما وأنه وهم في قوله «ليسمعون»، وإنما هو بلفظ «إنهم ليعلمون».

قال البيهقي: العلم لا يمنع من السماع. والجواب عن الآية: أنه لا يُسْمِعُهم وهم موتى. ولكن الله أحياهم حتى سمعوا، كما قال قتادة. ولم ينفرد عمر ولا ابنه ـ رضي الله عنهما ـ بحكاية ذلك، بل وافقهما: أبو طلحة، وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح، ومن حديث عبدالله بن سيدان نحوه، وفيه: «قالوا يا رسول الله وهل يسمعون»؟ قال: «يسمعون كما تسمعون، ولكن لا يجيبون»، وفي حديث ابن مسعود: «ولكنهم اليوم لا يجيبون».

ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وأخرجه أحمد بإسناد حسن، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة..

انظر بالتفصيل: فتح الباري: ٧/٣٠٣ـ٣٠٤، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي: ص (٩٩ـ١٠٠)، الروض الأنف للسهيلي: ٢/٧٤.

ـ والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل ـ، فإن فعلتَ صدقناك وآمنا بك، فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لَتُصَدِّقُنّي ولتؤمُنَّ بي، قالوا: نعم، فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وَصَفُوا لَا يعلم ما بين جنبيها عِظَما إلا الله، وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم، فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يُؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذُؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمغر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود.

فلما خرجت الناقة قال لهم صالح: هذه ناقة الله، لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود، ترعى الشجر وتشرب الماء، فكانت ترد الماء غِبًّا، فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها، فلا تدع قطرة، ثم ترفع رأسها فتنفشخ حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاؤوا من لبن، فيشربون ويدخرون، حتى يملؤوا أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي وردت منه لا تقدر على أن تصدر من حيث تَرِدُ، يضيق عنها، حتى إذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاؤوا من الماء ويدخرون ما شاؤوا ليوم الناقة، فهم من ذلك في سعة ودعة، وكانت الناقة تُصيِّف إذا كان الحر بظهر الوادي، فتهرب منها المواشي، أغنامهم وبقرهم وإبلهم، فتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجدبه، وتشتو ببطن الوادي إذا كان الشتاء، فتهرب مواشيهم إلى [ظهر][1] الوادي في البرد والجدب فأضرَّ ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة، فأجمعوا على عقرها.

وكانت امرأتان من ثمود إحداهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنّى بأم غنم، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم، وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة [لما أضرت][2] بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعتْ صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة، وعرضت عليه نفسها إن هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وأكثرهم مالاً، فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قُدَار بن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً، يزعمون أنه كان لزانية، ولم يكن لسالف، ولكنه ولد على فراش سالف، فقالت: أعطيك أيّ

(١) في «ب»: (بطن)
(٢) ساقط من «أ».

بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبدالله بن زمعه أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: (إذ انبعث أشقاها) (الشمس - ١٢)، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زمعة[١].

رجعنا إلى القصة، قالوا: فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط، فانطلق قدار وصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في طريق آخر فمرت على مصدع، فرماها بسهم فانتظم به في عضلة ساقها، وخرجت بنت غُنْم عنيزَةُ، وأمرت ابنتها، وكانت من أحسن الناس، فأسفرتْ لقدار ثم ذَمَرَتْه[٢]، فشدّ على الناقة بالسيف فكشفت عرقوبها فخرَّت ورغت رُغاةً واحدة تحذِّر سَقْبَها[٣]، ثم طعن في لَبَّتها فنحرها، وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى سَقْبُها ذلك انطلق حتى أتى جبلاً منيفاً يقال له: صنو، وقيل: اسمه قارة، وأتى صالح فقيل له: أدرك الناقة فقد عُقِرت، فأقبل وخرجوا يتلقَّونه ويعتذرون إليه: يا نبي الله إنّما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يُرْفَع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله تعالى إلى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير.

وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم رغا ثلاثاً، وانفجرت الصخرةُ فدخلها. فقال صالح لكل رغوة أجل يوم فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.

وقال ابن إسحاق: اتبع السَّقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة، وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذاب بن مهرج، فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه، ثم جرَّ برجله فأنزله، فألقوا لحمه مع لحم أمه، وقال لهم صالح: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته، قالوا وهم يهزؤون به: ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم: الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة «والشمس وضحاها»: ٨/٧٠٥، وفي النكاح، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، برقم (٢٨٥٥): ٤/٢١٩١، والمصنف في شرح السنة: ٩/١٨٢.

(٢) الذَّمر: التحريض على القتال.

(٣) السَّقْب: ولد الناقة ساعة يولد.

١/١٣٣ دبـار والأربعاء / جبار، والخميس مؤنس والجمعة العَروبة، والسبت شيار، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تُصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرَّة، ثم تُصبحون يوم العَروبة ووجوهكم محمرَّة، ثم تُصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودَّة، ثم يصبحكم العذاب يوم أول.

فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلمَّ فلنقتلْ صالحاً فإن كان صادقاً عجلنـاه قبلنا، وإن كان كاذباً قد كنّا ألحقناه بناقته، فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجـارة، فلمـا أبـطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم همُّوا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربكم عليكم إلّا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون، فانصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنّمـا طُليت بالخلوق، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه، وخرج صالح هارباً منهم حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم بني غُنْم، فنزل على سيدهم، رجل يقال له نفيل ويُكنّى بأبي هدب، وهو مشرك فغيَّبه، ولم يقدروا عليه، فغدوا على أصحاب صالح يعذِّبونهم ليدلُّوهم عليه، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم: يا نَبيَّ الله إنهم ليعذبوننا لندلَّهم عليك، أَفَنَدُلّهم؟ قال: نعم، فدلّهم عليه، وأتوا أبا هدب فكلموه في ذلك، فقال: نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل، فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أَمْسَوا صاحوا بأجمعهم ألَا قدْ مضى يوم من الأجل، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وضجـوا وبكوا، وعرفوا أنه العذاب، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنّما طُليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب.

فلمـا كان ليلة الأحـد خرج صالـح من بين أظهـرهم ومَنْ أسلم معه إلى الشام، فنزل رملة فلسطين، فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وألقوا أنفسهم إلى الأرض يقلِّبون أبصارهم إلى السماء مرّة وإلى الأرض مرّة، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتد الضحى من يوم الأحد أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فقطعت قلوبهم في صدورهم، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلّا هلك كمـا قال الله تعـالى: «فأصبحوا في دارهم

جاثمين»، إلّا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف، وكانت كافرة شديدة الكفر والعداوة لصالح، فأطلق الله رجليها بعدما عاينت العذاب، فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قزح، وهو واد القرى، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود، ثم استقت من الماء فَسُقِيَتْ فلما شربت ماتت.

وذكر السُّدي في عقر الناقة وجهاً آخر قال: فأوحى الله تعالى إلى صالح عليه السلام أنّ قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنّا لنفعل، فقال صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد لنا ولد في هذا الشهر إلا قتلناه، قال: فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، وكان ابنه أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً وكان إذا مرّ بالتسعة ورأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم، فتقاسموا بالله لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله، قالوا: نخرج ليرى الناسُ أنا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه فانصرفنا إلى رحلنا فقلنا: ما شهدنا مَهْلِكَ أهله، وإنا لصادقون، فيصدقوننا، يظنون أنّا قد خرجنا إلى سفر. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، وكان يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فدخلوا الغار، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضخ، فرجعوا يصيحون في القرية: أيْ عبادَ الله ما رضي صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

وقال ابن إسحاق: كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا.

قال السدي وغيره: فلما ولد ابن العاشر، يعني: قذار، شبَّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، وشبّ في شهر شباب غيره في السنة، فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب، فأرادوا ماءً يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم شِرْب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم وقالوا: ما نصنع نحن باللَّبَن؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا، فقال ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فعقروها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان عن عبدالله بن دينار

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لمّا نزل الحجر، في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئرٍ بها ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: قد عَجَنَّا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء»[١].

وقال نافع عن ابن عمر: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[٢].

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لمّا مرّ رسول الله ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلنَّ أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلّا أن تكونُوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم قال: أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم، فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها، وأراهم مرتقى الفصيل من القارة، فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فأهلك الله تعالى مَنْ تحت أديم
١٣٣/ب السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلّا رجلاً واحداً يقال له أبو رُغَال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله، فمنعه / حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فَدُفِن ودُفِنَ معه غصن من ذهب، وأراهم قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن[٣].

وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضر موت، فلما دخلوها مات صالح فسمى حضر موت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاصوراء، قال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة.

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾، أي: وأرسلنا لوطاً. وقيل: معناه واذكر لوطاً. وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم، ﴿إذْ قالَ لقومِهِ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطاً شخص من أرض بابل [سافر][٤] مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وإلى ثمود أخاهم صالحاً»: ٦/٣٧٨، ومسلم في الزهد، باب «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» برقم (٢٩٨١): ٤/٢٢٨٦ بلفظ قريب.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق: ٦/٣٧٨.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٨/٢٣٠ (طبع الحلبي)، والإمام أحمد في المسند مختصراً: ٣/٢٩٦، وصححه الحاكم: ٢/٣٤٠ - ٣٤١، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط والبزار وأحمد، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح وعزاه أيضا ابن حجر لابن حبان. انظر: مجمع الزوائد: ٧/٣٧ - ٣٨، الكافي الشاف ص (٦٥)، الدر المنثور: ٣/٤٩٢.

(٤) ساقط من «ب».

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٨٤ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾

لوطاً الأردن، فأرسله الله عزّ وجلّ إلى أهل سدوم فقال لهم، ﴿أتأتونَ الفاحشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، ﴿ما سبقكم بها من أحدٍ منَ العَالَمين﴾، قال عمرو بن دينار ما يُرى ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوطٍ.

﴿إنّكم﴾، قرأ أهل المدينة وحفص (إنكم) بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون الاستئناف، ﴿لتأتونَ الرِّجالَ﴾، في أدبارهم، ﴿شهوةً مِنْ دُونِ النِّسَاء﴾، فسَّر تلك الفاحشة يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿بل أنتم قومٌ مسرفون﴾، مجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نَجَوْتُم، فأبوا فلما ألحّ عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلماناً صباحاً، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دُبُره، فنُكِح في دبره، فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.

قوله عز وجل: ﴿وما كانَ جواب قومهِ إلا أن قالوا﴾، قال بعضهم لبعض: ﴿أخرجُوهم﴾، يعني: لوطاً وأهل دينه، ﴿من قريتكم إنّهم أناس يتطهَّرُون﴾، يتنزهون عن أدبار الرجال.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿فأنجيناه﴾، يعني: لوطاً، **﴿وأهله﴾**، المؤمنين، وقيل: أهله: ابنتاه، **﴿إلا امرأته كانتْ منَ الغابرين﴾**، يعني: الباقين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقين المُعَمَّرين، قد أتى عليها دهر طويل فهلكتْ مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: «من الغابرين» لأنه أراد: ممن بقي من الرجال فلما ضمَّ ذِكْرَها إلى ذِكْرِ الرجال قال: «من الغابرين».

﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾، يعني حجارة من سجيل. قال وهب: الكبريت والنار، **﴿فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ المجرمين﴾**، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب: أمطر، وفي الرحمة: مطر.

قوله تعالى: **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾**، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين - وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام - وهم أصحاب الأيكة: أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم. وقال ابن اسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يسخر بن مدين بن إبراهيم، وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان.

﴿قال يا قوم اعبدُوا الله مالكم مِنْ إلهٍ غيرُهُ قدْ جاءتْكم بينةٌ من ربكم﴾، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: «قد جاءتكم بينة من ربكم» ولم تكن لهم آية؟.

قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن.

وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب.

﴿فأوفوا الكيل﴾، أتموا الكيل، **﴿والميزانَ ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم﴾**، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، **﴿ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحِها﴾**، أي: ببعث الرسل والأمر بالعدل، وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، **﴿ذلكم﴾** الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، **﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾**، مصدِّقين بما أقول..

﴿ولا تقعدُوا بكل صراط﴾، أي: على كل طريق، **﴿تُوعِدُون﴾**، تهددون، **﴿وتَصُدُّونَ عن**

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٧ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ
لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ
٨٨ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ
فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ٨٩﴾

سبيل الله﴾، دين الله، ﴿مَنْ آمنَ به وتبغونها عِوجاً﴾، زيغاً، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب، إن شعيب كذاب فلا يفتننَّك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. وقال السدي: كانوا عشارين. ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾، فكثر عددهم، ﴿وانظُروا كيف كان عاقبةُ المفسدين﴾، أي: آخر أمر قوم لوط.

﴿وإن كان طائفةٌ منكم آمنوا بالذي أُرسلتُ به وطائفةٌ لم يُؤمنوا﴾، أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين، ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾، بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين، ﴿وهو خيرُ الحاكمين﴾.

﴿قال الملأُ الذين استكبرُوا مِن قومِه﴾، يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به، ﴿لنُخرجنّك يا شعيبُ والذينَ آمنوا معكَ من قريتنا أو لتَعُودُنَّ في مِلّتنا﴾، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه، ﴿قال﴾ شعيب ﴿أَولو كنّا كارِهين﴾، يعني: لو كنا، أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه؟

﴿قدِ افترينا على اللّهِ كذباً إن عُدْنَا في مِلّتكم بعد إذْ نجّانا اللّهُ منها وما يكون لنا أنْ نعودَ فيها﴾، بعد إذ أنقذنا الله منها، ﴿إلاّ أنْ يشاءَ اللّهُ ربُّنا﴾ يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا.

فإن قيل: ما معنى قوله: «أو لَتَعُودُنّ في ملتنا»، «وما يكون لنا أن نعودَ فيها»، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

قيل: معناه: أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها.

وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم. ومعنى عاد صار.

وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا فأجاب شعيب عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ ربُّنا كلَّ شيءٍ علماً﴾، أحاط علمه بكل شيء، ﴿على اللَّهِ توكلنا﴾، فيما توعدوننا به، ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال: ﴿ربَّنا افتحْ بيننا وبينَ قومِنَا﴾، أي: اقضِ بيننا، ﴿بالحق﴾، والفتاح: القاضي، ﴿وأنت خيرُ الفاتحين﴾، أي: الحاكمين.

﴿وقالَ الملأُ الذين كفروا مِنْ قومه لئنِ اتبعتُم شُعيباً﴾، وتركتم دينكم، ﴿إنّكم إذاً لخاسرون﴾، مغبونون، وقال عطاء: جاهدون. قال الضحاك: عجزة.

﴿فأخذَتْهم الرجفةُ﴾، قال الكلبي: الزلزلة. وقال ابن عباس وغيره: فتح الله عليهم باباً من جهنم، فأرسل عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء، فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوها أشدَّ حراً من الظاهر، فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله سحابة فيها
١/١٣٤ ريح طيبة فأظلتهم /، وهي الظلة، فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحت السحابة، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، ألهَبَها اللَّهُ عليهم ناراً، ورجفت بهمُ الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، وصاروا رماداً.

ورُوي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحرَّ. قال يزيد الجريري: سلّط الله عليهم الحرّ سبعة أيام ثم رُفع لهم جبلٌ من بعيد، فأتاه رجل فإذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم، فذلك قوله (عذابُ يوم الظلة) (الشعراء - ٨٩)، قال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين، أما أصحاب الأيكة فأُهلكوا بالظلة، وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعاً. قال أبو عبدالله البجلي: كان أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين، وكان ملكهم في زمن شعيب عليه

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ
مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

السلام يوم الظلة كلمن، فلما هلك قالت ابنته تبكيه

كَلَمُنْ قد هَدَّ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسْطَ المَحِلَّهْ
سيِّدُ القَوْمِ أتاهُ الحَتْفُ ناراً تحت ظُلَّةْ
جُعِلَتْ ناراً عَلَيْهِم دارُهُم كَالمُضْمَحِلَّهْ

قوله تعالى: ﴿الذين كذبّوا شعيباً كأن لم يَغْنَوا بها﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم: غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني المنازل واحدها مغنى، وقيل: كأن لم يتنعموا فيها. ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

﴿فتولّى﴾، أعرض ﴿عنهم﴾ شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وقال يا قومِ لقد أبلغتُكم رسالاتِ ربي ونصحتُ لكم فكيف آسَىٰ﴾ أحزن ﴿على قومٍ كافرين﴾، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إلّا أخذنا﴾، عاقبنا ﴿أهلها﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿بالبأساءِ والضّراء﴾، قال ابن مسعود: البأساء: الفقر، والضراء: المرض، وهذا معنى قول من قال: البأساء في المال، والضراء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضراء والضر سوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضراء: الجدب، ﴿لعلّهم يضرعُون﴾، لكي يتضرعوا فيتوبوا.

﴿ثم بدلنا مكانَ السيئةِ الحسنة﴾، يعني: مكان البأساء والضراء الحسنة، يعني: النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حتى عَفَوا﴾، أي: كثروا وازْدادوا، وكثرت أموالهم، [يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: كثرت أموالهم وأولادهم][1] ﴿وقالوا﴾، من غرتهم وغُفلتهم بعد ما صاروا إلى

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾
أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

الرخاء، ﴿قدْ مسّ آباءَنا الضراءُ والسراءُ﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً لنا ولآبائنا، ولم يكن ما مسّنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لِما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى: ﴿فأخذناهم بغتةً﴾، فجأةً آمَنَ ما كانُوا ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العذاب.

﴿ولو أنّ أهلَ القرى آمنوا واتَّقَوا لَفَتَحْنَا عليهم بركاتٍ منَ السماء والأرض﴾، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض. وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب، ﴿ولكنْ كذّبوا فأخذناهمْ بما كانوا يكسِبُون﴾ من الأعمال الخبيثة.

﴿أفأَمِنَ أهلُ القرى﴾ الذين كفروا وكذبوا، يعني: أهل مكة وما حولها، ﴿أن يأتِيَهُمْ بأسُنا﴾، عذابنا، ﴿بياتاً﴾، ليلاً، ﴿وهم نائمون﴾.

﴿أوَ أمِنَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام: «أوْ أَمِنَ» بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أهلُ القرى أن يأتيهم بأسُنـا ضُحىً﴾، أي: نهـاراً، والضحى: صدر النهار، ووقت انبساط الشمس، ﴿وهم يلعبون﴾، ساهون لاهون.

﴿أفأمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فلا يأمَنُ مكرَ اللّهِ إلاّ القومُ الخاسرون﴾، ومكر الله استدراجه إيّاهم بما أنعم عليهم في دنياهم. وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

﴿أوَ لمْ يهدِ﴾، قرأ قتادة ويعقوب: «نهد» بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد،

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

يعني أوَ لم نبين، ﴿للذين يرثونَ الأرضَ مِن بعد﴾، هلاك ﴿أهلها﴾، الذين كانوا فيها قبلهم ﴿أنْ لو نشاءُ أصَبْناهم﴾، أي: أخذناهم وعاقبناهم، ﴿بذنوبهم﴾ كما عاقبنا من قبلهم، ﴿ونَطْبَعُ﴾، نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾، الإيمان ولا يقبلون الموعظة، قال الزجاج: قوله ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ منقطع عما قبله لأن قوله ﴿أصَبْنَاهم﴾ ماض و﴿نطبع﴾ مستقبل.

﴿تلك القرى﴾، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها، يعني: قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب. ﴿نقصُّ عليك من أنبائها﴾، أخبارها لما فيها من الاعتبار، ﴿ولقد جاءتْهم رسلُهم بالبينات﴾، بالآيات والمعجزات والعجائب، ﴿فما كانوا لِيُؤمنُوا بما كَذَّبُوا من قبل﴾، أي: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب، نظيره قوله عزّ وجلّ: (قدْ سألها قومٌ من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) (المائدة - ١٠٢).

قال ابن عباس والسدي: يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب. وقال مجاهد: معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، كقوله عزّ وجلّ: (ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه) (الأنعام - ٢٨).

قال يمانُ بن رباب: هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه، يقول: ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل كذبوا بما كذب أوائلهم، نظيره قوله عزّ وجلّ: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحرٌ أو مجنون) (الذاريات - ٥٢). ﴿كذلك يَطْبَعُ اللّهُ على قلوبِ الكافرين﴾، أي: كما طبع الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكها، كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كُتِب عليهم أنْ لا يؤمنوا من قومك.

﴿وما وجدنا لأكثرهم منْ عهد﴾، أي: وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، حين أخرجهم من صلب آدم ﴿وإنْ وجدْنَا أكثرَهم لَفَاسقين﴾، أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧)﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾، أي: من بعد نوح وهود وصالح وشعيب، ﴿موسى بآياتنا﴾، بأدلتنا، ﴿إلى فرعونَ ومَلَئِه فظلَمُوا بها﴾، فجحدوا بها. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ المفسدين﴾، وكيف فعلنا بهم.

﴿وقال موسى﴾، لما دخل على فرعون، ﴿يا فرعون إنّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾، إليك، فقال فرعون: كذبتَ فقال موسى:

١٣٤/ب ﴿حقيقٌ على أن لا / أقولَ على اللّهِ إلاّ الحقَّ﴾، أي: أنا خليق بأن لا أقول على الله إلا الحق، فتكون ﴿على﴾ بمعنى الباء كما يقال: رميت بالقوس ورميت على القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة، يدل عليه قراءة أُبيّ والأعمش ﴿حقيقٌ بأنْ لا أقول على الله إلا الحق﴾، وقال أبو عبيدة: معناه حريص على أن لا أقول على الله إلاّ الحق، وقرأ نافع (عَلَيَّ) بتشديد الياء أي حق واجب عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق. ﴿قدْ جئتكم ببينةٍ من ربكم﴾، يعني العصا، ﴿فأرسلْ معي بني إسرائيل﴾، أي: أطلق عنهم وخلِّهم يرجعون إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللَّبِن ونقل التراب ونحوهما، فقال فرعون مجيباً لموسى:

﴿قال إن كنتَ جئتَ بآيةٍ فأتِ بها إن كنت من الصادقين﴾.

﴿فألقى﴾ موسى ﴿عَصَاه﴾ من يده ﴿فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾، والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل: أليس قال في موضع: (كأنّها جانّ) (النمل - ١٠)، والجانّ الحية الصغيرة؟ قيل: إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة.

قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا صارت حيّةعظيمة صفراء شعراء فاغرةً فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعاً وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت له على ذنبها واضعةً لحيها الأسفل في

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى
ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢﴾

الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، ورُوِي أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هارباً وأحْدَثَ.

قيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمائة مرة، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

﴿ونَزَعَ يَدهُ فإذا هي بيضاءُ للنّاظرين﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت.

﴿قال الملأُ من قوم فِرعونَ إنّ هذا لساحرٌ عليم﴾، يعنون أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويُري الشيء بخلاف ما هو به.

﴿يُريد أنْ يُخرجَكم﴾، يا معشر القبط، ﴿منْ أرْضِكم﴾، مصر، ﴿فماذا تأمرون﴾، أي: تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: هذا من قول الملأ لفرعون وخاصته.

﴿قالوا﴾، يعني الملأ، ﴿أرْجِهْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز، ثم نافع برواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون.

قال عطاء، معناه أخّره. وقيل: احبسه، ﴿وأخاه﴾، معناه أشاروا إليه بتأخير أمره وترك التعرض له بالقتل، ﴿وأرسلْ في المدائنِ حَاشرين﴾، يعني الشُرط والمدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذا المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ
١١٥ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ ١١٦ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧﴾

فذلك قوله: ﴿يأتوك بكلِّ ساحرٍ عليم﴾، قرأ حمزة والكسائي: «سحار» هاهنا وفي سورة يونس، ولم يختلفوا في الشعراء أنه «سحار».

قيل: الساحر: الذي يَعْلمُ السحر ولا يُعَلِّمُ، والسحَّار: الذي يعلّم وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر.

قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لمّا رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنّا لا نُغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحراً كثيراً، وواعد فرعون موسى موعداً فبعث إلى السحرة فجاؤوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علَّمْتُهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمراً من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلى أتى به.

واختلفوا في عددهم، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، إثنان من القبط، وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل.

وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم.

وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً.

وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: رئيس السحرة يوحنا.

﴿وجاءَ السحرةُ فرعونَ﴾، واجتمعوا، ﴿قالوا﴾، لفرعون ﴿إنّ لنا لأجْراً﴾، أي جُعْلاً ومالاً

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

﴿إن كنّا نحنُ الغالبين﴾، قرأ أهل الحجاز وحفص: «ان لنا» على الخبر، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

﴿قال﴾ فرعون ﴿نعمْ وإنّكم لَمنَ المقربين﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

﴿قالوا﴾ يعني السحرة ﴿يا موسى إمّا أن تُلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكونَ نحنُ الملقين﴾، لعصيّنا وحبالنا.

﴿قال﴾ موسى بل ﴿ألقوا﴾ أنتم، ﴿فلما ألْقَوْا سحرُوا أعينَ الناس﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وهذا هو السحر، ﴿واسترهبوهم﴾، أي: أرهبوهم وأفزعوهم، ﴿وجاؤوا بسحرٍ عظيم﴾، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

﴿وأوحينا إلى موسى أنْ ألقِ عصاكَ﴾، فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالاسكندرية. ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، ﴿فإذا هي تَلْقَفُ﴾ قرأ حفص: «تلْقف» ساكنة اللام، خفيفة، حيث كان، وقرأ الآخرون: بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تبتلع، ﴿ما يأفِكُون﴾، يكذبون من التخاييل وقيل: يزوِّرون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكلَّ وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

﴿فوقعَ الحقُّ﴾، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ / من السحر، ١٣٥/١

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصيّنا فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

﴿فَغُلِبُوا هنالك وانقلبُوا صاغِرين﴾، ذليلين مقهورين.

﴿وأُلقيَ السحرةُ ساجدين﴾ لله تعالى. قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. وقال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا.

﴿قالوا آمنا بربِّ العالمين﴾، فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا، ﴿رب موسى وهارون﴾، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة تُؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأومنن بك، وفرعون ينظر.

﴿قال﴾ لهم ﴿فرعون﴾ حين آمنوا ﴿آمنتم به﴾ قرأ حفص «آمنتم» على الخبر هاهنا وفي طه والشعراء، وقرأ الآخرون بالاستفهام آآمنتم به، ﴿قبل أن آذن لكم﴾، أصدّقتم موسى من غير أمري إيّاكم، ﴿إنّ هذا لمكرٌ مكرتمُوه﴾، أي: صنيع صنعتموه أنتم وموسى: ﴿في المدينة﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿لِتُخْرِجُوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ ما أفعل بكم.

﴿لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾، وهو أن يقطع من كل شق طرفاً. قال الكلبي: لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ثم لأصلبنّكم أجمعين﴾، على شاطيء [نهر][1] مصر.

﴿قالوا﴾، يعني السحرة لفرعون، ﴿إنّا إلى ربِّنا مُنقلبون﴾، راجعون في الآخرة.

﴿وما تَنْقِمُ مِنَّا﴾، أي: ما تكره منّا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: مالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿إلاّ أنْ آمنا بآيات ربِّنا لمّا جاءتْنا﴾ ثم فزعوا إلى الله عزّ وجلّ فقالوا:

(١) في «ب»: (بحر).

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿ربَّنا أفرِغْ﴾ اصبُبْ، ﴿علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى: (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) [القصص - ٣٥].

﴿وقالَ الملأُ مِن قوم فرعون﴾ له ﴿أتَذَرُ موسى وقومَهُ لِيُفْسِدوا في الأرض﴾، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿ويَذَرَكَ﴾، أي: وليذرك، ﴿وآلهتَكَ﴾، فلا يعبدك ولا يعبدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً. وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليباً يعبده. وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، فذلك قوله (أنا ربُّكم الأعلى) (النازعات - ٢٤)، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك: «ويذرك وإلاهَتَكَ»، بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعْبَد ولا يَعْبدُ وقيل: أراد بالآلهة الشمس. وكانوا يعبدونها قال الشاعر:

تَروَّحْنا من اللَّعْبَاءِ قَصْراً وأَعْجَلْنا الإلاهَةَ أَنْ تَؤُبا

﴿قال﴾ فرعون ﴿سنُقتِّل أبناءَهم﴾، قرأ أهل الحجاز: «سنقتل» بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير، ﴿ونستحيي نساءَهم﴾ نتركهن أحياء، ﴿وإنّا فوقهم قاهرون﴾، غالبون. قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل أنه يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة، وكان من أمره ما كان، فقال فرعون: أعيدوا عليهم القتل، فأعادوا عليهم القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل.

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله﴾، يعني أرض مصر، ﴿يُورثها﴾ يعطيها ﴿منْ يشاء من عباده والعاقبةُ للمتّقين﴾، بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿قالوا أُوذينا﴾، قال ابن عباس: لمّا آمنت السحرةُ اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقـالـوا ـ يعني قوم موسى ـ إنا أوذينا، ﴿من قبل أنْ تأتينا﴾، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾، بإعادة القتل علينا. وقيل: فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللَّبِن بتبن فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بتبنٍ من عندهم. ﴿قال﴾ موسى ﴿عسى ربُّكم أنْ يُهلك عدوكم﴾، فرعون، ﴿ويستخلِفَكم في الأرض﴾، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فينظرَ كيف تعملون﴾، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسّنين﴾، أي: بالجدوب والقحط. تقول العرب: مسّتهم السنَةُ، أي: جدب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿ونقصٍ من الثّمـراتِ﴾، والغلات بالآفات والعاهات. وقال قتادة: أمّا السنين فلأهل البوادي، وأمّا نقص الثمرات فلأهل الأمصار، ﴿لعلّهم يذّكّرون﴾، أي: يتعظون وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عزّ وجلّ.

﴿فـإذا جاءتْهُمُ الحسنةُ﴾، يعني: الخصب والسعة والعافية، ﴿قالوا لنا هذه﴾، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً من الله عزّ وجلّ فيشكروا عليها، ﴿وإنْ تُصبهم سيئةٌ﴾، جدب وبلاء ورأوا ما يكرهون، ﴿يطّيّروا﴾، يتشاءموا، ﴿بموسى ومن معه﴾، وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه.

قال سعيد بن جبير ومحمـد بن المنكـدر: كان مُلْكُ فرعـون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروهاً، ولو كان له في تلك المدة جوع يوم أو حُمّى ليلة، أو وجع ساعة، لمَا ادّعى الربوبية قط. قال الله تعالى ﴿ألا إنّما طائِرُهم عندَ الله﴾، أي: انصباؤهم من الخصب والجدب

والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس: طائرهم ما قضى الله عليهم وقدّر لهم. وفي رواية عنه: شُؤمهم عند الله ومن قِبَل الله. أي: إنّما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم العظيم الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾، أن الذي أصابهم من الله.

﴿وقالوا﴾، يعني: القبط لموسى ﴿مهما تأتنا﴾، متى ما كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿تأتنا به من آية﴾ من علامة، ﴿لتسحرنا بها﴾، لتنقلنا عمّا نحن عليه من الدين، ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين.

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ قال ابن عباس/ وسعيد بن جبير و قتادة ومحمد بن إسحاق ـ دخل ١٣٥/ ب
كلام بعضهم في بعض ـ: لمّا آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوباً، أبى هو وقومه إلاّ الإقامة على الكفر والتمادي في الشرّ، فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عالج منهم بالآيات الأربع: العصا، واليد، والسنين، ونقص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك، ربِّ فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظةً ولمن بعدهم آيةً وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان، وهو الماء، أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة، فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوتَ بني إسرائيل من الماءِ قطرة، وركد الماء على أرضهم لا يقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.

وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عُذّبوا به فبقي في الأرض.

وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم.

وروى ابن ظبيان عن ابن عباس قال: الطوفان أمر من الله طاف بهم، ثم قرأ (فطاف عليها طائفٌ مِّن رَّبك وهم نائمون) (القلم ـ ١٩).

قال نحاة الكوفة: الطوفان مصدر لا يُجْمَعُ، كالرجحان والنقصان.

وقال أهل البصرة: هو جمعٌ، واحدها طوفانة، فقال لموسى ادعُ لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربَّه فرفع عنهم الطوفان، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا

نعمة علينا وخصباً، فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلي الجراد بالجوع، فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادعُ لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.

وفي الخبر: «مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم»(1).

ويقال إن موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت، وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفُوا بما عاهدوا، وعادوا لأعمالهم السوء، فأقاموا شهراً في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل.

[واختلفوا في القمل](2) فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة. وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدَّبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدَّبى الصغار التي لا أجنحة لها. وقال [عكرمة: هي بنات](3) الجراد. وقال أبو عبيدة: وهو الحمْنَان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القَمْل. وبه قرأ أبو الحسن (القَمْل) بفتح القاف وسكون الميم.

قالوا: أمر الله موسى أن يمشي إلى كثيب أعفر، بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس، فمشى موسى إلى ذلك الكثيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل، فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله، ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً.

قال سعيد بن المسيب: القمل السوس الذي يخرج من الحبوب، وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل، وأخذ أشعارهم

(1) انظر: الدر المنثور: ٧/٥٢٢ ـ ٥٢٣، ففيه جملة أخبار بهذا المعنى فيها ضعف ونكارة.

(2) ساقط من «ب».

(3) ساقط من «ب».

وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم. وقالوا: ما كنّا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب. فدعا موسى بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحدٌ إناءً ولا طعاماً إلّا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه، ويهمّ أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفيء نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدعُ أكلتَه إلى فيه، ولا يعجن عجيناً إلا تشدخت فيه، ولا يفتح قدراً إلا امتلأت ضفادع، فلقوا منها أذىً شديداً.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا ذلك[1] إلى موسى، وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعاً من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً وصارت مياههم دماً وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دما عبيطاً؟ وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماءً والقبطي دماً [ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم][2]، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فيَّ فتأخذ في فيها ماءً فإذا مَجَّتْه / في فيها صار دماً، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ١/١٣٦
ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أُجاجاً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلّا الدم.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قال زيد بن أسلم: الدم الذي سُلِّط عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربَّك يكشف عنّا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عزّ وجلّ فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعَ والدّمَ آياتٍ مفصَّـلاتٍ﴾**، يتبع بعضها بعضاً. وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعاً، وبين كل عذابين شهرا، **﴿فاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قوماً مجرمين﴾**.

﴿ولمّـا وقـعَ عليهمُ الـرِّجْزُ﴾، أي: نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عزّ وجلّ من الطوفان وغيره. . وقال سعيد بن جبير: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات [الخمس][1]، حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد، فأمسوا وهم لا يتدافنون **﴿قالوا﴾** لموسى **﴿يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك﴾** أي: بما أوصاك.

وقال عطاء: بما نَبَّأك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك **﴿لئن كشفتَ عنّا الرّجْزَ﴾** وهو الطاعون **﴿لَنُؤْمِننّ لك ولنُرسِلنَّ معكَ بني إسرائيل﴾**.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: أسمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة بن زيد: [قال رسول الله ﷺ][2]: «الطاعونُ رجزٌ أُرْسِلَ على بني إسرائيل أو على مَنْ كان قَبْلَكُم، فإذا سمعتُم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[3].

قوله عزّ وجلّ: **﴿فلمّا كشفنا عنهُمُ الرِّجْزَ إلى أجلٍ هُمْ بالِغُوه﴾** يعني: إلى الغرق في اليمِّ

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء: ٥١٣/٦، ومسلم في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨) ١٧٣٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٤/٥.

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿إذا هم ينكُثُون﴾ ينقضون العهد.

﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ يعني: البحر **﴿بأنّهم كذّبُوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** أي: عن النقمة قبل حلولها غافلين. وقيل: معناه عن آياتنا معرضين.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُسْتَضْعَفُون﴾، يُقهرون ويُستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء [والاستعباد وهم بنو إسرائيل](1)، **﴿مشارق الأرض ومغاربَها﴾** يعني مصر والشام **﴿التي باركنا فيها﴾** بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة **﴿وتمتْ كلمةُ ربِّك الحسنى على بني إسرائيل﴾** يعني: وفَّت كلمة الله وهي وعده إيّاهم بالنصر والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى: (ونُريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا في الأرض) [القصص - ٥] **﴿بما صبرُوا﴾** على دينهم وعلى عذاب فرعون **﴿ودَمَّرنا﴾** أهلكنا **﴿ما كان يصنعُ فرعونُ وقومُه﴾**، في أرض مصر من العمارات، **﴿وما كانوا يعرشون﴾** قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والثمار والأعناب. وقرأ ابن عامر وأبو بكر **﴿يعرشون﴾** بضم الراء ها هنا وفي النحل، وقرأ الآخرون بكسرها.

قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء **بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عزّ وجلّ ﴿فأتوا﴾** فمروا **﴿على قوم يعكفون﴾** يقيمون قرأ **حمزة والكسائي ﴿يعكِفون﴾ بكسر الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿على أصنام﴾** أوثان **﴿لهم﴾، يعبدونها من دون الله.**

قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل. قال قتادة: كان أولئك القوم من

(١) ساقط من «ب».

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا
مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ
لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

لخم وكانوا نزولاً بالرقة، فقالت بنو إسرائيل ما رأوا ذلك: **﴿قالوا يا موسى اجعلْ لنا إلهاً﴾** أي: مثالاً نعبده **﴿كما لهم آلهة﴾**، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنّما معناه: اجعل لنا شيئاً نعظِّمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عزّ وجلّ وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم. **﴿قال﴾** موسى **﴿إنّكم قومٌ تجهلون﴾**، عظمة الله.

﴿إنّ هؤلاء مُتبَّرٌ﴾ مُهْلَكٌ، **﴿ما هم فيه﴾** والتتبير الإهلاك، **﴿وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾**.

﴿قال﴾ يعني موسى **﴿أغيرَ اللهِ أبغيكم﴾**، أي: أبغي لكم وأطلب، **﴿إلهاً وهو فضّلكم على العالمين﴾** أي: على عالمي زمانكم.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الديري أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع النبي ﷺ قِبَلَ حُنين، فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنْواطٍ كما كان للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تركبون سنن من قبلكم»[1].

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإذْ أنجيناكم﴾**، قرأ ابن عامر «أنجاكم» وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، **﴿من آل فرعونَ يسومُونَكم سوءَ العذابِ يقتلون أبناءكم﴾**، قرأ نافع «يَقْتُلون» خفيفةً، من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل، **﴿ويستحيون نساءَكم وفي ذلك بلاءٌ من ربكم عظيم﴾**.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن، باب لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم: ٦/٤٠٧ ـ ٤٠٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن اسحاق في السيرة: ٤/٨٤ ـ ٨٥، والطيالسي في مسنده برقم (١٣٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة: ١/٣٧، وابن حبان برقم (١٨٣٥) من موارد الظمآن، والامام أحمد في المسند: ٥/٢١٨.
وانظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحيد ص ٦٤ ـ ٦٥.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾

﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾، ذي القعدة، ﴿**وأتممناها بعشر**﴾، من ذي الحجة، ﴿**فتم ميقاتُ ربِّه أربعينَ ليلة وقال موسى**﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿**لأخية هارون اخلفني**﴾، كن خليفتي، ﴿**في قومي وأصلحْ**﴾، أي أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله. وقال ابن عباس: يريد الرفقَ بهم والإحسانَ إليهم ﴿**ولا تتبعْ سبيلَ المفسدين**﴾، أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر: أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون! فلمّا فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربَّه الكتاب، فأمره الله عزّ وجلّ أن يصوم ثلاثين يوماً، فلما تمَّتْ ثلاثون أنكر خُلوُف فمه، فتسوَّك بعود خروب.

وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة، فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدتَه بالسواك، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فكانت فتنتهم في العشر التي زادها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا**﴾، أي: للوقت الذي / ضربنا له أن نكلمه فيه. قال ١٣٦/ب
أهل التفسير: إن موسى عليه السلام تطهَّر وطهَّر ثيابه لميعاد ربه لما أتى طور سيناء. وفي القصة: إن الله عزّ وجلّ أنزل ظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء ورأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكلمه الله وناجاه حتى أسمعه، وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته ﴿**قالَ ربِّ أرني أنظرْ إليك**﴾، قال الزجاج: فيه اختصار تقديره: أرني نفسك أنظر إليك. قال ابن عباس: أعطني انظر إليك. فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظناً منه أنه يجوز أن يُرى في الدنيا ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**لن تراني**﴾ وليس لبشر أن يطيق النظر [إليَّ في الدنيا من نظر إلي][1] في الدنيا مات فقال إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن انظر

(١) ساقط من «أ».

إليك ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ولكنِ انظرْ إلى الجبل﴾، وهو أعظمَ جبل بمدين يقال له زبير.

قال السدي: لمّا كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج بين قدمي موسى، فوسوس إليه: أن يكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله عزّ وجلّ: ﴿لن تراني﴾، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لن تراني﴾، ولن تكون للتأبيد، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال و«لن» لا تكون للتأبيد، كقوله تعالى: (ولن يتمنوه أبداً) [البقرة - ٩٥]، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الأخرة يقولون (يا مالك ليقضِ علينا ربُّك) [الزخرف - ٧٧]، و(يَا لَيْتَهَا كانتِ القاضية) [الحاقة - ٢٧]، والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أُرى حتى يكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمُعلّق بما لا يستحيل لا يكون مُحالاً.

قال الله تعالى: ﴿ولكنِ انظرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني﴾، قال وهب وابن إسحاق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله[1] ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيرَانِ البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد[2] الضعيف ابن عمران ممّا رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبرْ لِما سألت، فقليلٌ من كثيرٍ ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أنِ اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا[3] أمثال النسور لهم قصف ورجف شديد، وأفواهُهُم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار، ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك يا بن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الرابعة أنِ اهبطوا فاعترضوا على موسى بن

---

(١) لفظ الجلالة ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

عمران فهبطوا عليه فكان لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم، فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران اصبر لما سألت فقليلٌ من كثيرٍ ما رأيت.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفاً واشتدّ حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب ليراني، فهبطوا عليه في يد كل مَلَكٍ منهم مثل النخلة الطويلة، نار أشد ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سُبُّوحٌ قُدّوسٌ، ربُّ العزة أبداً لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم [حين سبحوا][1] وهو يبكي ويقول: ربِّ اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري أأنفلتُ ممّا أنا فيه أم لا؟ إنْ خرجتُ احترقتُ وإن مكثتُ مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا بن عمران أن يشتدَّ خوفُك وينخلع قلبك فاصبرْ للذي سألت.

ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة فلّما بدَا نورُ العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جلّ جلاله، ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون: سبحان القدوس ربِّ العزّة أبداً لا يموت بشدة أصواتهم، فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صَعِقاً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل اللامة، فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنتُ بكَ ربّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، ولا يَعْدِلُك شيء ولا يقوم لك شيء، ربِّ تبتُ إليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلّك رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فلّما تجلى ربُّه للجبل جعله دكاً﴾، قال ابن عباس: ظهر / نورُ ربِّه للجبل، جبل زبير. ١/١٣٧
وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبدالله بن سلام وكعب الأحبار: ما

(١) ساقط من «ب».

تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلى إلاّ قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أنّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «هكذا» ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل[1].

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً، أي: مستوياً بالأرض، قرأ حمزة والكسائي (دكاء) ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، [وافق عاصم في الكهف][2]، وقرأ الآخرون (دكا) مقصوراً منوناً، فمن قَصَرَه فمعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكه الله دكاً، أي: فَتَّته كما قال: (كلا إذا دُكّتِ الأرضُ دَكّاً دكاً) [الحاقة ـ ٢١]، ومن قرأ بالمدّ أي: جعله مستوياً أرضاً دكاء.

وقيل: معناه جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبالاً صغاراً.

ووقع في بعض التفاسير: صار لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوي، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وخرّ موسى صَعِقاً﴾. قال ابن عباس والحسن: مغشياً عليه. وقال قتادة: ميّتاً[4]. وقال الكلبي: خرّ موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر.

قال الواقدي: لمّا خرّ موسى صَعِقاً قالتْ ملائكة السموات: مَا لِابْنِ عمران وسؤال الرؤية؟ وفي بعض الكتب[4] أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة الأعراف: ٨/٤٥١ ـ ٤٥٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً من طريق عبدالوهاب الوراق وقال: هذا حديث حسن.
وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) هذه الرواية الطويلة عن ابن اسحاق ووهب، في تفسير الآيات من الروايات الاسرائيلية، وفيها كثير من الكلام المتهافت، وعلامات الاختلاق ظاهرة عليها. ونضع هنا كلمة الشيخ محمد أبو شهبة تعليقاً على هذه الرواية بعد أن ساق رواية البغوي، قال رحمه الله:
«وهذه المرويات وأمثالها، مما لا نشك أنها من إسرائيليات بني إسرائيل وكذبهم على الله، وعلى الأنبياء، وعلى الملائكة، فلا تُلْق إليه بالاً. وليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات. والآية ظاهرة واضحة، وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله في الآخرة كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة، وغاية ما تدل عليه: امتناع الرؤية البصرية في الدنيا، لأن العين الفانية لا تقدر أن ترى الذات الباقية.
انظر: الاسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٢٧٧ ـ ٢٨١).

(٤) وهـذه أيضاً من الاسرائيليات المكذوبة، وهي تتفق مع طبيعة بني إسرائيل وموقفهم من الأنبياء وإطالة ألسنتهم بالسوء في حقهم، =

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة. ﴿فلما أفاقَ﴾ موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قدْ سأل أمراً لا ينبغي له ﴿قال سبحانك تبتُ إليك﴾ عن سؤال الرؤية ﴿وأنا أولُ المؤمنين﴾ بأنّك لا تُرى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل.

﴿قال يا موسى إنّي اصطفيتُكَ على النّاس﴾ اخترتك على الناس، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «إني» بفتح الياء وكذلك «أخي اشدد» [طه - ٣١]، ﴿برسالاتي﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرون بالجمع، ﴿وبكلامي فَخُذْ ما آتيتك﴾ أعطيتك ﴿وكن مِنَ الشاكرين﴾ لله على نعمه.

فإن قيل: فما معنى قوله «اصطفيتك على الناس برسالاتي» وقد أعطي غيره الرسالةَ؟
قيل: لمّا لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول للرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً.

وفي بعض القصة: أن موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لِمَا غُشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له امرأته: أنا أيم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال: ذاك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي المزكي أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن إسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا راشد بن أسعد بن عبدالرحمن المغافري عن أبيه عن كعب الأحبار: أن موسى نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال، ربِّ اجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد يا موسى، فقال: ربي إني أجد أمةً هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً

= وتنقيصهم ما استطاعوا!
وانظر: تفسير الألوسي: ٩/٤٦.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾

قالوا نفعل إن شاءالله فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، فقال: ربِّ إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفعوع لهم فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمد، قال: يا ربِّ إنّي أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبّر الله فإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيدُ لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرٌّ محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: ربِّ إنّي أجد أمة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة مثلها وإن عملها كتبت له ضعف عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كُتبت له سيئة مثلها، فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: ربِّ إني أجد أمة مَرْحُومةً ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا أجد أحداً منهم إلاّ مرحوماً فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة محمدٍ، فقال: يا ربِّ إنّي أجد أمة [مصاحفهم](1) في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصُفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً إلا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر، فاجعلهم أمتي، قال: هي أمة أحمد، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً ﷺ وأمته قال: يا ليتني من أصحاب محمد أو أمته، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: «يا موسى إني اصطفيتُك على الناس برسالاتي وبكلامي» إلى قوله: «سأريكم دار الفاسقين. ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»، فرضي موسى كلَّ الرضا(2).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وكتبنا له﴾، يعني لموسى، ﴿في الألواح﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح

---

(١) في «ب»: أناجيلهم.

(٢) عزاه السيوطي لأبي نعيم في الدلائل عن عبدالرحمن المغافري عن كعب الأحبار موقوفاً عليه. انظر: الدر المنثور: ٣/٥٥٧ - ٥٥٨، وبنحوه أخرجه الطبري أيضاً عن قتادة سبباً لنزول قوله تعالى: «وألقى الألواح» ولم يذكر ذلك البغوي في روايته.
قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره: ٦/٨٧ «وهذا قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسى عليه السلام به».
وقال الحافظ ابن كثير: «وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد ردّه ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالردّ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة».
انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٤٩.

التوراة، وفي الحديث: «كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً»[1]. وجاء في أحاديث خلق الله آدم بيده: «وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده»[2].

قال الحسن: كانت الألـواح من خشب. قال الكلبي / : كانت من زبرجدة خضراء. وقال ١٣٧/ب
سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهـر النور وقال وهب: أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء ليّنها الله له فقطعها بيده ثم شققها بأصبعه، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقال مقاتل ووهب: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾، كنقش الخاتم. وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى.

وقال الحسن: هذه الآية في التوراة ألف آية يعني «وكتبنا له في الألواح» ﴿من كلِ شيء﴾، مما أُمروا به ونُهوا عنه، ﴿موعظة﴾ نهياً عن الجهل، وحقيقة الموعظة: التذكرة والتحذير بما يخاف عاقبته، ﴿وتفصيلاً لكلِّ شيء﴾، أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام. ﴿فَخُذْهَا بقوة﴾، أي: بجد واجتهاد. وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه بضعف النّية أداه إلى الفتور، ﴿وأْمُرْ قومكَ يأخذوا بأحسنها﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يُحِلُّوا حلالها، ويُحرِّموا حرامها، ويتدَبَّروا أمثالها، ويعملوا بمُحْكَمِها، ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه السلام أشدَّ عبادة من قومه، فأُمِر بما لم يُؤمروا به.

قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها، وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل، وهي ما يستحق عليها الثواب، وما دونها المباح، لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار.

﴿سـأُرِيكُم دارَ الفـاسقين﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة. قال الحسن وعطاء: يعني

= وقال القرطبي: «ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح، ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى من فضيلة أمة محمد ﷺ ولم يكن ذلك لأمته. وهذا قول رديء لا ينبغي أن يضاف إلى موسى عليه السلام». تفسير القرطبي: ٢٨٨/٧.

(١) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده. انظر: الدر المنثور: ٥٤٨/٣.

(٢) عزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبي الشيخ في العظمة، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٤٧/٢ «إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده» وقال: هذا مرسل.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

جهنم، يحذركم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها. قال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: «سأورثكم دار الفاسقين»، وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أُهلكوا.

قوله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغيرِ الحق﴾** قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي، يعني: سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق، كقوله: (فلمّا زاغُوا أزاغَ اللّهُ قلوبَهم).

قال سفيان بن عيينة: سأمنعهم فهم القرآن. قال ابن جريج: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيها أي أصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها. وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام. والأكثرون على أنّ الآية عامة **﴿وإنْ يَرَوْا﴾** [يعني: هؤلاء المتكبرين][1] **﴿كلَّ آية لا يُؤْمِنُوا بها وإنْ يَرَوا سبيل الرُّشد﴾** قرأ حمزة والكسائي «الرَّشَد» بفتح الراء والشين، والآخرون بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسُّقم والسَّقم والبُخل والبَخل والحُزن والحَزن.

وكان أبو عمرو يفرِّق بينهما، فيقول: الرُّشد ـ بالضم ـ الصلاح في الأمر، وبالفتح الاستقامة في الدين. معنى الآية: إن يروا طريق الهدى والسداد **﴿لا يتخذوه﴾** لأنفسهم **﴿سبيلاً﴾**، **﴿وإن يَرَوْا سبيلَ الغيِّ﴾** أي طريق الضلال **﴿يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذّبُوا بآياتِنا وكانُوا عنها غافلين﴾** عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿**والذينَ كذّبُوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة**﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، ﴿**حبطتْ أعمالُهم**﴾، بطلت وصارت كأن لم تكن، ﴿**هلْ يُجزون**﴾ في العقبى ﴿**إلاّ ما كانوا**﴾، أي إلا جزاء ما كانوا ﴿**يعملون**﴾، في الدنيا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واتّخذ قومُ موسى من بعده**﴾، أي: بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿**من حُليِّهم**﴾ التي استعاروها من قوم فرعون. قرأ حمزة والكسائي ﴿**من حليهم**﴾ بكسر الحاء [وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام](1)، واتخذ السامريّ منها ﴿**عجلاً**﴾ وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلاً، ﴿**جسداً**﴾، حياً لحماً ودماً ﴿**له خوار**﴾. وهو صوت البقر، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، وجماعة أهل التفسير.

وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت.

وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج، والأول أصح.

وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: كان يخور كثيراً كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك.

وقال السدي: كان يخور ويمشي ﴿**أَلَمْ يروْا**﴾ يعني: الذين عبدوا العجل ﴿**أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً**﴾. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**اتّخذُوه وكانُوا ظالمين**﴾ أي: اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين.

﴿**ولمّا سُقِطَ في أيديهم**﴾، أي ندموا على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، ﴿**ورأوا أنهم قد ضلّوا قالوا لئنْ لمْ يرحمْنَا ربُّنا**﴾، يَتُبْ علينا ربُّنا، ﴿**ويغفرْ لنا**﴾ يتجاوز عنا، ﴿**لنكونَنّ من الخاسرين**﴾ قرأ حمزة والكسائي: «ترحمنا وتغفر لنا» بالتاء فيهما «ربَّنا» بنصب الباء. وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

---

(1) ساقط من «أ» واستدركناه من «ب».

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولمّا رجعَ موسى إلى قومه غَضبانَ أسِفاً**﴾ قال أبو الدرداء الأسف: شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسِفا أي حزيناً. والأسف أشد الحزن، ﴿**قال بئسما خَلَفْتُموني منْ بعدي**﴾ أي: بئس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشرٍّ إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً، ﴿**أعَجِلْتُم**﴾، أسبقتم ﴿**أمرَ ربِّكم**﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين / ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمرُ ربكم. ﴿**وألقى الألواح**﴾، ١/١٣٨
التي فيها التوراة وكان حاملاً لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب.

قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسَّرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب، وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام، ﴿**وأخذَ برأسِ أخيه**﴾، بذوائبه ولحيته ﴿**يجرُّه إليه**﴾، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحبَّ إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان ليِّن الغضب. ﴿**قال**﴾ هارون عند ذلك، ﴿**ابنَ أمِّ**﴾ قرأ أهل الكوفة والشام ها هنا وفي طه بكسر الميم، يريد يا ابن أمي، فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله: «يا عبادِ» وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص: بفتح الميم على معنى يا ابن أماه.

وقيل: جعله اسماً واحداً وبناه على الفتح، كقولهم: حضرموت، وخمسة عشر، ونحوهما، وإنما قال ابنَ أُمَّ وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه ويستعطفه.

وقيل: كان أخـاه لأمـه دونِ أبيه، ﴿**إنّ القومَ استضعفوني**﴾، يعني عَبَدَةَ العجل، ﴿**وكادوا يقتلونني**﴾، هَمُّوا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿**فلا تشمتْ بيَ الأعداءَ ولا تجْعَلْني**﴾ في مؤاخذتك عليّ ﴿**مع القوم الظالمين**﴾، يعني عبدة العجل.

﴿**قال**﴾ موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿**ربِّ اغفرْ لي**﴾، ما صنعت إلى أخي، ﴿**ولأخي**﴾، إن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿**وأدْخِلْنَا**﴾ جميعاً ﴿**في رحمتك وأنت أرحمُ الراحمين**﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿إنّ الذين اتخذوا العِجْلَ﴾ أي: اتخذوه إلهاً ﴿سَينالهُم غضبٌ من ربِّهم﴾ في الآخرة ﴿وذِلّةٌ في الحياة الدنيا﴾ قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي: «إن الذين اتخذوا العجل» أراد اليهودَ الذين كانوا في عصر النبي ﷺ عيّرهم بصنيع آبائهم فنسبه إليهم ﴿سَينالُهم غضبٌ من ربّهم وذِلّةٌ في الحياة الدنيا﴾ أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية، ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾، الكاذبين، قال أبو قلابة هو ـ والله ـ جزاءُ كل مفترٍ إلى يوم القيامة أن يُذِلَّه الله. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿والذين عَمِلُوا السيئاتِ ثمّ تابُوا منْ بعدِها وآمَنُوا إنّ ربَّك منْ بعدِها لغفورٌ رحيم﴾.

قوله تبارك وتعالى: ﴿ولمّا سكتَ﴾ أي: سكن، ﴿عن موسى الغضبُ أخذَ الألواح﴾ التي كان ألقاها وقد ذهبت ستة أسباعها ﴿وفي نُسْخَتِها﴾ اختلفوا فيه، قيل: أراد بها الألواح، لأنها نسخت من اللوح المحفوظ.

وقيل: إن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله: ﴿وفي نسختها﴾.

وقيل: أراد: وفيما نسخ منها. وقال عطاء: فيما بقي منها. وقال ابن عباس وعمرو بن دينار: لما ألقى موسى الألواح فتكسّرت صام أربعين يوماً فردت عليه في لوحين فكان فيه، ﴿هُدَىً ورحمةٌ﴾، أي: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿للذين هم لربّهم يَرْهَبُون﴾، أي: للخائفين من ربهم، واللام في ﴿لربهم﴾ زيادة توكيد، كقوله: (رَدِفَ لكم) [النمل ـ ٧٢]، وقال

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾

الكسائي: لما تقدمتْ قبل الفعل حَسُنَتْ، كقوله: (للرؤيا تعبرون) [يوسف ـ ٤٣]، وقال قطرب: أراد من ربهم يرهبون. وقيل: أراد راهبون. وقيل: أراد راهبون لربهم.

قوله تعالى: ﴿**واختارَ موسى قومَه**﴾، أي من قومه، فانتصب لنزع حرف الصفة، ﴿**سبعين رجلًا لميقاتِنَا**﴾ فيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً، ﴿**فلما**﴾ أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرة فأخَذَتْهم الصاعقةُ فماتوا.

وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على مَنْ تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل.

وقال قتادة، وابن جريج، ومحمد بن كعب: ﴿**أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾ لأنهم لم يُزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر.

وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) [البقرة ـ ٥٥]، كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطِنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة.

وقال وهب: لم تكن الرجفة صوتاً، ولكنَّ القوم لمّا رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تَبِيْنَ مفاصلُهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، فاشتَدَّ عليه فَقْدُهُم، وكانوا له وزراء على الخير، سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربّه، فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**قال**﴾، يعني موسى ﴿**ربِّ لو شئتَ أهلكتهم منْ قبل**﴾، يعني عن عبادة العجل، ﴿**وإيّايَ**﴾ بقتل القبطي. ﴿**أتُهلِكُنا بما**

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ
أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ
ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ
وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

فعلَ السفهاءُ منّا﴾، يعني عَبَدَة العجل، وظنّ موسى أنهم عُوقبوا باتخاذهم العجل، وقال هذا على طريق السؤال، يسأل: أتهلكنا بفعل السفهاء؟.

وقال المبرِّد: قوله «أتهلكنا بما فعل السفهاءُ منّا» استفهام استعطاف، أي: لا تهلكنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدلُ من أن يأخذ بجريرة الجاني غيرَه.

قوله تعالى ﴿إنْ هي إلاّ فِتْنَتُكَ﴾، أي: التي وقع فيها السفهاء، لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك، أضللت بها قوماً فافتتنوا، وهديت قوماً فعصمتَهم حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله: ﴿تُضِلُّ بها مَنْ تشاءُ وتهدي من تشاءُ أنتَ وَلِيُّنا﴾، ناصرنا وحافظنا، ﴿فاغفرْ لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الغافرين﴾.

﴿واكتبْ لنا﴾ أوجب لنا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾، النعمة والعافية، ﴿وفي الآخرة﴾ أي: وفي الآخرة ﴿حسنة﴾ المغفرة والجنة، ﴿إنّا هُدْنَا إليك﴾، أي: تبنا إليك، ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿عذابي أُصيبُ به من أشاءُ﴾، من خلقي، ﴿ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيء﴾، عمَّتْ كلَّ شيء، قال الحسن
١٣/ب وقتادة: / وسعت رحمته في الدنيا البرَّ والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. وقال عطية العوفي:
وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون، وذلك أن الكافر يرزق، ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين، فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة، كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة، وابن جريج: لمّا نزلت: «ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيء» قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: **﴿فَسَأَكْتُبُها للذينَ يتّقُون ويُؤتُون الزكاةَ والذين هُمْ بآياتنا يُؤمنون﴾** فتمنَّاها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤمن، ونؤتي الزكاة، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

﴿الذين يتّبِعُونَ الرسولَ النبي الأُمِيَّ﴾ الآية. قال نوف البِكَالي الحميري: لما اختار موسى قومه سبعين رجلًا، قال الله تعالى لموسى: أجعلُ لكم الأرض مسجداً وطهوراً، تصلُّون حيث أدركتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، وأَجعلُ السكينة في قلوبكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم، يقرؤها الرجل والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير، فقال ذلك موسى لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً، فقال الله تعالى: «فسأكتُبها للذين يتّقُون ويُؤتون الزكاة» إلى قوله: «أولئك هم المفلحون»، فجعلها الله لهذه الأمة. فقال موسى عليه السلام: يا ربِّ اجعلني نبيَّهم، فقال: نبيهم منهم. قال: ربِّ اجعلني منهم فقال: إنك لن تدركهم، فقال موسى عليه السلام: يا رب إني أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا، فأنزل الله تعالى: (ومِنْ قومِ موسى أمةٌ يهدون بالحق وبه يَعْدِلُون) [الأعراف ـ ١٥٩]، فرضي موسى[1].

قوله تعالى: **﴿الذين يتّبعُون الرسول النبيَّ الأُمِيَّ﴾**، وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب. وقال النبي ﷺ: «إنّا أُمة أُمّيّة لا نكتب ولا نحسب»[2]، وهو منسوب إلى الأُم، أي هو على ما ولدته أمه. وقيل هو منسوب إلى أمته، أصله أُمّتي فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

﴿الذي يَجِدُونَه﴾ أي: يجدون صفته ونعته ونبوته، **﴿مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيل﴾**.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن

(١) رواية نوف البكالي هذه من الأخبار الاسرائيلية، فقد كان نوف راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، وله ترجمة في «تهذيب التهذيب»،

وانظر فيما يأتي التعليق على سبب نزول الآية من السورة. ص (٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري في الصوم، باب قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب» ٤/١٢٦، ومسلم في الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال... برقم (١٠٨٠) ٢/٧٦١. والمصنف في شرح السنة: ٦/٢٢٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجلْ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيّها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلّا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً»[1].

تابعه عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن هلال عن عطاء عن ابن سلام أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنا أبو.الحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبدالله بن عثمان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن عبدالله بن ضمرة عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكّبرونه على كل نجد، يأتـزرون على أنصـافهم ويوضِّؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جوِّ السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام[2].

قوله تعالى: ﴿**يأمرهم بالمعروف**﴾ أي: بالإيمان، ﴿**وينهاهم عن المنكر**﴾ أي: عن الشرك، وقيل: المعروف: الشريعة والسنة، والمنكر: مالا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف: بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، وينهاهم عن المنكر: عن عبادة الأوثان وقـطع الأرحام. ﴿**ويُحِلُّ لهمُ الطيباتِ**﴾ يعني: ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿**ويُحرِّمُ عليهمُ الخبائِثَ**﴾ يعني: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والزنا وغيرها من المحرمات. ﴿**ويضعُ عنهم إصْرَهم**﴾، قرأ ابن عامر «آصارهم» بالجمع. والإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل.

قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد: يعني العهد الثقيل كان أُخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة.

---

(١) أخرجه البخاري في البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق: ٣٤٢/٤-٣٤٣ وفي تفسير سورة الفتح، باب «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» ٥٨٥/٨.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه: ٥/١، وابن سعد في الطبقات: ٣٦٠/١، والبغوي في المصابيح: ٣٦/٤، وانظر: مشكاة المصابيح: ١٦٠٧/٣.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

وقال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، ﴿والأغلال﴾، يعني: الأثقال ﴿التي كانت عليهم﴾، وذلك مثل: قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلّا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد. وشُبِّهَتْ بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق. ﴿فالذين آمنوا به﴾، أي: بمحمد ﷺ. ﴿وعزّروه﴾. وقّروه، ﴿ونصروه﴾ على الأعداء ﴿واتّبعُوا النّورَ الذي أُنزل معه﴾. يعني: القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾.

قوله تعالى: ﴿قلْ يا أيها الناسُ إنّي رسولُ اللّهِ إليكم جميعاً الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرض لا إله إلّا هوَ يحيي ويُميتُ فآمنُوا بالله ورسولِه النبيِّ الأُمّي الذي يُؤمنُ باللّهِ وكلماتِه﴾، أي: آياته وهي القرآن. وقال مجاهد والسدي: يعني عيسى بن مريم، ويقرأ «كلمته» ﴿واتّبِعُوه لعّلكم تَهْتَدُون﴾.

1/139 قوله عزّ وجلّ: ﴿ومِنْ قومِ موسى﴾ يعني: بني إسرائيل / ﴿أمةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿يهدون بالحقّ﴾، أي: , يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، ﴿وبه يعدِلُون﴾، أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى الشرق على نهر [يجري الرمل](1) يسمى نهر أوداف، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل ويصحون بالنهار، ويزرعون حتى لا يصل إليهم منّا أحدٌ، وهم على الحق(2).

وذُكر: أن جبرائيل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به، فكلمهم [فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به](3)، فقالوا: يا رسول الله إن موسى عليه السلام أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منّا السلام، فرد النبي ﷺ على

(1) في بعض النسخ: (مجرى الرمل).
(2) انظر: الطبري: ١٣/١٧٣ ـ ١٧٤، البحر المحيط: ٤/٤٠٦.
(3) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ
أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ
أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

موسى وعليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بمكة، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون، فأمرهم أن يجمّعوا ويتركوا السبت[1].

وقيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي[2] ﷺ. والأول أصح[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وقطّعناهم﴾، أي: فرّقناهم، يعني بني إسرائيل، ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٣/٥٨٦، روح المعاني للآلوسي: ٩/٨٤.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٤/٤٠٦.

(٣) هذه الروايات التي ساقها المصنف ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية، من الاسرائيليات التي لو صح سندها إلى قائليها فإنه لا يحتج بها في هذه الأمور الغيبية التي لا نص عليها في الكتاب والسنة وقد استبعدها ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز»: ٦/١٠٩.
وقال الآلوسي في روح المعاني: ٩/٨٥ «وضعّف هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئاً، ولا أظنك تجد لها سنداً يعوّل عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء».
ولهذا نثبت هنا خلاصة ما قاله ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الكريمة: «يقول الله تعالى مخبراً عن بني اسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، كما قال تعالى: «من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» وقال تعالى: «وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب». . . ثم أشار إلى رواية ابن جرير وقال: «وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً».
وكذلك أبدى ابن عطية رحمه الله رأيه في تفسير الآية فقال: يحتمل أن يريد به وصف المؤمنين المتقين من بني اسرائيل، على عهد موسى عليه السلام وما والاه من الزمن. ويحتمل: أن يريد الجماعة التي آمنت بمحمد، ﷺ، من بني إسرائيل، على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم».
انظر: المحرر الوجيز: ٦/١٠٨ ـ ١٠٩، الاسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٢٩١ ـ ٢٩٢).

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٣﴾

قال الفرَّاء: إنّما قال: «اثنتي عشرة»، والسبط مذكَّر لأنه قال: «أُمماً» فرجع التأنيث إلى الأمم، وقال الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة أمماً، وإنما قال: «أسباطاً أمما»، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أتاني اثنا عشر رجالاً، لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: وقطعناهم أسباطاً أمما اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحدها سبط.

قوله تعالى: ﴿وأَوْحينا إلى موسى إذ استسقاه قومُه﴾ في التّيه، ﴿أن اضربْ بعصاك الحجرَ فانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانبجاس، ثم انفجرت، ﴿منه اثنتا عشرةَ عيناً﴾ لكل سبط عين ﴿قدْ علمَ كلُّ أُناسٍ﴾ كل سبط، ﴿مَّشْرَبَهم﴾، وكل سبط بنوأب واحد.

قوله تعالى ﴿وظلّلنا عليهم الغمامَ﴾ في التيه تقيهم حَرّ الشمس، ﴿وأنزلنا عليهمُ المَنَّ والسلوى كُلُوا من طيباتِ ما رزقناكم وما ظلَمُونا ولكنْ كانُوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿وإذْ قيلَ لهمُ اسكنُوا هذه القرية وكلوُا منها حيثُ شِئْتُمْ وقولوا حِطَّةٌ وادْخلوا البابَ سُجّداً نغفرْ لكم﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: «تُغْفَر» بالتاء وضمها وفتح الفاء. وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿خطيئاتِكم﴾، قرأ ابن عامر «خطيئتكم» على التوحيد ورفع التاء، [وقرأ أبو عمرو: «خطاياكم»، وقرأ أهل المدينة ويعقوب: «خطيئاتُكم» بالجمع ورفع التاء][1]. وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء ﴿سَنَزيدُ المحسنين﴾.

﴿فبدّلَ الذين ظلموا منهم قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم فأرْسلنَا عليهمْ رِجْزاً﴾، عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿واسْأَلْهُمْ عنِ القرية التي كانتْ حاضِرةَ البحر﴾ قيل: هي «مدين»، [أي: سلْ

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

يا محمد هؤلاء اليهود الذي هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر][1] أي: بقربه. قال ابن عباس: هي قرية يقال لها «إيلة» بين «مدين» و«الطور» على شاطيء البحر. وقال الزهري: هي «طبرية الشام». ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبتِ﴾، أي: يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك، ﴿إِذْ تأتِيهم حِيتانُهم يومَ سَبْتِهم شُرّعاً﴾، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع. وقال الضحاك: متتابعة.

وفي القصة: أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض.

﴿ويومَ لا يَسْبِتُونَ لا تأتيهم﴾ كإتيانهم يوم السبت، قرأ الحسن: «لا يُسبتون» بضم الياء أي: لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه: لا يعظمون السبت، ﴿كذلك نَبْلُوهُمْ﴾، نختبرهم، ﴿بما كانوا يفسُقُون﴾، فوسوس إليهم الشيطان وقال: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا. أو قيل: وسوس إليهم أنكم إنما نُهيتم عن الأخذ، فاتخذوا حياضاً على شاطيء البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت، ثم تأخذونها يوم الأحد. ففعلوا ذلك زماناً ثم تجرؤوا على السبت، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أُحلّ لنا، فأخذوا وأكلوا وباعوا، فصار أهل القرية أثلاثاً، وكانوا نحوا من سبعين ألفاً، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا: لِمَ تعظون قوماً اللّهُ مُهلكهم؟ وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نُساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام، فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إنّ لهم شأناً لعلّ الخمر غلبتهم فعَلَوا على الجدار، فإذا هم قردة، فعرفت القرود أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القرود، فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فيقول: ألم ننهكم فتقول برأسها: نعم، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

قوله تعالى: ﴿وإذْ قالتْ أمةٌ منهم لِمَ تَعِظُون قوماً اللّهُ مُهلِكُهم﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا،

(١) زيادة من «ب».

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ١٦٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٧﴾

قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء، قبل أن ينزل بكم العذاب وأنّا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا: (لِمَ تَعظون قوماً الله مهلكهم)، ﴿أو﴾ علمتم أنه ﴿مُعذِّبُهم عذاباً شديداً قالوا﴾ أي: قال الناهون ﴿معذرةً﴾ أي: موعظتنا معذرة ﴿إلى ربِّكم﴾، قرأ حفص: «معذرة» بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساكنة، قالوا لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم، قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله، ﴿ولعلهم يتّقُون﴾، أي: يتقوا الله ويتركوا المعصية، ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون.

﴿فلّما نَسُوا ما ذُكِّرُوا به﴾ أي: تركوا ما وعِظوا به، ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوءِ وأخذنا الذين ظلموا﴾، يعني الفرقة العاصية، ﴿بعذابٍ بئيس﴾، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة.

واختلف القراء فيه قرأ أهل المدينة وابن عامر «بئيس» بكسر الباء على وزنِ فعل، إلا أن ابن عامر يهمزه، وأبو جعفر ونافع لا يهمزان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير.

﴿بما كانوا يَفْسُقُون﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول: «أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس»، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة؟ قال عكرمة: قلت له: جعلني الله فداك ألاَ تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم؟ وإن لم يقل الله أنجيتهم فلم يقل: أهلكتهم، فأعجبه قولي، فَرَضِيَ وأمر لي بِبُرْدَيْن فكسانيهما.

وقال يمان بن رباب: نجت / الطائفتان الذين قالوا لِمَ تَعظون قوماً والذينَ قالوا معذرةً إلى ربكم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان. وهذا قول الحسن. ١٣٩/ب

وقال ابن زيد: نَجَتِ الناهية، وهلكتِ الفرقتان، وهذه أشَدُّ آية في ترك النهي عن المنكر.

قوله تعالى ﴿فلّما عَتَوا عمّا نُهوا عنه﴾، قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿قُلْنا لهم

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

كُونُوا قِردةً خاسئين﴾، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا.

﴿وإذْ تأذنّ ربُّك﴾، أي: آذن وأعلم ربك، يقال: تأذن وآذن، مثل: توعد وأوعد. وقال ابن عباس: تأذّن ربّك قال ربك. وقال مجاهد: أمر ربّك. وقال عطاء: حكم ربّك. **﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة﴾**، أي: على اليهود، **﴿مَنْ يسومُهم سُوءَ العذاب﴾**، بعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمته يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، **﴿إنّ ربَّك لَسريعُ العقابِ وإنّه لغفورٌ رحيم﴾**.

﴿وقطّعناهم﴾، وفرَّقْناهم **﴿في الأرض أُمماً﴾**، فرقا فرقهم الله فتشتت أمرهم ولم تجتمع لهم كلمة، **﴿منهم الصالحون﴾**، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به **﴿ومنهم دُونَ ذلك﴾**، يعني الذين بقوا على الكفر.

وقال الكلبي: منهم الصالحون هم الذين وراء نهر أوداف من وراء الصين[1]، ومنهم دُون ذلك، يعني: من هاهنا من اليهود، **﴿وبلوناهم بالحسنات﴾**، بالخصب والعافية، **﴿والسيئات﴾**، الجدب والشدة، **﴿لعلّهم يرجِعُون﴾**، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا.

قوله عزّ وجلّ: **﴿فخلَفَ مِنْ بعدِهم﴾**، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم **﴿خلْفٌ﴾**، والخلف: القرن الذي يجيء بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلْف بسكون اللام الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلَف بفتح اللام: البدل سواء كان ولداً أو غريباً.

وقال ابن الأعرابي: الخلَف بالفتح: الصالح، وبالجزم: الطالح.

وقال النضر بن شميل: الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرْن السوء واحد، وأما في

(١) انظر الحاشية السابقة في آخر تفسير الآية (١٥٩) من هذه السورة. ص (٢٩١).

القَرْن الصالح فبتحريك اللام لا غير.

وقال محمد بن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها وقد يُحرك في الذم ويُسكّن في المدح. ﴿وَرِثوا الكتابَ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿يأخذُون عَرَضَ هذا الأدْنَى﴾، فالعَرَضَ متاع الدنيا، ، والعَرْض، بسكون الراء، ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير. وأراد بالأدنى العالَم، وهو هذه الدار الفانية، فهو تذكير الدنيا، وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيّعوا العمل بما فيها، وخالفوا حكمها، يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿ويقولون سَيُغفرُ لنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنبأنا أبو طاهر، محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنبأنا عبدالله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّسُ منْ دَانَ نفسَه وعمِلَ لِما بعدَ الموتِ، والعاجِزُ من أتبع نفسَه هواها وتمنّى على الله»[1].

﴿وإنْ يأتِهم عَرَضٌ مِّثْلُهُ يأخذُوه﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السُّدّي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم، فيقال له: ما لك ترتشي؟ فيقول: سيغفر لي، فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضا. يقول: وإن يأت الآخرين عرضٌ مثله يأخذوه.

﴿ألَمْ يُؤْخَذْ عليهم ميثاقُ الكتاب أنْ لا يقولوا على الله إلاّ الحق﴾، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، ﴿ودَرَسُوا ما فيه﴾، قرأوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة،

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب الكيس من دان نفسه: ١٥٦/٧، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له: ١٤٢٣/٢ برقم (٤٢٦٠)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ٥٧/١، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: لا والله، أبو بكرٍ واهٍ، وأخرجه أيضاً في موضع آخر: ٢٥١/٤.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٢٤/٤، والبغوي في شرح السنة: ٣٠٩/١٤ وقال: هذا حديث حسن، وصححه في مصابيح السنة: ٤٤٤/٣.
والحديث، فيه: أبو بكر بن مريم الغساني، وهو ضعيف، قال ابن طاهر: مدار الحديث عليه، وهو ضعيف جداً. انظر: فيض القدير للمناوي: ٦٨/٥.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

ودَرْسُ الكتاب: قراءتُه وتدبُّره مرةً بعد أخرى، ﴿والدّارُ الآخرةُ خير للذين يتّقون أفلا تعقلون﴾.

﴿والذين يُمَسِّكُونَ بالكتابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «يُمْسِكون» بالتخفيف، وقراءة العامة بالتشديد، لأنه يقال: مسكت بالشيء، ولا يقال أمسكت بالشيء، إنما يقال: أمسكته، وقرأ أُبي بن كعب: «والذين تمسّكوا بالكتاب»، على الماضي وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ إذْ قلّ ما يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، [وأراد][1] الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه، تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرّفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلةً. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وأقاموا الصلاة إنّا لا نُضيعُ أجر المصلحين﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذْ نَتقْنا الجبل فوقَهم﴾، أي: فلقنا الجبل، وقيل: رفعناه ﴿كأنّه ظُلّة﴾، قال عطاء: سقيفة. والظلّة: كل ما أظلك، ﴿وظنّوا﴾، علموا ﴿أنه واقعٌ بهم خُذُوا﴾، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿ما آتيناكم بقوة﴾، بجدٍ واجتهاد، ﴿واذْكرُوا ما فيهِ﴾، واعملوا به، ﴿لعلّكم تتّقون﴾، وذلك حين أبَوْا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله على رؤسهم جبلاً. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجد يهودياً إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

قولـه تعالى: ﴿وإذا أخذَ ربُّك من بني آدم مِنْ ظهورهم ذُرّيتهم﴾ الآية.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبدالحميد بن عبدالرحمن، عن زيد بن

(١) ساقط من «ب».

الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وإذْ أخذَ ربُّكَ من بني آدمَ من ظهورهم ذُريّتَهم﴾ الآية. قال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسول الله ﷺ [يُسأل عنها؟ فقال رسول الله ﷺ][1] «إن الله عزّ وجلّ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذُرّيةً، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منهُ ذريّةً فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: فَفِيمَ العملُ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ اللّهَ عزّ وجلّ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على
١/١٤٠ عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة/، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»[2]، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً.

قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله مسح صفحةَ ظهرِ آدمَ اليمنى فأخرج منه ذريةً بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذريةً سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: «ومَا وَجْدَنا لأكثرهم من عهد» [الأعراف - ١٠٢].

وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقرُّوا طوعاً وقالوا: بلى، وأهل الشقاوة قالوه تَقِيَّةً وكرهاً، وذلك معنى قوله: «وله أسلم مَن في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً» [آل عمران - ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاق؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ببطن نَعْمان - وادٍ إلى جنب

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر: ٧/٧١ - ٧٢، والترمذي في تفسير سورة الأعراف: ٨/٤٥٢ - ٤٥٥. وقال: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، ومالك في الموطأ، أول القدر: ٢/٨٩٨ - ٨٩٩، وصححه الحاكم: ١/٢٧، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/٤٤ - ٤٥، وعزاه المزي في تحفة الأشراف: ٨/١١٣ للنسائي في الكبرى. والمصنف في شرح السنة: ١/١٣٩ والآجري في الشريعة ص (١٧٠).
قال المنذري في تهذيب السنن: معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه ثمانية يطول ذكرها. وانظر: ابن كثير: ٢/٢٦٣ - ٢٦٤ وما كتبه الشيخ شاكر تعليقا في تفسير الطبري: ١٣/٢٣٤ - ٢٣٦، والتمهيد لابن عبدالبر ٦/٣ - ٥.

عرفة -[1]، وروي عنه أيضاً: أنه بدهناء من أرض الهند[2]، وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه. وقال الكلبي: بين مكة والطائف. وقال السدي: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته. وروي: أن الله أخرجهم جميعاً وصوّرهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلمهم قُبُلاً - يعني عياناً - وقال ألستُ بربكم؟ وقال الزجاج وجائزٌ أن يكون الله تعالى جعل لأمثالِ الذرِّ فهماً تعقل به، كما قال تعالى: «قالتْ نملةٌ يا أيها النّملُ ادْخُلوا مَساكِنَكم» [النمل - ١٨].

وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا ربَّ لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي، وإني مرسل إليكم رسلاً يذكّرونكم عهدي وميثاقي، ومنزّل عليكم كتباً. فتكلموا جميعاً، وقالوا: شهدنا أنك ربُّنا وإلهنا لَا ربّ لنا غيرُك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغنيَّ والفقيرَ وحَسنَ الصورة ودون ذلك، فقال: ربِّ لولا سوّيتَ بينهم؟ قال: إني أحب أن أُشكر. فلما قرّرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه[3]، فذلك قوله تعالى: «وإِذْ أخذ ربُّك من بني آدم مِنْ ظهورِهم» أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: «ذريَّاتِهم» بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون «ذريَّتَهم» على التوحيد، ونصب التاء.

فإن قيل: ما معنى قوله «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم» وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إنّ الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لِمَا علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/١٢، المستدرك للحاكم: ٢٧/١، مجمع الزوائد للهثمي: ٢٥/٧، ١٨٨ - ١٨٩. وساقه الحافظ ابن كثير من رواية الإمام أحمد والنسائي في التفسير مرفوعا وذكر الروايات عن ابن عباس موقوفا وقال: هذا أكثر وأثبت. والله أعلم. التفسير: ٢٦٣/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٥/١٣ مع تعليق الشيخ شاكر.

(٣) انظر: الطبري: ٢٣٨/١٣ - ٢٣٩، المسند: ١٢٥/٥، المستدرك: ٣٢٣/٢، مجمع الزوائد ٢٥/٧.

(٤) قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله بعد أن ساق روايات أخذ الذرية والاشهاد: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه. وأهل السنة مجتمعون على الايمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها. وبالله العصمة والتوفيق». التمهيد: ١٢/١٦.

وساق الحافظ ابن كثير الروايات في التفسير: ٢٦٢/٢ - ٢٦٥ ثم قال: «... فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميَّز بين أهل الجنة وأهل النار. وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفي حديث عبدالله بن عمرو، وقد بينّا أنهما موقوفان، لا مرفوعان - ... - ومن ثم قال القائلون من السلف =

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألسْتُ بربكم قالوا بلى﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض: ﴿شَهِدْنا أنْ تقولوا﴾، قرأ أبو عمرو: «أن يقولوا» ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما.

واختلفوا في قوله: «شهدنا» قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم حين أشهد اللّهُ بعضهم على بعض، فقالوا بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة، وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية: بلى قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، قوله: «أن يقولوا» يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أخاطبكم: ألستُ بربِّكم لئلا تقولوا، ﴿يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاجُ بعد إخبار المخبِر الصادق صاحبِ المعجزة.

قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبلُ وكنّا ذريةً منْ بعدِهم﴾ يقول: إنما أُخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيّها المشركون: إنّما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنّا ذرية من بعدهم، أي كنّا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أفتُهلِكُنا بما فَعلَ المُبْطِلُون﴾ أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

﴿وكذلك نُفصّلُ الآياتِ﴾ أي: نُبيّن الآيات ليتدبرها العباد، ﴿ولعلّهم يرجِعُون﴾ من الكفر إلى التوحيد.

= والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع. وقد فسّر الحسن البصري الآية بذلك...».
وانظر: تفسير الفخر الرازي: ١٥/ ٥٠ - ٥٦، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٤/ ١٥٨ - ١٦٣، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الاسلام ابن تيمية: ٨/ ٣٥٩، وما بعدها، تفسير القرطبي: ٧/ ٣١٣ وما بعدها.

قولـه تعالى: ﴿واتْلُ عليهم نَبَأَ الذي آتيناه آياتِنا فانْسلَخَ منها﴾ الآية. اختلفوا فيه، قال ابن عباس[1]: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد[1]: بلعام بن باعر. وقال عطية عن ابن عباس[1]: كان من بني إسـرائيل. ورُوي عن علي بن أبي طلحـة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين[2]. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا.

وكانت قصته ـ على ما ذكره ابن عباس وابن اسحاق والسدي وغيرهم ـ[3] أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم ـ وكان عنده اسم الله الأعظم ـ فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وأنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرجْ فادعُ الله أن يردّهم عنّا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألَحُّوا عليه فقال: حتى أُؤامر ربي، وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام لا تدع عليهم، فقال لقومه. إني قد آمرتُ ربي وإني قد نُهيتُ فأُهدوا إليه هديةً فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أؤامر، فآمر، فلم يجز إليه شيء، فقال: قد آمرتُ فلم يجز إلي شيء، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرّة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يُطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حُسْبان، فلما سار / عليها غيرَ كثيرٍ رَبَضتْ به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت ١٤/ب فركبها، فلم تَسِرْ به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم تسرْ به كثيراً حتى ربضت، فضربها حتى أذلقها، أَذِن الله لها بالكلام فكلمته حجةً عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألَا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع، فخلَّى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبَان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومُه: يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم علينا؟! فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال، جمِّلُوا النساءَ وزيِّنوهنّ وأعطوهنّ

(١) انظر: الطبري: ١٣/٢٥٤، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦١)، الدر المنثور: ٣/٦٠٨ ـ ٦٠٩.

(٢) الطبري: ١٣/٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) انظر: الطبري: ١٣/٢٦٤ ـ ٢٦٧، تفسير ابن كثير: ٢/٢٦٧ ـ ٢٦٨، البداية والنهاية: ١/٣٢٢ وقال: «وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من السلف».

السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومُروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنا رجلٌ واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مَرَّتِ امرأة من الكنعانيين، اسمها كستى بنت صور، برجـل من عظمـاء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين [أعجبه جمالها](١) ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى، فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ قال: أجلْ هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أُعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل، فأُخبر الخبر، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك. ورُفع الطاعون، فحُسِب مَنْ هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولدَ فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبةَ والذراع واللحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إيّاها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكرَ من كلِ أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار وفي بلعم أنزل الله تعالى: «واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا» الآية.

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادعُ اللّه على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لِمَ تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبـر الملك فقـال: لتدعونّ عليه أو لأصلبنّك، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: أن لا يدخل المدينة، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التية بدعائه، فقال موسى: يا رب بأيّ ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام. قال: فكما سمعتَ دعاءَه عليّ فاسمعْ دعائي عليه، [فدعا موسى عليه السلام](٢) أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: «فانْسَلَخَ منها».

---

(١) في «أ» (أعجبته).

(٢) زيادة من نسخة «ب».

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسِلٌ رسولاً فَرَجَا أن يكون هو ذلك الرسول، فلّما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به، وكان صاحب حكمةٍ وموعظة حسنة، وكان قصَد بعض الملوك فلما رجع مرَّ على قتلى بدر، فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمد، فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه، فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله ﷺ، فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت، فنزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: أوعى قال: وعى؟ قال أزكى؟ قال: أبى، قالت: فسألته عن ذلك فقال: خيرٌ أُريدَ بي، فصرف عني فغشي عليه، فلما أفاق قال:

كل عيش وإن تطاول دهرًا ... صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قدْ بدا لي ... في قلال الجبالِ أرعى الوعُولاَ
إنّ يومَ الحسابِ يومٌ عظيمٌ ... شابَ فيه الصغيرُ يوماً ثقيلاً

ثم قال لها رسول الله ﷺ: أنشديني من شعر أخيك، فأنشدته بعض قصائده، فقال لها رسل الله ﷺ: «آمنَ شِعْرُه وكفر قلبه»، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتِنا فانسلخَ منها﴾ الآية[1].

وفي رواية عن ابن عباس: أنها نزلت في البسوس، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعلْ لي منها دعوة، فقال لكِ منها واحدة فما تريدين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجُعلت أجمل النساء في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة، فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أُمُّنَا كلبةً نباحة، والناس يعيِّروننا بها، ادعُ الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات كلها[2]. والقولان الأولان أظهر[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٥٥ ـ ٢٥٧، أسباب النزول ص ٢٦١، الدر المنثور: ٣/٦٠٩.

(٢) أسباب النزول (٢٦١ ـ ٢٦٢)، الدر المنثور ٣/٦٠٨، البحر المحيط: ٤/٤٢٢.

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٤/٤٢٣: «والأوْلى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تُحمل أقاويلهم على التمثيل، لا على الحصر في معين. فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض».

وقال إمام المفسرين، الطبري رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان صالحاً آتاه الله حججه وأدلته، وهي «الآيات»... وجائز أن يكون الذي آتاه الله ذلك: «بلعم»، وجائز أن يكون «أمية» ولا خبر بأي الرجلين المعنّي ـ يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيِّ ذلك، المعنيٌّ به من أيٍ. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونقرّ بظاهر التنزيل، على ما جاء به الوحي من الله» التفسير ١٣/٢٥٩ ـ ٢٦٠.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ لمن عُرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله «واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا». قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسلخ، أي: خرج منها كما تنسلخ، أي: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿فأتْبعَه الشيطانُ﴾، أي: لحقه وأدركه، ﴿فكان منَ الغاوين﴾.

١/١٤١ ﴿ولو شِئْنا لرفعناه بها﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته / بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات. ﴿ولكنّه أخلد إلى الأرض﴾، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد. وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض، وسائر متاعها مستخرج من الأرض. ﴿واتَّبعَ هَواهُ﴾، انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه. وهذه أشدّ آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه [آية][1] من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومَن الذي يَسْلَمُ من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك عن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة عن كعب بن مالك الأنصاري عن

(١) في «ب»: (آياته).

﴿سَاءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذِئْبانِ جائعان أُرسلا في غَنَمٍ بأفسدَ لهَا من حرص المرءِ على المال والشرف لدينه»(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُه كمثلِ الكلبِ إنْ تحملْ عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ﴾، يقال: لهث الكلب يلهث لهثاً: إذا أدلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.

والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتدِ، فالحالتان عنده سواء، كحالتي الكلب: إن طرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن تُرك ورَبضَ كان لاهثاً. قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وفي حال الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: (وإنْ تدعُوهُمْ إلى الهُدَى لا يتَّبعُوكم سواءٌ عليكم أدعوتُموهم أمْ أنتم صَامِتُون) [الأعراف - ١٩٣]، ثم عمَّ بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذلك مَثَلُ القومِ الذين كذْبوا بآياتنا فاقْصُصِ القَصَصَ لعلَّهم يتفكرُون﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنّون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكّون في صدقه كذّبوه فلم يهتدوا تُركوا أو دُعوا.

﴿ساءَ مثلاً القومُ الذينَ كذّبوا بآياتِنا﴾، أي: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثلُ القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرُفع، ﴿وأنفسَهم كانوا يظلِمُون﴾.

﴿من يهدِ اللّهُ فهو المهتدِي ومن يضللْ فأولئكَ هُمُ الخاسرون﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب رقم (٣٠): ٧/٤٦ وقال: هذا حديث صحيح، وصححه ابن حبان ص (٦١٢) من موارد الظمآن، وأخرجه الدارمي في الرقاق: ٢/٣٠٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٥٧ - ٢٥٨. وعزاه ابن رجب الحنبلي أيضاً: للنسائي، وقال: وروي من وجه آخر عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد، وعاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنهم.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/٤٥٦، ٤٦٠. وانظر: «شرح حديث ما ذئبان جائعان» لابن رجب الحنبلي في مجموعة الرسائل المنيرية: ٣/١ وما بعدها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿ولقدْ ذَرأنا لجهنَّمَ كثيراً مِّنَ الجنِّ والإنس﴾ أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومَنْ خلقه الله لجهنم فلاحيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا أبوبكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبومحمد الحسن بن أحمد المخلدي، أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي، حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي، حدثنا حفص بن غياث، عن طلحة بن يحيى، عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «ومايدريكِ؟ إنّ الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم»[1]. وقيل: اللام في قوله «لجهنم» لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم، كقوله تعالى: «فالتقطه آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدواً وحزناً» القصص ٨)، ثم وصفهم فقال: ﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها﴾، أي لا يعلمون بها الخير والهدى. ﴿ولهم أعينٌ لايُبصرون بها﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿ولهم آذانٌ لايسمعون بها﴾ مواعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب، فقال: ﴿أولئك كالأنعام بلْ همْ أضلُّ﴾ أي: كالأنعام في أنّ همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تُميّز بين المضار والمنافع، فلاتقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندةً، مع العلم بالهلاك، ﴿أولئك هم الغافلُون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله الأسماءُ الحُسنَى فادعوه بها﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يَدَّعُون[2] أنهم يعبدون رباً

---

(١) أخرجه مسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . . . برقم (٢٦٦٢): ٤/ ٢٠٥٠، والمصنف في شرح السنة: ١/ ١٤١.
(٢) في «ب»: (يزعمون).

واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: «ولله الأسماء الحسنى فادْعُوه بها». والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبوالحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا أبوعلي إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنّه وِترٌ يحب الوتر»(١).

﴿وذَرُوا الذينَ يُلحدون في أسمائه﴾، قرأ حمزة: «يَلْحَدون» ـ بفتح الياء والحاء حيث كان ـ وافقه الكسائي في النحل، والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد هو: الميل عن [المقصد](٢)، يقال: ألحَد يُلحد إلحاداً، ولحد يلحد لحوداً: إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق، وإدخال ماليس منه فيه، يقال: ألحد في الدين، ولحد، وبه قرأ حمزة.

﴿وذَرُوا الذين يُلحدون في أسمائه﴾: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عمّا هي عليه، فسَمَّوا بها أوثانهم فزادُوا ونقصوا، فاشتقوا اللاّت من «الله»، والعزى من «العزيز»، ومناة من «المنان»، هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يُسَمَّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولاسنة رسول الله ﷺ.

وجملته: أن أسماء الله تعالى على التوقيف / فإنه يُسمى جواداً ولايسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولايسمى رفيقاً، ويسمى عالماً ولايسمى عاقلاً. وقال تعالى: «يُخادعون الله وهو خادعهم» (النساء ١٤٢) وقال عزّ مِنْ قائل: «ومكروا ومكرَ اللّه» (آل عمران ـ ٥٤)، ولا يقال في الدعاء: يامخادع، يامكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: ياالله، يارحمن، يارحيم، ياعزيز، ياكريم ونحو ذلك. ﴿سَيُجْزَوْنَ ماكانوا يعملون﴾ في الآخرة. ١٤/ب

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد: ١١/٢١٤، وفي الشروط وفي التوحيد، ومسلم في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم (٢٦٧٧): ٤/٢٠٦٢، والمصنف في شرح السنة: ٥/٣٠.

(٢) في «ب»: (القصد).

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ١٨٣ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿ومِمَّنْ خلقنا أمةٌ﴾، أي: عصابة، ﴿يهدون بالحقِّ وبهِ يَعْدِلُون﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، وهم المهاجرون والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلَها، ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»[1].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، وهو عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني عمير بن هانيء أنه سمع معاوية رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لاتزال من أمتي أمـةٌ قائمـةٌ بأمـر الله، لايضرُّهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك»[2]. وقال الكلبي: هم من جميع الخلق.

﴿والذين كذَّبوا بآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حيثُ لايعلمون﴾، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من مأمنهم، كما قال: «فأتاهم الله من حيثُ لم يحتسبوا» الحشر - ٢)، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جدَّدوا معصيةً جدَّدْنا لهم نعمة. قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً فلايباغت ولايجاهر، ومنه درج الصبيُّ إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتابَ إذا طواه شيئاً بعد شيء.

﴿وأُملي لهم﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿إنّ كيدي متين﴾، أي: إن أخذي قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل: نزلت في المستهزئين، فقتلهم الله في ليلة واحدة.

---

(١) تفسير الطبري: ١٣/٢٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب رقم (٢٨): ٦/٦٣٢، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...» برقم (١٠٣٧): ٣/١٥٢٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢١٢.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَم يتفكرُوا مابصاحبهم مِّن جِنَّة﴾ قال قتادة ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً، فجعل يدعو قريشاً فَخْذاً فخذاً: يابني فلان، يابني فلان، يحذِّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يُصوِّت إلى الصباح، فأنزل الله تعالى: «أوَلَمْ يتفكروا مابصاحبهم»(١)، محمد ﷺ: ﴿منْ جِنَّة﴾ جنون. ﴿إنْ هو﴾، ماهو، ﴿إلاّ نذيرٌ مُّبين﴾، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال:

﴿أوَلَمْ ينظرُوا في ملكوتِ السمواتِ والأرض وماخلَقَ الله﴾ فيهما ﴿مِن شيء﴾، أي: وينظروا إلى ماخلق الله من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته. ﴿وأنْ عسى أن يكونَ قد اقترَبَ أجلُهم﴾ أي: لعلّ أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصيروا إلى العذاب، ﴿فبأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون. يقول: بأي كتاب غير ماجاء به محمد ﷺ يصدِّقون، وليس بعده نبي ولاكتاب، ثم ذكر علة إعراضهم عن الإيمان فقال:

﴿ومن يُضلِلِ اللّهُ فلا هَادِيَ له ويذَرُهُم﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مرّ قبله، وجزم الراء مردود على «يضلل» وقرأ الآخرون: بالنون ورفع الراء على أنه كلام مستأنف. ﴿في طُغيانِهم يَعْمَهُون﴾، يترددون متحيرين.

قوله تعالى: ﴿يسئلونَكَ عن الساعةِ أيّانَ مُرْسَاها﴾ قال قتادة: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأسرَّ إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: «يسئلونك عن الساعة»(٢) يعني: القيامة، ﴿أيّان مُرْسَاهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: منتهاها. وقال قتادة: قيامها، وأصله الثبات، أي: متى مثبتها؟ ﴿قلْ﴾ يامحمد ﴿إنما علمها عند ربّي﴾ استأثر بعلمها ولايعلمها إلا هو، ﴿لايُجلّيها﴾

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٢٨٩/١٣ بإسناد صحيح إلى قتادة. انظر: الكافي الشاف ص (٦٦).
(٢) أخرجه الطبري: ١٣/ ٢٩٢، ٢٩٨.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾

لايكشفها ولايظهرها. وقال مجاهد: لايأتي بها، ﴿لوقتها إلّا هو، ثقلتْ في السمواتِ والأرض﴾، يعني: ثقل علمها وخفي أمرها على أهلِ السموات والأرض، وكل خفي ثقيل. قال الحسن: يقول إذا جاء ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿لاتأتيكم إلّابغتةً﴾، فجأة على غفلة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبواليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبوالزناد عن عبدالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلايتبايعانه ولايطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحته فلايطعمه، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلايسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[1].

﴿يسألونَكَ كأنّك حَفِيٌّ عنها﴾، أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿قلْ إنّما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾، أن علمها عند الله حتى سألوا محمداً ﷺ عنها.

﴿قلْ لاأملك لنفسي نفعاً ولاضراً إلّا ماشاء الله﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل مكة قالوا: يامحمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه وتربح فيه عند الغلاء؟ وبالأرض التي يريد أن تجدب فترتحل منها إلى ماقد أخصبت؟ فأنزل الله تعالى «قلْ لاأملك لنفسي نفعاً»[2] أي: لاأقدر لنفسي نفعاً، أي: اجتلاب نفع بأن أربح ولاضرّاً، أي دفع ضَرّ بأن أرتحل من أرض تريد أن تجدب إلا ماشاء الله أن أملكه.

﴿ولو كنتُ أعلم الغيبَ لاستكثرت من الخير ومامسني السوء﴾، أي: لو كنت أعلم الخصب والجدب لاستكثرت من الخير، أي: من المال لسنة القحط ﴿ومامسني السوء﴾ أي: الضر والفقر والجوع.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حدثنا أبو اليمان: ١١/٣٥٢، ومسلم في الفتن، باب قرب الساعة (٢٩٥٤): ٤/٢٢٧٠. والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢٦ ـ ٢٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٣).

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

وقال ابن جريج: «قلْ لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرًا» يعني: الهدى والضلالة، (ولو كنت أعلم الغيب) أي: متى أموت، لاستكثرت من الخير، يعني: من العمل الصالح وما مسني السوء.

قال ابن زيد: واجتنبت مايكون من الشر واتقيته.

وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا ومامسني السوء بتكذيبكم. وقيل: وما مسني السوء: ابتداءً، يريد: وما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون. ﴿إنْ أنا إلاّنذيرٌ﴾، لمن لايصدق بما جئت به، ﴿وبشيرٌ﴾، بالجنة، ﴿لقوم يُؤمنون﴾، يصدِّقون.

قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم مِّن نفسٍ واحدة﴾، يعني: آدم، ﴿وجعلَ﴾، وخلق ﴿منها
١٤٢/أ زوجها﴾، يعني: حواء، ﴿ليسكن إليها﴾، ليأنس بها ويأوي إليها / ﴿فلما تغشّاها﴾، أي: واقعها وجامعها ﴿حملتْ حملاً خفيفاً﴾، وهو أول ماتحمل المرأة من النطفة يكون خفيفاً عليها، ﴿فمرت به﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به، لم يثقلها، ﴿فلما أثْقَلَتْ﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها، ﴿دَعَوا الله ربَّهما﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لئن آتيتنا﴾ ياربّنا ﴿صالحاً﴾، أي: بشراً سوياً مثلنا، ﴿لنكوننّ مِنَ الشاكرين﴾، قال المفسرون: فلما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ماالذي في بطنك؟ قالت: ماأدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أو خنزيراً، ومايدريك من أين يخرج؟ من دبركِ فيقتلك، أو من [قُبُلك][1] وينشق بطنك، فخافت حواء من ذلك، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يَزَالاَ في همّ من ذلك، ثم عاد إليها فقال: إني من الله بمنزلة، فإن دعوتُ الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلَكِ ويسهّل عليك خروجه تسمّيه عبدالحارث؟ ـ وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث ـ فذكرت ذلك لآدم، فقال: لعلّه صاحبنا الذي قد علمتِ، فعاودها إبليس، فلم يزل بهما حتى غرَّهما، فلما ولدت سمّياه

(١) في «ب»: (فيك).

عبدالحارث[1].

قال الكلبي: قال إبليس لها: إن دعوتُ الله فولدتِ إنساناً أتسمِّينه بي؟ قالت: نعم، فلما ولدت قال سميه بي، قالت: وماسمك قال الحارث، ولو سمىٰ لها نفسه لعرفته فسمته عبدالحارث.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبدالله، وعبيدالله،

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في تفسير سورة الأعراف: ٨/ ٤٦٠، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبـراهيم عن قتـادة، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ولم يرفعه، ورواه الإمام أحمد في المسند: ١١/٥، والطبراني في الكبير برقم (٦٨٩٥)، والحاكم: ٢/ ٥٤٥، والطبري: ١٣/ ٣٠٩، وعمر بن إبراهيم، صدوق، في حديثه عن قتادة ضعف، قال أحمد: يروي عن قتادة أحاديث مناكير. وقال ابن عدي: يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب. (تهذيب التهذيب).

وساق الحافظ ابن كثير رواية ابن عباس، وعزاها أيضاً لابن أبي حاتم في تفسيره، وكذا ابن مردويه ثم قال: الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

(أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا، فالله أعلم.

(الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبدالأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا بكر بن عبدالله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبدالحارث.

(الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه.

قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمر وعن الحسن ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

وحدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾.

وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا.

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله ـ إلا أننا برئنا من عهده المرفوع والله أعلم.

فأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق بن يسار: عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبِّدهم لله، ويسميهم: عبدالله، وعبيدالله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش، قال فولدت له رجلاً فسماه عبدالحارث ففيه أنزل الله يقول ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ إلى آخر الآية.

وقال العوفي: عن ابن عباس قوله في آدم: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فمرت به﴾ شكت أحملت أم لا؟ ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان مايُولَدُ لكما؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ومات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبدالحارث، فذلك قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ الآية. وقال عبدالله بن أبي سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها﴾ آدم ﴿حملت﴾ فأتاهما إبليس لعنه الله فقـال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لَتُطِيْعَاني أو لأجعلنَّ له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن، =

وعبدالرحمن، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس وقال: إن سرّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبدالحارث، فولدت فسمياه عبدالحارث فعاش. وجاء في الحديث: «خَدعَهُما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض».

وقال ابن زيد: ولد لآدم ولد فسماه عبدالله فأتاهما إبليس فقال لهما: ماسميتما ابنكما؟ قالا: عبدالله ـ وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبدالله فمات ـ فقال إبليس: أتظنان أن الله تارك عبده عندكما، لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر، ولكن أدلكم على اسم يبقى لكما مابقيتما، فسمِّياه عبدشمس. والأول أصح، فذلك قوله:

﴿فلما آتاهما صالحاً﴾، بشراً سوياً **﴿جعلا له شُركَاءَ فيما آتاهما﴾**، قرأ أهل المدينة وأبوبكر: «شِرْكاً» بكسر الشين والتنوين، أي: شركة. قال أبوعبيدة: أي حظاً ونصيباً، وقرأ الآخرون: «شركاء» بضم الشين ممدوداً على جمع شريك، يعني: إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع. أي: جعلا له شريكاً إذ سمِّياه عبدالحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولأن الحارث ربُّهما، فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم

= يخوِّفهما، فسمياه عبدالحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن ـ يخوفهما ـ فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالث فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبدالحارث فذلك قوله تعالى ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية: قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرةً، وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك، سميه عبدالحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فهيبهما فأطاعا.

وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».

ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً، ومنها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وهو الذي لايصدق ولا يكذب لقوله: (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم): وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾، ثم قال: فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس.

وانظر: تفسير الفخر الرازي: ١٥/ ٩٠ ـ ٩٣، الإسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبي شهبة ص (٢٩٢ ـ ٣٠١)، المنهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص (٢٣٦).

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾

العبد على من لايراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لايراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبدالضيف، على وجه الخضوع لاعلى أن الضيف ربه، ويقول للغير: أنا عبدك. وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده، كذلك هذا.

وقوله: ﴿فتعالى اللهُ عمّا يُشرِكُون﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ماسبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لايفعلا ماأتيا به من الإشراك في الاسم.

وفي الأية قول آخر: وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جَعَلَ أولادهما شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم، كماأضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعييرهم بفعل الآباء فقال: «ثم اتخذتم العجل»، «وإذْ قتلتم نفساً» خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوَّدُوا ونصَّرُوا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سمّوا أولادهم عبدالعزى وعبداللاّت وعبدمناة ونحوه. وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حَسَنٌ، لولا قول السلف مثل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء.

قال الله تعالى: ﴿فتعالى اللهُ عمَّا يُشْرِكون﴾.

قوله تعالى: ﴿أيُشرِكُونَ مالاَ يخلقُ شيئاً﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وهم يُخلقون﴾، أي: هم مخلوقون.

﴿ولايستطيعون لهم نصراً﴾ أي: الأصنام لاتنصر من أطاعها. ﴿ولاأنفسَهُمْ ينصرُون﴾: قال الحسن: لايدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ثم خاطب المؤمنين فقال:

(١)

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿**وإنْ تَدْعُوهُم إلى الهُدَى**﴾، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿**لايَتَّبِعُوكم**﴾، قرأ نافع بالتخفيف وكذلك: «يتبعهم الغاوون» في الشعراء (الآية ٢٢٤) وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان، يقال: تبعه تبعاً وأتبعه إتباعاً. ﴿**سواءٌ عليكم أدَعوتُموهم**﴾، إلى الدين، ﴿**أمْ أنتُمْ صَامِتُون**﴾، عن دعائهم لايؤمنون، كما قال: «سواءٌ عليهم أأنذرْتَهم أمْ لم تُنذرْهم لا يُؤمنون» (البقرة -٦) وقيل: «وإن تدعوهم إلى الهدى» يعني: الأصنام، لايتبعوكم لأنها غير عاقلة.

﴿**إنّ الذين تدعُون من دُونِ الله**﴾، يعني الأصنام، ﴿**عبادٌ أمثالُكم**﴾، يريد أنها مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مُسَخَّرون مذلَّلون لِمَا أُريد منهم. قال مقاتل: قوله «عبادٌ أمثالكم» أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة. والأول أصح.

﴿**فادْعُوهم فليستجيبُوا لكم إنْ كنتُم صادقين**﴾، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم، هل يثيبونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة؟ ثم بيّن عجزهم فقال:

﴿**أَلَهُمْ أرْجلٌ يمشونَ بها أمْ لهمْ أيدٍ يَبْطِشُون بها**﴾ قرأ أبوجعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء، ﴿**أمْ لهم أعينٌ يُبْصِرُون بها أمْ لهم آذانٌ يسمعونَ بها**﴾، أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضَّلُون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والآذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿**قل ادْعُوا شُركاءكم**﴾، يامعشر المشركين، ﴿**ثمّ كِيدُون**﴾، أنتم وهم، ﴿**فلاتُنْظِرُون**﴾، أي: لاتمهلوني واعجلوا في كيدي.

قوله: ﴿**إنّ وليِّيَ اللهُ الذي نزَّلَ الكتاب**﴾، يعني القرآن، أي أنه يتولاني وينصرني كما أيدني بإنزال الكتاب، ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لايعدلون

بالله شيئاً فالله يتولاهم بنصره فلايضرهم عداوة من عاداهم . / ١٤٢/ب

﴿والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون﴾ .

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا﴾، يعني الأصنام، ﴿وتراهم﴾ يامحمد ﴿ينظرون إليك﴾، يعني الأصنام، ﴿وهم لايُبصرُون﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه: المقابلة، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، أي: تقابلها. وقيل: وتراهم ينظرون إليك أي: كأنهم ينظرون إليك، كقوله تعالى: «وترى النـاسَ سُكـارَى» (الحج ٢)، أي: كأنّهم سُكارى هذا قول [أكثر][1] المفسرين. وقال الحسن: «وإن تدعوهم إلى الهدى» يعني: المشركين لايسمعوا ولايفعلون ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لايبصرون بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿خُذِ العفوَ﴾، قال عبدالله بن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

ورُوي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ماهذا؟ قال لاأدري حتى أسأله، ثم رجع فقال: إنّ ربَّك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعي خُذْ ماعفا لك من الأموال وهـو الفضـل عن العيال، وذلـك معنى قوله: «يسألونك ماذا ينفقون قلِ العفو» (البقرة ـ ٢١٩)، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات. قوله تعالى: ﴿وأمر بالعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف، وهو كل مايعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمرْ بالعُرف يعني بلاإله إلا الله. ﴿وأَعْرِضْ عَنِ الجاهلين﴾، أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف. وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلاتقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: «وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلون قالوا سلاماً» (الفرقان ـ ٦٣)، وذلك سلام المُتاركة. قال جعفر الصادق: أمـر الله نبيّه ﷺ بمكـارم الأخـلاق، وليس في القـرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري من طريق سفيان بن عيينة عن أبي المرادي: ١٣/٣٠٣، قال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٦٦): «هذا منقطع، وأخرجه ابن مردويه موصولاً من حديث جابر وحديث قيس بن سعد، وزاد في أوله: لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة قال: والله لأمثلنَّ بسبعين منهم ـ فجاء جبريل بهذه الآية، فذكر الحديث».
وانظر: جامع الأصول لابن الأثير: ٢/١٤٣ ـ ١٤٤ مع حاشية المحقق.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد [الجرجاني][1] ثنا أبوالقاسم علي بن أحمد الخزاعي، ثنا الهيثم بن كليب، ثنا أبوعيسى الترمذي، ثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبدالله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولامتفحشاً ولاسَخَّاباً في الأسواق، ولايجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»[2].

ثنا أبوالفضل زياد بن محمد الحنفي ثنا أبوسعيد عبدالملك بن أبي عثمان الواعظ ثنا عماد بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن محمد عن سعيد الحافظ ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن إبراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال»[3].

قوله تعالى: ﴿وإمّا يَنْزَغَنَّكَ منَ الشيطان نَزْغٌ﴾، أي: يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة. وقال عبدالرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية: «خُذِ العفوَ»، قال النبي ﷺ: «كيف يارب والغضب»؟ فنزل: «وإمّا ينزغنَّك منَ الشيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله»[4]، أي: استجرْ بالله ﴿إنّه سميعٌ عليم﴾.

﴿إنّ الذين اتّقوا﴾، يعني المؤمنين، ﴿ذا مسّهمْ طائفٌ مِّنَ الشيطان﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: «طيف»، وقرأ الآخرون «طائف» بالمد والهمز، وهما لغتان كالميت والمائت، ومعناهما: الشيء يُلِمُّ بك. وفرّق قوم بينهما، فقال أبوعمرو: الطائف مايطوف حول الشيء، والطيف: اللمّة والوسوسة. وقيل: الطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللمم والمسّ.

---

(١) في أ: «الجوزجاني».

(٢) أخرجه الترمذي في البر، باب ما جاء في خُلق النبي ﷺ: ٦/١٥٧ ـ ١٥٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضاً في كتابه المفرد «الشمائل المحمدية» ص (٢٠٠) بشرح الباجوري. والإمام أحمد في المسند: ٦/٢٣٦، وإسناده صحيح، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٢٣٧.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف (انظر: مجمع الزوائد: ٨/١٨٨)، والبغوي في مصابيح السنة: ٤/٤١، وهو في مشكاة المصابيح برقم (٧٥٧٠)، وشرح السنة: ١٣/٢٠٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٣٣.

وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

﴿تذكّروا﴾، عرفوا، قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ. وقال مجاهد: هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿فإذا همْ مُّبصرون﴾، أي يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر. قال السدي: إذا زلّوا تابُوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزع عن مخالفة الله.

قوله: ﴿وإخوانُهم يَمُدّونَهم﴾، يعني إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدهم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخٌ من الشياطين. ﴿في الغيّ﴾، أي: يطلبون هم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزيدونهم في الضلالة. وقرأ أهل المدينة: «يُمِدّونَهم» بضم الياء وكسر الميم، من الإمداد، والآخرون: بفتح الياء وضم الميمْ وهما لغتان بمعنى واحد. ﴿ثمّ لايُقْصِرُون﴾، أي: لايكفّون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عمّا يعملون من السيئات، ولاالشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: «ثم لايُقْصِرُون» من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لايُقْصِرون عن الضلالة ولايُبصرونها، بخلاف ماقال في المؤمنين: «تذكروا فإذا هم مُّبصِرُون».

﴿وإذا لم تأتِهم بآية﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قالوا لولا اجْتَبَيْتَها﴾، هلاّ افتعلتها وأنشأتها منْ قِبلِ نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبيتُ الكلام إذا اختلقتُه. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنّتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: لولا اجتبيتها؟ أي: هلاّ أَحدَثْتَها وأنشأتها من عندك؟ ﴿قلْ﴾ لهم يامحمد ﴿إنّما أتبعُ مايُوحى إليّ من ربّي﴾، ثم قال: ﴿هذا﴾، يعني: القرآن ﴿بصَائِرُ﴾، حجج وبيان وبرهان ﴿منْ ربّكم﴾، واحدتها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهتدي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق. ﴿وهُدىً ورحمةٌ لقوم يُؤمنون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا قُرِيءَ القرآن فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا لعلّكم تُرحَمُون﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة. رُوي عن أبي هريرة كانوا يتكلمون / ١/١٤٣

في الصلاة بحوائجهم فأُمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن[1]. وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام[2].

وروى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة[3].

وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار[4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أمَا آن لكم أن تفقهوا وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله[5]؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القراءة في الصلاة.

وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد: إن الآية في الخطبة، أُمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة[6].

وقال سعيد بن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام[7].

وقال عمر بن عبدالعزيز: [يجب][8] الإنصات لقول كلِّ واعظ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٤٥، ٣٤٩، (وفيه: إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف)، وسنن البيهقي: ١٥٥/٢، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٤). وعزاه السيوطي في الدر: (٦٣٦/٣) لابن المنذر، وابن أبي حاكم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وابن أبي شيبة.

(٢) جاء في ذلك آثار عديدة انظرها في: الدر المنثور ٦٣٥/٣، أسباب النزل للواحدي ص (٢٦٤).

(٣) رواه الدار قطني في السنن: ٣٢٦/١ وقال: فيه عبدالله بن عامر: ضعيف. وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١٤/٢، إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام لأبي الحسنات اللكنوي ص (٧٧) طبع الهند.

(٤) أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر عن الكلبي.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٦/١٣، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن مسعود، انظر: الدر المنثور: ٦٣٥/١٣.

(٦) انظر: الطبري: ٣٥٢/١٣، الدر المنثور: ٦٣٧/٣، أسباب النزول ص (٢٦٤). وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١٩٦/٦: «وأما قول من قال إنها نزلت في الخطبة، فضعيف، لأن الآية مكية، والخطبة لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة. وكذلك ما ذكره الزهراوي (؟) من أنها نزلت بسبب فتىً من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ﷺ يقرأ في الصلاة. وانظر: القراءة خلف الإمام للبيهقي.

(٧) أخرجه أبو الشيخ ـ كما في الدر المنثور. وانظر إمام الكلام للكنوي ص (٨١).

(٨) ساقط من «ب».

والأول أولاهـا، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأنّ الآية مكيَّة والجمعة وجبت بالمدينة(١). واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة مايخطب الإمام.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال ثنا أبوالعباس الأصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قُلْتَ لصاحبِكَ أنْصِتْ والإمامُ يخطبُ يوم الجمعة فقد لغوت»(٢).

واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة: فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسرّ. رُوي ذلك عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي.

وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه بالقراءة ولايقرأ إذا جهر، يُروي ذلك عن ابن عمر، وهو قول عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، . وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق.

. وذهب قوم إلى أنـه لايقرأ سواء أسر الإمام أو جهر، يُروى ذلك عن جابر، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي(٣)، ويتمسك من لايرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية، ومن أوجبها قال الآية في غير الفاتحة وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولاينازع الإمام في القراءة.

والدليل عليه: ماأخبرنا أبوعثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، ثنا أبومحمد عبدالجبار بن محمد الجـراحي، ثنا أبوالعباس المحبوبي، ثنا أبوعيسى الترمذي، ثنا هناد، ثنا عبدة بن سليمان، عن

---

(١) وهذا الذي رجحه شيخ المفسرين، الطبريُّ رحمه الله حيث قال في التفسير: ١٣/٣٥٢-٣٥٣: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: أُمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان مَنْ خلفه ممن يأتَمُّ به يسمعه، وفي الخطبة.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وإذا قرأ فأنصتوا» وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الإستماع والإنصات لها، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه، من قارئه، إلا من هاتين الحالتين، على اختلاف في إحداهما، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتَمٍّ به وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله: «إذا قرأ الإمام فأنصتوا» فالإنصاف خلفه لقراءته واجب على مَنْ كان به مؤتماً سامعاً قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ».

وانظر بحثاً نفيساً في هذا لأبي الحسنات اللكنوي في كتابه «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام» ص ٧٥ ومابعدها، وهو تحت الطبع بتحقيقنا.

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الإنصات والإمام يخطب: ٢/٤١٤، ومسلم في الكتاب والباب نفسه برقم (٨٥١): ٢/٥٨٣، والمصنف في شرح السنة: ٤/٥٨٣.

(٣) انظر هذه الآراء مع أدلتها في: التمهيد لابن عبدالبر: ١١/٢٢-٥٦، الاستذكار: ٢/١٦٦-١٩٣، إمام الكلام للكنوي، فقد جمع فيه الأقوال مع الأدلة وناقشها بتجرد، ورجح ما يساعد عليه الدليل.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

محمد بن إسحاق عن مكحول، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: صلىٰ النبيُّ ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال: «إنّي أراكم تقرؤون وراءَ إمامكم»؟ قال: قلنا يارسول الله إيْ والله، قال: «لاتفعلوا إلاّ بأمّ القرآن فإنه لاصلاة لمن لم يقرأ بها»[1].

قوله تعالى: ﴿واذكرْ ربّك في نفسِك﴾، قال ابن عباس: يعني بالذكر: القراءةَ في الصلاة، يريد يقرأ سرّاً في نفسه، ﴿تضرّعاً وخِيْفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إليَّ وتخاف مني هذا في صلاة السرّ. وقوله: ﴿ودُونَ الجهرِ منَ القولِ﴾، أراد في صلاة الجهر جهراً شديداً، بل في خفض وسكون، يسمعُ مَنْ خلفك. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء ﴿بالغُدُوِّ والآصالِ ولاتكنْ مِّنَ الغافلين﴾ أي: بالبُكَرِ والعَشِيَّات، واحد آصال: أصيل مثل يمين وأيمان، وهو مابين العصر والمغرب.

﴿إنّ الـذينَ عِنْدَ ربِّك﴾، يعني: الملائكة المقربين بالفضل والكرامة، ﴿لايَسْتَكْبِرُون﴾، لايتكبرون، ﴿عَنْ عبادته ويُسَبِّحُونَه﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله. ﴿ولَهُ يَسْجُدُون﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنبأنا أحمد بن الحسن الحيري، أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبدالرحيم بن منيب، ثنا يعلى بن عبيد عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السّجدةَ فسجدَ اعتزلَ الشيطانُ يبكي، فيقول: ياويله أُمرَ هذا بالسجود فسجدَ فلَهُ الجنَّةُ وأُمرتُ بالسجود فعصيت فليَ النار»[2].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ثنا أبومنصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبوجعفر

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته: ١/٣٩٠، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة خلف الإمام: ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧، وقال: حديث عبادة حديث حسن، والدار قطني: ١/٣١٨ وقال: إسناد حسن. وصححه الحاكم: ١/٣١٨، وابن حبان ص (١٢٧) من موارد الظمآن، وأخرجه البخاري في جزء القراءة خلف الإمام، والبيهقي أيضاً في القراءة. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣/٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨١): ١/٨٧ والمصنف في شرح السنة: ٣/١٤٧.

محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا محمد بن يوسف، ثنا الأوزاعي، عن الوليد بن هشام، عن معدان قال: سألتُ ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قلت: حدِّثْني حديثاً ينفعني الله به، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَامِنْ عَبْدٍ يسجدُ لله سجدةً إلَّا رفعه الله بها درجةً وحطَّ عنه بها شيئةً»(1).

(1) أخرجه ابن ماجة في الإقامة باب ما جاء في كثرة السجود، برقم (١٤٢٣): ١/ ٤٥٧، والإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٧٦، ٢٨٠. وأخرجه مسلم في الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه برقم (٤٨٨) بلفظ: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك...».

سورة الأنفال

مدنية، وهي خمس وسبعون آية. قيل: إلاَّ سبع آيات من قوله: «وإذ يمكر بك الذين كفروا» إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

﴿يسألونَكَ عنِ الأنفال﴾ الآية، قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «مَنْ أتى مكان كذا فله من النفل كذا ومَنْ قتلَ قتيلاً فله كذا ومَنْ أسر أسيراً فله كذا»، فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين جاؤوا يطلبون ماجعل لهم النبي ﷺ، فقال الأشياخ: كنّا ردْءاً لكم ولو انهزمتم لانحزتم إلينا، فلاتذهبوا بالغنائم دوننا، وقام أبواليَسْر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يارسول الله إنّك وعدت من قتل قتيلاً فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا وإنّا قد قتلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعين، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله يارسول الله مامنعنا أن نطلب ماطلب هؤلاء زهادة في الأجر ولاجبن عن العدو، ولكن كرهنا أن نعري مصافك [فيعطف عليه][1] خيل من المشركين / فيصيبوك، فأعرض ١٤٣/ ب

(١) في «ب»: (فتعطف علينا).

عنهما رسول الله ﷺ. وقال سعيد: يارسول الله إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك، فإن تعط هؤلاء [الذين][1] ذكرت لا يبقى لأصحابك كبير شيء، فنزلت: «يسألونك عن الأنفال»[2].

وقال ابن إسحاق: أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه، فقال مَنْ جمعه: هو لنا، قد كان رسول الله ﷺ نَفَّل كلَّ امرئٍ ماأصاب، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: لولا نحن ماأصبتموه، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ: لقد رأينا أن نقتل العدو وأن نأخذ المتاع ولكنّا خفنا على رسول الله ﷺ كرَّة العدو، وقمنا دونه فما أنتم بأحق به منّا[3].

وروى مكحول عن أبي أمامة الباهليِّ قال: سألت عُبادة بنَ الصامتِ عن الأنفال، قال: فينا مَعْشَرَ أصحاب بدر نزلتْ، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسولُ الله ﷺ بيننا عن بواء ـ يقول على السواء ـ وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين[4].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لما كان يوم بدر قُتِل أخي عمير، وقتلتُ سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجئت به إلى النبي ﷺ، فقلت: يارسول الله إن الله قد شفىٰ صدري من المشركين فهبْ لي هذا السيف. فقال: ليس هذا لي ولالك، اذهب فاطرحه في القَبَض، فطرحته ورجعت، وبي مالايعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلاحي، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يَبْلُ بلائي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول، وقد أنزل الله عزّ وجلّ: «يسألونك عن الأنفال»، الآية. فخفت أن يكون قد نزل فيَّ شيء، فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال: «ياسعد إنك سألتني السيف وليس لي، وإنه قد صار لي الآن فاذهبْ فخذْه فهو لك»[5].

(١) في «ب»: (الذي).

(٢) جاء هذا السبب في نزول الآية، في جملة أحاديث جمع بينها المصنف، رحمه الله، وهي عند الطبري من طرق، بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير الطبري. ١٣/٣٦٧ ـ ٣٦٩، المستدرك: ٢/٣٢٦ ـ ٣٢٧، السنن الكبرى للبيهقي: ٦/٣١٥. وانظر: الدر المنثور: ٤/٦، تفسير ابن كثير: ٢/٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/٦٤١ ـ ٦٤٢ (طبع الحلبي).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٧٠ ـ ٣٧١، والمستدرك: ٢/٣٢٦، والبيهقي: ٦/٢٩٢، المسند للإمام أحمد: ٥/٣٢٢، سيرة ابن هشام: ١/٦٤٢. وقال الهيثمي بعدما عزاه للإمام أحمد: «ورجال الطريقين ثقات». وانظر تعليق الشيخ محمود شاكر على تفسير الطبري في الموضع السابق، وابن كثير: ٢/٢٨٤.

(٥) الطبري: ١٣/٣٧٣ من طرق عدة، وأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، وأبو عبيد في الأموال، وصححه الحاكم: ٢/١٣٢ ووافقه الذهبي. أنظر: تعليق محمود شاكر على الطبري. والقَبَضُ: ـ بالتحريك ـ بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تُقسم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المغانم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء، وماأصاب سرايا المسلمين من شئ أتوه به فمن حبس منه إبرةً أو سِلْكاً فهو غلول[1].

قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لاسؤال طلب. وقيل: هو سؤال طلب. قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عن الأنفال﴾ أي: من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها: نَفَل، وأصله الزيادة، يقال: نفلتك وأنفلتك، أي: زدتك، سُمِّيت الغنائم أنفالاً: لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص.

وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر. وقال عطاء: هي ماشذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال، من عبد أو أمة ومتاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ماشاء.

قوله تعالى: ﴿قل الأنفالُ لله والرّسولِ﴾ [يقسمها كما شاءَ][2] واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسُّدي: هذه الآية منسوخة بقوله عزّ وجلّ: «واعلموا أنّما غَنِمْتُم من شيء فأن لله خُمُسَهُ وللرسول» الآية. كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله عزّ وجلّ بالخُمس[3].

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بيّن الله مصارفها في قوله عزّ وجلّ: «واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمسة وللرسول» الآية[4].

---

(١) الطبري: ١٣/٣٧٨، والبيهقي: ٦/٢٩٣ مطولاً، وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه: الدر المنثور: ٤/٨. وإسناده منقطع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس.

(٢) في «ب»: (يقسمانها كما شاءا)

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة بن سلامة، ص (٤٨ ـ ٤٩)، وهو مروي عن مجاهد وعكرمة. انظر: الطبري: ١٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٣/ ٣٨١، ورجح أنها محكمة غير منسوخة فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه ﷺ، ينفِّل من شاء، فنفَّل القاتل السَّلَبَ وجعل للجيش في البدأة (ابتداء سفر الغزو) الربع، وفي الرجعةِ الثلثَ بعد الخمس. ونفَّل قوماً بعد سُهْمَانهم بعيراً بعيراً في بعض المغازي. فجعل الله تعالى ذكره حُكْمَ الأنفال إلى نبيه ﷺ، ينفِّل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين، وعلى مَنْ بعده من الأئمة أن يستنُّوا بسنته في ذلك.

وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ، لاحتمالها ما ذكرتُ من المعنى الذي وصفتُ. وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا أن لا منسوخ إلا ما أبْطل حكمه حادثُ حكمٍ بخلافه، ينفيه من كل معانيه، أو يأتي خبرٌ يوجب الحجة أن أحدهما ناسخُ الآخر»

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ
إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿فاتّقُوا الله وأصلِحُوا ذاتَ بينكم﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وأطيعُوا الله ورسولَهُ إن كنتُم مُؤْمنين﴾.

﴿إنّما المؤمنون﴾، يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله، إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ﴿الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلوبُهم﴾، خافت وفَرَقَتْ قلوبُهم. وقيل: إذا خُوِّفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه. ﴿وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتْهم إيماناً﴾، تصديقاً ويقيناً. وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادةً ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عزّ وجلّ وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائضَ وشرائطَ وشرائعَ وحدوداً وسُنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومنْ لم يستكملْها لم يستكملِ الإيمان. ﴿وعلى ربِّهم يتوكّلُون﴾، أي: يُفوّضون إليه أمورهم ويثقون به ولايرجون غيره ولايخافون سواه.

﴿الذين يقيمونَ الصلاةَ وممّا رزقْنَاهم يُنفقون﴾.

﴿أولئك هُمُ المؤمنون حقّاً﴾، يعني يقيناً. قال ابن عباس: برئوا من الكفر. قال مقاتل: حقاً لاشك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لايتحقق وجود تلك الأوصاف فيه.

وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل الحسن فقال: أمؤمن أنت؟ فقال: إن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا بها مؤمن، وإن كنتَ تسألني عن قوله: «إنما المؤمنون الذين إذا ذُكرَ الله وَجِلَتْ قلوبُهم» الآية، فلاأدري أمنهم أنا أم لا؟

وقال علقمة: كنّا في سفر فلقينا قوماً فقلنا: مَنِ القوم؟ قالوا: نحن المؤمنون حقاً، فلم ندرِ مانُجيبهم حتى لقينا عبدالله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا، قال: فما رددتم عليهم؟ قلنا: لم نردّ عليهم

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾

شيئاً، قال أفلا قلتم أمِنْ أهل الجنة أنتم؟ إن المؤمنين أهل الجنة.

وقال سفيان الثوري: من زعم أنه مؤمن حقاً أو عند الله، ثم لم يشهد أنه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف.

﴿لهم درجاتٌ عندَ ربِّهم﴾، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن
أنس: سبعون درجة مابين كل درجتين حَضَرُ الفرس المُضَمَّر سبعين / سنةً[1]. ﴿ومغفرةٌ﴾، لذنوبهم 1/144
﴿ورِزْقٌ كريمٌ﴾، حسن يعني ماأعدّ لهم في الجنة.

قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربُّك مِن بيتك بالحقِّ﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله ﴿كما أخرجكَ ربّك﴾ قال المبرد: تقديره الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون.

وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم، كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم.

وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه.

وقيل: هو راجع إلى قوله: «لهم درجات عند ربهم»، تقديره: وَعْدُ [الله][2] الدرجات لهم حقٌّ ينجزه الله عزّ وجلّ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر.

(1) تفسير الطبري: 13/390.
(2) ساقط من «أ».

وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امضِ على الذي أخرجك ربّك.

وقال أبوعبيدة: هي بمعنى القسم مجازاً، والذي أخرجك، لأن «ما» في موضع الذي، وجوابه «يجادلونك»، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربّك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنىٰ «إذ» تقديره: واذكر إذْ أخرجك ربّك.

قيل: المـراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة. والأكثرون على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج من بيتك إلى المدينة بالحق قيل: بالوحي لطلب المشركين **﴿وإنّ فريقاً منَ المؤمنين﴾**، منهم، **﴿لَكَارِهُون﴾**.

﴿يُجادِلُونَك في الحقّ﴾، أي: في القتال، **﴿بعدَ ماتبينّ﴾**، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم تُعْلِمْنَا أنَّا نلقى العدو فنستعدّ لقتالهم، وإنّما خرجنا للعير، فذلك جدالهم بعـدما تبين لهم أنك لاتصنع إلّا ماأمرك، وتبين صدقك في الوعد، **﴿كأنّما يُساقون إلى الموت﴾** لشـدّة كراهيتهم القتـال، **﴿وهم ينـظرُون﴾**، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبيّن. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إيّاه وهم ينظرون.

قولـه تعـالى: **﴿وإذْ يَعِـدُكُمُ الله إحْـدَى الـطّائِفَتين أنّها لكم﴾**، قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحاق والسدي(١): أقبل أبوسفيان من الشام في عير لقريش في أربعين راكباً من كفار قريش، فيهم: عمروبن العاص، ومخرمة بن نوفل الزهري، وفيها تجارة كثيرة، وهي اللطيمة(٢)، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه إليه وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجُوا إليها لعل الله تعالى أن يُنفِلْكُموها، فانتدب الناسَ فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

فلما سمع أبوسفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

---

(١) الطبري: ٣٩٩/١٣ وابن اسحاق في السيرة: ٦٠٧/١ (طبع الحلبي) وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٢٦/٤.
(٢) اللطيمة: العبر التي تحمل الطيب وبز التجارة.

وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت له: ياأخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وخشيت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتمْ عليّ ماأحدثك. قال لها: ومارأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته ألاانفروا ياآل غُدُر[1] لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مَثُل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته ألا انفروا ياآل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت فما بقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها إلا دخلتها منها فِلْقَة[2].

فقال العباس: والله إنّ هذه لرؤيا رأيت! فاكتميها ولاتذكريها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إيّاها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فغدوتُ أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبوجهل قال: ياأباالفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، قال: فلما فرغتُ أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبوجهل: يابني عبدالمطلب متى حدَّثت هذه النبيَّة فيكم؟

قلت: وماذاك؟

قال: الرؤيا التي رأت عاتكة؟

قلت: ومارأت؟

قال: يابني عبدالمطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك ماقالت حقاً فسيكون، وإنْ تمضِ الثلاث، ولم يكن من ذلك شيء، نكتبْ عليكم كتاباً إنكم أكذب أهل بيت في العرب.

فقال العباس: والله ماكان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأتْ شيئاً، ثم

(١) آل: مضاف إلى غُدُرٍ، معدول به من «الغادر» للمبالغة.
(٢) الفِلقة ـ بالكسر ـ الكِسْرة.

تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النّساء وأنت تسمع، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟

قال: قلت والله قد فعلت ماكان مني إليه من كثير، وايم الله لأتعرضنَّ له فإن عاد لأكفينَّكه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ماقال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدُّ.

قال: قلت في نفسي: مالَهُ لعنه الله؟ أكلُّ هذا فرقاً / مني أن أشاتمه؟ قال: فإذا هو قد سمع ١٤٤/ب
مالم أسمع، صوتَ ضمضم بن عمرو، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع بعيره[1] وحوَّل رحله وشق قميصه وهو يقول: يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه، لاأرى أن تدركوها، الغوثَ الغوثَ. قال: فشغلني عنه وشغله عني ماجاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً فلم يتخلف من أشراف قريش أحد إلاّ أن أبالهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.

فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرتْ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث، فقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من أشراف بني بكر، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه.

فخرجوا سراعاً، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، في ليالٍ مضت من شهر رمضان، حتى إذا بلغ وادياً يقال له ذَفِران، فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى عبدالله بن أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العيرَ وإما قريشاً، وكانت العير أحب إليهم، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبوبكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله امْضِ

(١) أي: قطع أنف بعيره.

لما أراك الله فنحن معك فوالله مانقول لك كما قالت بنوإسرائيل لموسى: اذهبْ أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ أيها الناس» وإنّما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يارسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف أن لاتكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لَكأنّك تريدنا يارسول الله؟

قال: أجل،

قال: قد آمنّا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئتنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك [عهوداً ومواثيق][1] على السمع والطاعة، فامضِ يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منّا رجل واحد، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنّا لصبرٌ عند الحرب صدق في اللقاء ولعلّ الله تعالى يُريك منّا ماتقر به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ذلك، ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

قال ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان»، قال ويضع يده على الأرضَ هاهنا وهاهنا، قال فما ماط أحدٌ عن موضع يد رسول الله ﷺ، فذلك قوله تعالى: «وإذْ يعدكمُ الله إحدَى الطائفتين أنّها لكم» أي: الفريقين إحداهما أبوسفيان مع العير والأخرى أبوجهل مع النفير.

﴿وتَوَدُّون﴾، أي: تريدون ﴿أنّ غيرَ ذاتِ الشوكة تكونُ لكم﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال السلاح.

---

(١) في «ب»: (عهودنا ومواثيقنا).

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾

﴿ويُـريـدُ الله أن يُحقَّ الحقَّ﴾ أي يظهـره ويُعْليه، ﴿بكلماته﴾، بأمره إيّاكم بالقتال. وقيل [بعِدَاته][1] التي سبقت من إظهار الدين وإعزازه، ﴿ويقطَعَ دابرَ الكافرين﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني: كفار العرب.

﴿لِيُحقَّ الحقَّ﴾، ليثبت الإسـلام، ﴿ويُبـطلَ البـاطـل﴾، أي: يفني الكفـر ﴿ولـو كَرِهَ المُجرمون﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمَضان.

قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾، تستجيرون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر. رُوي عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لمّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، دخل العريش هو وأبوبكر الصديق رضي الله عنه، واستقبل القبلة ومدّ يده فجعل يهتف بربه عزّ وجلّ: اللّهم أنجزْ لي ماوعدتني، اللّهم إنّك إنْ تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض، فمازال يهتف بربه عزّ وجلّ مادّاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبوبكر رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يانبي الله كفـاك منـاشـدتُـك ربَّـك فإنه سينجز لك ماوعدك. فأنزل الله عزّ وجلّ «إذْ تستغيثُون ربّكم»[2] ﴿فاستجابَ لكم أنّي مُمدّكُم﴾، مرسلٌ إليكم مدداً ورِدءاً لكم، ﴿بألف منَ الملائكة مُرْدِفِين﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب «مردفين» بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً. وقرأ الآخرون بكسر الدال، أي: متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته وردفته بمعنى تبعته.

يُروى أنه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في [صورة][3] الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم[4].

ورُوي أنّ النبي ﷺ لمّا ناشد ربَّه عز وجلّ وقال أبوبكر: إنّ الله منجزٌ لك ماوعدك فخفق رسول

---

(١) في «أ»: (بعداوته).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣): ٣/١٣٨٣ - ١٣٨٥، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٣٧٩.

(٣) في «ب»: (صفة).

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور: ٤/٢٧.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

الله ﷺ خفقة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: «ياأبابكر أتاك نصرُ الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع»[١]

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا عبدالوهاب، ثنا خالد، عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريلُ آخذٌ برأسِ فرسهِ عليه أداةُ الحرب»[٢].

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر، ولم تقاتل الملائكة / في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً[٣]. ١/١٤٥

ورُوي عن أبي أُسيد مالك بن ربيعة قد شهد بدراً أنه قال بعدما ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِّعبَ الذي خرجت منه الملائكة[٤].

قوله تعالى: ﴿وماجعلَه الله﴾، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿إلا بشرى﴾، أي: بشارة ﴿ولِتَطْمئِنّ به قلوبُكم ومَاالنّصرُ إلاّ منْ عند الله إنّ الله عَزيزٌ حكيم﴾.

﴿إذْ يُغشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾، قرأ ابن كثير وأبوعمرو: «يغشاكم» بفتح الياء، «النعاسُ» رفع على أن الفعل له، كقوله تعالى في سورة آل عمران «أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طائفةً منكم» (آل عمران ـ ١٥٤)

---

(١) قطعة من الحديث السابق.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب شهود الملائكة بدراً: ٣١٢/٧.
(٣) رواه الطبراني موقوفاً على ابن عباس. وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي، ضعّفه الأزدي. انظر: مجمع الزوائد: ٨٣/٦.
(٤) عزاه السيوطي لابن مردويه والبيهقي في الدلائل، الدر المنثور: ٣٤/٤.

وقرأ أهل المدينة: «يُغْشِيْكُم» بضم الياء وكسر الشين مخففاً، «النعاسَ» نصب، كقوله تعالى: «كأنّما أُغْشِيَتْ وجوههم»، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشدّداً، «النعاسَ» نصب، على أن الفعل لله عزّ وجلّ، كقوله تعالى: «فغشّاها ما غشى» (النجم ـ ٥٤)، والنعاس: النوم الخفيف. ﴿أمَنَةً﴾ أمناً ﴿منه﴾، مصدر أمنت أمناً وأمنةً وأماناً. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان.

﴿ويُنزِّلُ عليكم منَ السماء ماءً لِّيُطَهِّرَكمْ بهِ﴾، وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر، تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم مُحْدِثين وبعضهم مُجْنِبِينَ، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلُّون مُحْدِثِيْنَ ومُجْنِبِيْنَ، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عزّ وجلّ عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المؤمنون واغتسلوا، وتوضؤوا وسَقَوا الركاب، وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبارَ، ولبَّد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: «ويُنزّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به» من الأحداث والجنابة.

﴿ويُذْهِبَ عنكم رِجْزَ الشيطان﴾ وسوسته، ﴿ولِيَربطَ على قلوبكم﴾ باليقين والصبر ﴿ويُثبِّتَ به الأقدام﴾ حتى لاتسوخ في الرمل بتلبيد الأرض. وقيل: يثبت به الأقدام بالصبر وقوّة القلب.

﴿إذْ يُوحِي ربُّك إلى الملائكةِ﴾، الذين أمدَّ بهم المؤمنين، ﴿أنّي معكم﴾، بالعون والنصر، ﴿فثبِّتُوا الذينَ آمنِوا﴾، أي: قَوُّوا قلوبهم. قيل: ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي: ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين.

وقال مقاتل: أي: بشّروهم بالنصر، وكان المَلَكُ يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم. ﴿سأُلقِي في قلوب الذين كَفَروا الرُّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي، ﴿فاضْرِبُوا فوقَ الأعناق﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو متصل بقوله «فثبّتوا الذين آمنوا»، وقوله: «فوق الأعناق» قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق، وفوق صلة كما قال تعالى: «فإذا لقيتُم الذين كفروا فضربَ الرقاب»، (محمد ـ ٤) وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق. فوق بمعنى: على.

﴿واضْرِبُوا منهم كُلَّ بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف. والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين. قال ابن الأنباري: ماكانت الملائكة تعلم كيف يُقْتل الآدميون، فعلَّمهم الله عزّ وجلّ.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقادر الجرجاني، أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا زهير بن حرب، ثنا عمرو بن يونس الحنفي، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا أبوزميل هو سماك الحنفي ثنا عبدالله بن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذا سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حَيْزُوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السَّوْط فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «صدقتَ، ذلك من مَددَ السماء الثالثة». فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[1]. ورُوي عن أبي داود المازني وكان شهد بدراً قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري[2].

ورَوى أبوأُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: والله، لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف[3].

وقال عكرمة، قال أبورافع مولى رسول الله ﷺ: «كنتُ غلاماً للعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمتْ أمُّ الفضل وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبولهب عدو الله قد تخلّف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر كَبَته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً وكنتُ رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس أنحت القداح، وعندي أم الفضل جالسة، إذْ أقبل الفاسق أبولهب يجرُّ رجليه حتى جلس على طَنَبِ[4] الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم، فقال أبولهب: إليّ يابن أخي فعندك الخبر، فجلس

---

(١) قطعة من حديث ابن عباس الذي أخرجه مسلم. آنفاً. و«حيزوم»: اسم فرس جبريل.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٤/٣٥ ـ ٣٦.

(٣) عزاه السيوطي لأبي الشيخ وابن مردويه ٤/٣٣.

(٤) الطنب: حَبْل الخِباء، والجمع: أطناب.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا
مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

إليه والناس قيام عليه، قال: يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لاشيء والله إن كان إلّا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وايْمُ الله مع ذلك مالُمْتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق بين السماء والأرض، لاوالله ماتليق شيئاً ولايقوم لها شيء، قال أبورافع فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال فرفع أبولهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت
أمُّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة، فأخذتْه فضربتْه به ضربةً / فلقت في رأسه شجة منكرة، ١٤٥/ب
وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيّده؟ فقام مُولّياً ذليلاً فوالله ماعاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته»(١)

ورِوىَ مقسم عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبواليسر، كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان أبواليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر، كيف أَسَرْتَ العباس؟ قال: يارسول الله لقد أعانني عليه رجل مارأيته قبل ذلك ولابعده، هيئتُه كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم»(٢).

﴿ذلك بأنهم شاقُّوا الله﴾، خالفوا الله، **﴿ورسولَه، ومَن يُشاقِقِ الله ورسولَهُ فإنّ الله شديدُ العقاب﴾**.

﴿ذلكم﴾، أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار ببدر، **﴿فذُوقُوه﴾**، عاجلاً، **﴿وأنّ للكافرين﴾**، أي: واعلموا وأيْقِنوا أن للكافرين آجلاً في المعاد، **﴿عذابَ النّار﴾**.

---

(١) رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده حسن بن عبدالله، وثّقه أبو حاتم وغيره، وضعّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ٨٩/٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٥٣/١ وقال الهيثمي في المجمع: ٨٦/٦ «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمَّ، وبقية رجاله ثقات».

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

روى عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالعير ليس دونها شيء، فناداه العباس وهو أسير في وثاقه: لايصلح، فقال رسول الله ﷺ: لِمَه؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك(١).

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا لَقِيتُم الذين كفروا زَحْفاً﴾، أي مجتمعين متزاحمين بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني في القتال: والزحف مصدر؛ لذلك لم يُجْمع، كقولهم: قوم عدل ورضاً. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلى عدوٍ لهم بمرة، فهم الزحف والجمع: الزحوف. ﴿فلا تُولّوهُمُ الأدْبارَ﴾، يقول: فلا تولوهم ظهوركم، أي تنهزموا فإن المنهزم يولى دُبره.

﴿ومَنْ يُوَلِّهم يومئذٍ دُبُرَهُ﴾، ظهره، ﴿إلّا متحرّفاً لقتالٍ﴾، أي: منعطفاً يرى من نفسه الانهزام، وقصده طلب الغرّة وهو يريد الكرة، ﴿أو متحيّزاً إلى فئةٍ﴾، أي: منضماً صائراً إلى جماعة من المؤمنين [يريد](٢) العود إلى القتال. ومعنى الآية: النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلّا على نية التحرّف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون إلى القِتال، فمن ولّى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى: ﴿فقدْ باءَ بغضبٍ منَ الله ومأْواهُ جهنّمُ وبئسَ المصير﴾، واختلف العلماء في هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن لهم فئة يتحيّزون إليها دون النبي ﷺ، ولو انحازُوا لانحازُوا إلى المشركين، فأمّا بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض(٣)، فيكون الفارُّ متحيّزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك.

قال يزيد بن أبي حبيب(٤): أوجب الله النار لمن فرَّ يوم بدر، فلما كان يوم أُحد بعد ذلك قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الأنفال: ٨/٤٧١ ـ ٤٧٢ وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد في المسند: ١/٣١٤.
وعزاه السيوطي: للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ وابن مردويه. (الدر المنثور: ٤/٢٨)

(٢) في «أ»: (يريدون).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١٣/٤٣٧، ورواه مختصراً أبو داود في الجهاد، باب التولي يوم الزحف: ٣/٤٣٩، والحاكم: ٢/٣٢٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وعزاه السيوطي: لعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في الناسخ والمنسوخ، وأبي الشيخ وابن مردويه، (الدر المنثور: ٤/٣٦).

(٤) أخرجه الطبري: ١٣/٤٣٨.

«إنّما استزلَّهُمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسَبُوا ولقدْ عفَا الله عنهم» (آل عمران ـ ١٥٥)، ثم كان يوم حُنين بعده فقال: «ثم ولّيتُم مُّدْبِرين» (التوبة ـ ٢٥) «ثم يتوبُ الله مِنْ بَعْدِ ذلك على مَن يشاء» (التوبة ـ ٢٧).

وقال عبدالله بن عمر: كنّا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا، فقلنا: يا رسول الله نحن [الفرّارون][1]، قال: «بل أنتم الكرّارون، أنا فئة المسلمين»[2].

وقال محمد بن سيرين: لما قُتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إليّ كنت له فئة فأنا فئة كل مسلم[3].

وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولّى منهزماً. جاء في الحديث: «من الكبائر الفِرَارُ من الزحف»[4].

وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عزّ وجلّ: «الآن خَفّفَ الله عنكم» (الأنفال ـ ٦٦) فليس لقوم أن يفروا من [مثلهم][5] فنسخت تلك إلّا في هذه العدة[6] وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا أو يولّوا ظهورهم إلّا متحرفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يُولّوا ظهورهم وينحازوا عنهم[7] قال ابن عباس: «مَنْ فرَّ من ثلاثة فلم يفر، ومن اثنين فقد فرّ»[8].

---

(١) في «أ» (الفارُّون).

(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف: ٥/٣٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد، وأبو داود في الجهاد، باب التولي يوم الزحف: ٣/٤٣٨، وسعيد بن منصور في السنن: ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠، والشافعي في المسند: ٢/١١٦، والحميدي في المسند: ٢/٣٠٢، ومعنى حاصوا حيصة أي: جالوا جولة يغلبون الفرار.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١٣/٤٣٩، ٤٤٠، وفيه: أن عمر لما بلغه قَتْلُ أبي عبيدٍ قال: . . .

(٤) عزاه السيوطي لابن أبي شيبة (الدر المنثور: ٤/٣٨)، وقد ورد في أحاديث كثيرة عدّ الفرار من الزحف كبيرة من الكبائر.

(٥) في «ب»: مثليهم.

(٦) أخرجه الطبري: ١٣/٤٣٩.

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٨٤٣ـ٨٤٤، أحكام القرآن للجصاص: ٤/٢٢٦ـ٢٢٨، شرح السير الكبير للسرخسي: ١/١٢٣ ـ ١٢٥، وراجع: منهج الإسلام في الحرب والسلام، تأليف عثمان جمعة ص (١٥٠ ـ ١٥٤).

(٨) أخرجه الطبري: ١٣/٤٤٠، والشافعي: ٢/١١٦، وسعيد بن منصور في السنن: ٢/٢٠٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرفوعا ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ٥/٣٢٨):

ونقل هنا ترجيح الطبري رحمه الله في أن الآية محكمة غير منسوخة حيث قال في التفسير: ١٣/٤٤٠ ـ ٤٤١: «وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي، قَوْلُ من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرَّم على المؤمنين إذا لقوا العدو، أن يولّوهم الدُّبُر منهزمين إلا لتحرفٍ لقتال، أو لتحيّز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن مَنْ ولّاهم الدبر بعد الزحف لقتالٍ منهزماً بغير نية إحدى الخلّتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده، إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

قوله تعالى: ﴿فلمْ تقتلُوهم ولكنّ الله قتَلَهم﴾، قال مجاهد[1]: سبب هذه الآية أنهم لمّا انصرفُوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلتُ فلاناً ويقول الآخر مثله، فنزلت الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكنّ الله قتلهم [بنصره][2] إيّاكم وتقويته لكم.

وقيل: لكن الله قتلهم بإمداد الملائكة.

﴿ومارَميتَ إذْ رميتَ ولكنَّ الله رمَى﴾، قال أهل التفسير والمغازي: ندب[3] رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، ووردتْ عليهم روايا قريش، وفيهم أسلم، غلامٌ أسود لبني الحجاج، وأبو يسار، غلام لبني العاص بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال لهما: أين قريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب: العقنقل - فقال رسول الله ﷺ لهما: كَمِ القوم؟ قالا: كثير، قال: ما عِدتُهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كلّ يوم؟ قالا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري ابن هشام، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأميّة بن خلف، ونبيه ومُنبّه ابنا الحجاج، وسُهيل بن عمرو. فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[4] فلما أقبلت قريش ورآها رسول الله تصوَّب من العقنقل، وهو الكثيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي، قال لهم: هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها [تحادّك][5] وتُكذّب رسولك، اللّهمَّ فنصرَكَ الذي وعدتَنِي، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: خذْ قبضةً من تراب فارمِهم بها، فلمّا التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفّاً من حصىً عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، وقال: شاهتِ

= وإنما قلنا: هي محكمة غير منسوخة، لما قد بينّا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره - : أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ، وله في غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر يقطع العذر، أو حجة عقل. ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل: (ومن يولِّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئه).

(١) انظر: الدر المنثور: ٤/٣٩.

(٢) في «ب» (بنصرته).

(٣) نَدَبْتُه: بعثتُه ودعوته.

(٤) الأفلاذ: جمع فلذ، والفلذ: جمع فلذة، وهي القطعة؛ وهو استعارة أراد: لباب قريش وأشرافها، لأن الفلذ من أشرف الأعضاء. (من هامش التفسير).

(٥) تحادّك: تعاديك. وفي «أ» تجادل. =

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

الوجوه، فلم يبق منهم مشرك إلّا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء، فانهزموا وردَفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم[1].

وقال قتادة، وابن زيد: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاثَ حصيات فرمَى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم، وقال: شاهتِ الوجوه، فانهزموا، فذلك قوله تعالى: «وما رَميتَ إذْ رميتَ ولكنّ الله رَمَى»، إذْ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاً من/ ١/١٤٦
الحصا إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلّا ويصيبها منه شيء.

وقيل: معنى الآية وما بلَّغْتَ إذْ رميت ولكنّ الله بلّغ.

وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذْ رميت بالحصباء ولكنّ الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا، ﴿وليُبْلِيَ المؤمنينَ منه بلاءً حسناً﴾، أي: ولينعم على المؤمنين نعمةً عظيمةً بالنصر والغنيمة، ﴿إنّ الله سميعٌ﴾ لدعائكم، ﴿عليمٌ﴾ بنيّاتكم.

﴿ذلكمْ﴾ الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن، ﴿وأنّ الله﴾، قيل: فيه إضمار، أي: [واعلموا][2] أن الله ﴿مُوهِنُ﴾، مضعف، ﴿كيدَ الكافرين﴾. قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: «موهِّنٌ» بالتشديد والتنوين، «كيدَ» نَصْبٌ، وقرأ الآخرون «موهِن» بالتخفيف والتنوين إلّا حفصاً، فإنه يضيفه فلا ينوّن ويخفض «كيدِ».

قوله تعالى: ﴿إنْ تستفتِحُوا فقدْ جاءَكُمُ الفتحُ﴾، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأَحِنْهُ الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه[3].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: قال

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٦١٦/١ وما بعدها. (طبع الحلبي)، والمسند للإمام أحمد: ١١٧/١.
(٢) في: «أ»: (وأعلم).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٢٨/١. ومعنى: أَحِنْهُ: أهلكه، والمستفتح: الحاكم على نفسه بهذا الدعاء.

عبدالرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذِ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيَان، حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عمّ أرني أبا جهل، فقلت: يا بن أخي وما تصنع به؟ فقال: عاهدتُ الله عزّ وجلّ إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، فما سرني أني بين رجلين بمكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدَّا عليه مثل الصَّقْرَين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء[1].

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثنى، ثنا ابن أبي عدي، عن سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم: «مَنْ ينظرُ لنا ما صنع أبو جهل»؟ قال: فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى بَرَدَ، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قتلتموه[2].

[قال محمد بن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوه أمر بأبي جهل بن هشام أن يُلتمس في القتلى، فقال: اللّهم لا يعجزنّك، قال فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة أطَّنت[3] قدمه بنصف ساقه. قال: وضربني ابنهُ عكرمةُ على عاتقي، فَطَرَحَ يدي فتعلَّقَتْ بجلدة من جَنْبِي، وأجهضني[4] القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عامَّة يومي، وإني لأسْحبُها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها قدمي، ثم تمطَّيْتُ بها حتى طرحتها، ثم مرّ بأبي جهل وهو عَقِيرٌ معوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثْبته، فتركه وبه رَمَقٌ، فمرَّ عبدالله بن مسعود [بأبي جهل][5] قال عبدالله بن مسعود: وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أعْمَدُ من رجلٍ قتلتموه[6]، أَخْبِرْني لمنِ الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

ورُوي عن ابن مسعود أنه قال: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنمِ مرتقىً صعباً، ثم

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب إذا أكثبوكم فارموهم: ٣٠٧/٧ - ٣٠٨، ومسلم في الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، برقم (١٧٥٢): ١٧٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٢٩٣/٧.

(٣) أطنت قدمه: أطارتْها.

(٤) أجهضني: غلبني واشتدَّ عليَّ.

(٥) من سيرة ابن هشام.

(٦) قال السهيلي في الروض الأنف: ٧٢/٢: «أي: هل فوق رجل قتله قومه؟ وهو معنى تفسير ابن هشام حيث قال: أي ليس عليه عار ...».

احتززت رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا رأس أبي جهل، فقال: آللّهِ الذي لا إله غيره[1]؟ قلت: نعم، والذي لا إله غيره، ثم ألقيته بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله عزّ وجل][2].

وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللّهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت: «إنْ تستفتِحُوا فقدْ جاءكم الفتحُ» أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر[3].

وقال عكرمة: قال المشركون والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله عز وجلّ: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح»[4] أي: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء[5].

وقال أُبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى للمسلمين: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح» أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد، ثنا عبدالرحيم بن منيب، ثنا الفضل بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا؟ فجلس محماراً لونه أو وجهه فقال لنا: قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل، ويحفر له في الأرض ثم يُجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ثم يجعل بفرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب، ما يصرفه عن دينه، والله لَيُتِمَنَّ هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشىٰ إلا الله، ولكنكم تعجلون»[6].

---

(١) قال السهيلي أيضاً: ٢/٧٢: «قول النبي ﷺ: «اللّه الذي لا إله إلا هو» بالخفض ـ عند سيبويه وغيره ـ لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده، وإذا كنت مخبراً قلت: «الله» بالنصب، لا يجيز المبرِّد غيره، وأجاز سيبويه الخفض أيضا، لأنه قَسَم، وقد عرف أن المقسم به مخفوض الباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حرف الجر إلا في مثل هذا الموضع أو ما كثر استعماله جداً، كما روى أن رُؤْبَةَ كان يقول إذا قيل له: كيف أصبحت؟ خير عافاك الله».

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٢/٧١ ـ ٧٢ مع الروض الأنف للسهيلي ١/٦٣٤ ـ ٦٣٦ (طبع الحلبي)، وقد جاءت هذه الرواية في نسخة «ب» بعد قول السدي والكلبي الذي يليها مباشرة، وهو ما وضعناه بين القوسين.

(٣) تفسير الطبري: ١٣/٤٥٣، أسباب النزل للواحدي ص (٢٦٩).

(٤) أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٩).

(٥) تفسير الطبري: ١٣/٤٥١، الدر المنثور: ٤/٤٢.

(٦) أخرجه البخاري بلفظ قريب، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦/٦١٩، وفي مناقب الأنصار: ٧/١٦٤ ـ ١٦٥. وذكره المصنف في مصابيح السنة: ٤/٧٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ٢٣﴾

قوله: ﴿وإنْ تنتهوا﴾، يقول للكفار: إن تنتهوا عن الكفر بالله وقتال نبيّه ﷺ، ﴿فهو خيرٌ لكم وإنْ تعودُوا﴾، لحربه وقتاله، ﴿نَعُدْ﴾ بمثل الواقعة التي وقعت بكم يوم بدر. وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نَعُدْ للفتح لمحمد ﷺ، ﴿ولنْ تغني عنكم فِئَتكم﴾، جماعتكم، ﴿شيئاً ولو كثرتْ وَأَنّ الله معَ المؤمنين﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص «وأَن الله» بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك «لنْ تُغنيَ عنكم فئتكم شيئاً»، وقيل: هو عطف على قوله: «ذلكم وأن الله مُوهِن كيد الكافرين»، وقرأ الآخرون: «وإنَّ الله» بكسر الألف على الابتداء.

قولـه تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسولَهُ ولا تَولَّوا عنه﴾، أي: لا تُعرضوا عنه، ﴿وأنتم تسمعون﴾، القرآن ومواعظه.

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنَا وهم لا يسمعُون﴾، أي: يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون، أي لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكأنهم لم يسمعوا.

قوله تعالى: ﴿إنّ شرَّ الدوابِّ عند الله﴾، أي: شرّ من دبَّ على وجه الأرض [من خلق الله][1] ﴿الصُّمُّ البُكْمُ﴾، عن الحق فلا يسمعونه ولا يقولونه، ﴿الذين لا يعقلُون﴾ أَمْرَ الله عزّ وجلّ، سمّاهم ﴿دواب﴾لقلة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضل»، (الأعراف - ١٧٩) قال ابن عباس: هم نفر من بني عبدالدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ عما جاء به محمد، فقُتلوا جميعاً بأُحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة.

١٤٦/ب / ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأسْمَعَهم سماع التفهم والقبول، ﴿ولو أسمعهم﴾، بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لتولَّوا وهمْ مُعرضُون﴾، لعنادهم وجحودهم الحق

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال الله عزّ وجلّ: « ولو أسمعهم» كلام قصي «لتولّوا وهم معرضون».

قوله تعالى: ﴿ياأيّها الذينَ آمنُوا استجيبُوا لله وللرّسول﴾، يقول أجيبوهما بالطاعة، ﴿إذا دعاكم﴾، الرسول ﷺ، ﴿لِما يُحييكم﴾، أي: إلى ما يُحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان.

وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين.

وقال مجاهد: هو الحق.

وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذلّ.

وقال القتيبي: بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء: «بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون» (آل عمران - ١٦٩).

وروينا أن النبي ﷺ مرّ على أُبيّ بن كعب، رضي الله عنه، وهو يصلي، فدعاه فعجل أُبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله: «ما منعك أن تُجيْبَنِي إذْ دعوتُك؟ قال: كنت في الصلاة، قال: أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لِما يُحييكم﴾؟ [فقال: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلّا أجبت وإن كنت مصلياً»[1]][2].

قوله تعالى: ﴿واعْلمُوا أنّ الله يحولُ بينَ المَرْءِ وقَلْبِه﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ١٣/٤٦٧ بهذا اللفظ، وأخرجه بنحوه الترمذي في فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب: ٨/١٧٨ - ١٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والإمام أحمد في المسند: ٢/٤١٢ - ٤١٣، وأخرجه البخاري بغير هذا السياق في التفسير ٨/١٥٦، وفي فضائل القرآن. وقال المنذري: رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أُبي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
انظر: الكافي الشاف ص (٦٨ - ٦٩) تحفة الأحوذي: ٨/ ١٨٠.

(٢) ما بين القوسين من نسخة «ب».

وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية.

وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل.

وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه.

وقيل: هو أنّ القوم لمّا دُعوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقيل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والجبن جُرْأةً. ﴿**وأنّه إليه تُحشرون**﴾، فيجزيكم بأعمالكم.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله يكثر أن يقول: «**يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثبتْ قلبي على دِينِك**»، قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**القلوبُ بينَ أُصبعين من أصابع الله يُقلّبها**»(1)

﴿**واتّقوا فتنةً**﴾، اختباراً وبلاءً ﴿**لا تُصيبنَّ**﴾، قوله: «لاتصيبن» ليس بجزاء محض، ولو كان جزاءً لم تدخل فيه النون، لكنه [نفي](2)، وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى: «**يا أيها النمل ادْخُلوا مسَاكِنَكم لا يَحطمنَّكُمْ سليمانُ وجنودُه**» (النمل - ١٨) وتقديره واتقوا فتنة إنْ لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحنّك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، معناه إن تنزل لا تطرحك.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم.

قال الحسن: نزلت في عليّ وعمّار وطلحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أُرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل(3).

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في المسند: ٣/١١٢، ٢٥٧، والترمذي بزيادة «كيف شاء» في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن: ٦/٣٤٩، وأخرجه مسلم من رواية عبدالله بن عمرو، في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤): ٤/٢٠٤٥. وذكره البغوي في مصابيح السنة: ١/١٤١.

(2) في «أ» (نهي).

(3) تفسير الطبري: ١٣/٤٧٢ - ٤٧٣ وفيه: نزلت في علي وعمار وطلحة . . .

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل(١).

وقال ابن عباس: أمر الله عزّ وجلّ المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المُنْكَرَ بَيْنَ أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم(٢).

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن سيف بن أبي سليمان، قال: سمعت عديَّ بن عدي الكندي يقول: حدثني مولىً لنا أنه سمع جدي يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله لا يُعذبُ العامّة بعملِ الخاصة حتى يَرَوا المُنْكَر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يُنكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة»(٣). وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً(٤).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرّفَ لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فَليَعُذْ بِهِ»(٥).

قوله ﴿لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة﴾، يعني: العذاب، ﴿واعْلَموا أنّ الله شديدُ العِقاب﴾.

قوله تعالى: ﴿واذْكـروا إذ أنتم قليلٌ مستضعَفُونَ في الأرض﴾، يقول: واذكروا يا معشر

---

(١) تفسير الطبري: ١٣/٤٧٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٣/٤٧٤ دون قوله «يصيب الظالم وغير الظالم».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/١٩٢، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢/٦٦، وعبدالله بن المبارك في الزهد، برقم (١٣٥٢) ص (٤٧٦)، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٦.

(٤) قارن قوله الآخر في الطبري: ١٣/٤٧٥ قال: الفتنة: الضلالة.

(٥) أخرجه البخاري في الفتن، باب تكون الفتنة، القاعد فيها خير من القائم: ١٣/٢٩، وفي الأنبياء، وفي المناقب، وأخرجه مسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، برقم (٢٨٨٦): ٤/٢٢١٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

المهاجرين إذْ أنتم قليل في العدد، مستضعفون في أرض مكة، في ابتداء الإسلام، ﴿**تخافون أن يتخطّفكُمْ النّاس**﴾، يذهب بكم الناس، يعني: كفار مكة. وقال عكرمة: كفار العرب: وقال وهب: فارس والروم، ﴿**فآواكم**﴾، إلى المدينة، ﴿**وأيّدكم بنصره**﴾، أي: قوّاكم يوم بدر بالانصار. وقال الكلبي: قوّاكم يوم بدر بالملائكة، ﴿**ورزقكمْ مِّنَ الطّيباتِ**﴾، يعني: الغنائم، أحلّها لكم ولم يُحلّها لأحدٍ قبلكم، ﴿**لعلّكم تشكرُون**﴾.

﴿**يا أيّها الذين آمنُوا لا تَخُونوا الله والرّسولَ**﴾، قال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه، حتى يبلغ المشركين[1].

وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية في أبي لبابة، هارون بن عبد المنذر الأنصاري، من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبدالمنذر، وكان مناصحاً لهم، لأن ما له وولده وعياله كانت
١٤٧/أ عندهم، فبعثه/ رسول الله ﷺ، وآتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة أنه الذبح، فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب اللهُ عليَّ فلما بلغ رسول الله ﷺ خبرُه قال: أمالو جاءني لا ستغفرتُ له فأما إذ فعل ما فعل فإني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام، لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: يارسول الله إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله، قال النبي ﷺ: «يجزيك الثُلُث فتصدق به»، فنزلت فيه «لا تخونوا

(١) الطبري: ١٣/٤٨٣.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

الله والرسول»[1]. ﴿وتخونُوا أماناتِكم﴾، أي: [ولا تخونوا أماناتكم][2]، ﴿وأنتم تعلمون﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم، من الإشارة إلى الحلق، خيانةٌ.

قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

وقال ابن عباس: لاتخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا أمانتكم.

قال ابن عباس: هي ما يخفَى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله عليها.

قال قتادة: اعلموا أنّ دين الله أمانة فأدوا إلى الله عزّ وجلّ ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

﴿واعْلَموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾، قيل: هذا أيضاً في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفاً عليهم.

وقيل: هذا في جميع الناس. أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي ـ إملاءً ـ وأخبرنا أبوبكر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، قالا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني أنا محمد بن محمد بن [رَزْمُويْه][3] حدثنا يحيى بن محمد بن غالب، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا عبدالله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ أُتي بصبي فقبَّله وقال: «أما إنّهم مَبْخَلَةٌ مجْبَنَةٌ وإنّهم لَمِنْ ريحانِ الله عزّ وجلّ»[4].

﴿وأنّ الله عنده أجرٌ عظيم﴾، لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته.

قولـه عزّ وجـلّ: ﴿يـا أيّها الذين آمنوا إن تتّقُوا الله﴾، بطاعته وترك معصيته، ﴿يجعلْ لكم

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨١/١٣، سيرة ابن هشام: ٢٣٧/٢ ـ ٢٣٨، أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٩ ـ ٢٧٠)، الدر المنثور: ٤٨/٤ ـ ٤٩.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) في «ب» (ذرقويه).

(٤) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٥/١٣، وفيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ، وللحديث شواهد يتقوى بها، عند أحمد: ٤٠٩/٦، والترمذي في البر والصلة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

فُرْقاناً﴾، قال مجاهد: مخرجاً في الدنيا والآخرة.

وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً في الدين من الشبهات.

وقال عكرمة: نجاة أي يفرّق بينكم وبين ما تخافون.

وقال الضحاك: بيانًا. وقال ابن إسحاق: فصلًا بين الحق والباطل يُظهر الله به حقكم ويطفيء باطل من خالفكم. والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان. ﴿**ويُكفِّرْ عنكم سيئاتِكم**﴾، يمح عنكم ما سلف من ذنوبكم، ﴿**ويغفْر لكم والله ذُو الفضل العظيم**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وإذْ يمكرُ بكَ الذين كفروا**﴾، هذه الآية معطوفة [على قوله][1]: ﴿**واذكروا إذ أنتم قليل**﴾، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا، وإذا قالوا اللهم، لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة، ولكن الله ذكَّرهم بالمدينة كقوله تعالى «**إلّا تنصروه فقدْ نصرَه الله**» (التوبة آية ٤٠) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير:

أنّ قريشاً فَرِقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت رؤوسهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو سفيان، وطعيمة بن عدي، وشيبة بن ربيعة، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم، ولن تَعْدَمُوا مني رأياً ونصحاً، قالوا: ادخل فدخل، فقال أبو البختري: أمّا أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيتٍ، وتشدوا وثاقه، وتسدّوا باب البيت غير كُوَّةٍ تلقون إليه طعامه وشرابه، وتربّصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه، كما هلك من كان قبله من الشعراء. قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي غلّقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم، قالوا: صدق الشيخ، فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي: أمّا أنا فأرى أن تحملوه على بعير تخرجوه من أظهركم فلا

(١) في «ب»: (على ما قبلها).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

يضركم ما صنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه، فقال ابليس: ما هذا لكم برأي تعتمدون عليه، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميل قلوب قوم ثم يسيرُ بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ: فقال أبو جهل والله لأشيرنَّ عليكم برأي ما أرى غيره إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرّق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته، فقال إبليس: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، القول ما قال لا أرى رأياً غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له. فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له: تَسجَّ ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: «إنّا جعلنا في
أعناقهم أغلالاً» إلى قوله «فهم لا يبصرون» (سورة يس ٨-٩، / ومضى إلى الغار من ثور هو ١٤٧/ب
وأبوبكر، وخلف علياً بمكة حتى يُؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون علياً في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثاً، ثم قدم المدينة، ذلك قوله تعالى: «وإذْ يمكرُ بكَ الذي كفروا»[1].

﴿لِيُثْبِتوك﴾، ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك، ﴿أو يقتلُوك أو يُخرجُوك ويمكرُون ويمكرُ الله﴾، قال الضحاك: يصنعون ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق. وقيل: يجازيهم جزاء المكر ﴿والله خيرُ الماكرين﴾.

﴿وإذا تتلى عليهم آيـاتُنا قالوا﴾، يعني النضر بن الحارث، ﴿قدْ سمعنا لو نشاءُ لَقُلْنَا مثلَ

(١) انظر: الطبري: ١٣/٤٩٦ وما بعدها مع تعليق الشيخ محمود شاكر، مجمع الزوائد: ٧/٢٧، الدر المنثور ٤/٥١ - ٥٢.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا﴾، وذلك أنه كان يختلف تاجراً إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار، وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا[1]، ﴿إنْ هذا إلّا أساطيرُ الأولين﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماؤهم وما سطر الأولون في كتبهم. والأساطير: جمع اسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم سطرت أي كتبت[2].

قوله تعالى: ﴿وإذْ قالوا اللّهم إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبدالدار[3].

قال ابن عباس: لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إنْ هذا إلا أساطير الأولين ـ أي: ما هذا إلا ما سطره الأولون في كتبهم ـ فقال له عثمان بن مظعون رضي الله عنه: اتق الله فإن محمداً يقول الحق، قال: فأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله، قال وأنا أقول لا إله إلا الله، ولكن هذه بنات الله، يعني الأصنام، ثم قال: اللّهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك ـ «والحق» نصب بخبر كان، وهو عمادٌ وصِلَةٌ ـ ﴿فأمطرْ علينا حجارةً منَ السماء﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أوِ ائْتنا بعذابٍ أليم﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: «سأل سائل بعذاب واقع»[4]. (المعارج ـ ١).

وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر[5].

قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثةً صبراً من قريش: طُعيمة بن عدي،

(١) انظر: الطبري: ١٣/٥٠٣ ـ ٥٠٤، أسباب النزول للواحدي ص (٢٧٠)، المدر المنثور: ٤/٥٥.
(٢) انظر: الطبري: ١١/٣٠٨ ـ ٣١٠، ١٣/٥٠٣.
(٣) تفسير الطبري ١٣/٥٠٥ ـ ٥٠٦، الدر المنثور ٤/٥٥.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٨/٢٧٧.
(٥) الدر المنثور: ٨/٢٧٨.

وعقبة بن أبي مُعيط، والنضر بن الحارث[1].

وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبيدالله بن معاذ، ثنا أبي، ثنا شعبة، عن عبدالحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطرْ علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: **﴿وما كان الله ليُعَذِّبهمَ وأنتَ فيهم وما كانَ الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألاّ يعذِّبهُم الله﴾**[2].

قوله تعالى: **﴿وما كان الله لِيُعَذِّبهَم وأنت فيهم﴾**، اختلفوا في معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمةً ونبيُّها معها، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسم: «وإذْ قالوا اللّهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ منْ عندك» الآية، وقالوا[3] «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» ثم قال رداً عليهم: «ومَا لهم ألاّ يعذبهم الله»؟ وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون «وهم يصدون عن المسجد الحرام»[4].

وقال الآخرون: هذا كلام مسأنف يقول الله عزّ وجلّ إخباراً عن نفسه: «وما كان الله ليعذبهم».

واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاك وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم، قالوا: أُنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: «وما كان الله مُعذِّبَهم وهم يستغفرون»، ثم خرج أولئك من بينهم فعُذِّبوا، وأَذِنَ الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/٣٧٢، وأبو عبيد في الأموال (١٥٤) (طبع قطر) من طريق هشيم عن أبي بشر، وفيه: مطعم بن عدي بدلاً من طعيمة ثم قال: هكذا حديث هشيم، فأما أهل العلم بالمغازي فينكرون مقتل مطعم بن عدي، يقولون: مات بمكة موتاً قبل بدر، وإنما قتل أخوه طعيمة بن عدي، ولم يقتل صبراً، قتل في المعركة. ومما يصدِّق قولهم الحديث الذي ذكرناه عن الزهري أن النبي ﷺ قال لجبير بن مطعم ـ حين كلمه في الأسارى ـ: شيخ لو كان أتانا لشفعناه ـ يعني أباه مطعم بن عدي ـ فكيف يكون مقتولاً يومئذ، والنبي ﷺ يقول فيه هذه المقالة؟ وأما مقتل عقبة والنضر: فلا يختلفون فيه. (الأموال لأبي عبيد ص ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق ٨/٣٠٨.

(٣) جاء السياق في الطبري هكذا: «وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم: «وما كان الله ليعذبهم . . » وهو أتمّ.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ١٣/٥١٢ ـ ٥١٣.

(٥) الطبري: ١٣/٥١٠ ـ ٥١١

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر. فقال: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»[1]، يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى: «وما لهم ألّا يعذبهم الله»، فعذّبهم الله يوم بدر.

وقال أبو موسى الأشعري: كان فيكم أمانان «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»، «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فأمّا النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة[2].

وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك غفرانك[3]

وقال يزيد بن رومان: قالت قريش إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا غفرانك اللهم، فقال الله عز وجل «وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»[4].

وقال قتادة والسدي: معناه: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون، ولو أنهم أقرُّوا بالذنب، واستغفروا، لكانوا مؤمنين[5].

وقيل: هذا دعاء إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة، كالرجل يقول لغيره لا أعاقبك وأنت تطيعني، أي أطعني حتى لا أعاقبك.

وقال مجاهد وعكرمة: وهم يستغفرون أي يُسْلِمون. يقول: لو أسلموا لما عُذّبوا[6]. وروى الوالبي عن ابن عباس: أي وفيهم من سبق له من الله أن يسلم ويؤمن ويستغفر[7]، وذلك مثل: أبي سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام وغيرهم.

---

(١) الطبري: ٥١١/١٣.
(٢) أخرجه الترمذي في التفسير: ٤٧٢/٨ - ٤٧٣ مرفوعاً وقال: «هذا حديث غريب وإسماعيل بن إبراهيم يضعّف في الحديث».
وأخرجه الطبري موقوفاً على أبي موسى: ٥١٣/١٣.
(٣) الطبري: ٥١١/١٣.
(٤) الطبري: ٥١٢/١٣.
(٥) الطبري: ٥١٤/١٣.
(٦) الطبري: ٥١٥/١٣.
(٧) الطبري: ٥١٦/١٣.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

وروى عبدالوهاب عن مجاهد: وهم يستغفرون أي وفي أصلابهم مَنْ يستغفر[1].

قوله تعالى: ﴿وما لهم ألاّ يُعذِّبَهم الله﴾ أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، ﴿وهم يصدُّون عن المسجدِ الحرام﴾، أي: يمنعون المؤمنين/ من الطواف بالبيت. ١/١٤٨

وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله «وما لهم ألَّا يعذبهم الله» أي: بالسيف.

وقيل: أراد بالأول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة.

وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: «وما كان الله ليعذبهم» منسوخة بقوله تعالى: «وما لهم ألّا يعذبهم الله»[2].

﴿وما كانوا أولياءه﴾، قال الحسن: كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام، فردّ الله عليهم بقوله: «وما كانوا أولياءَه» أي: أولياء البيت، ﴿إنْ أولياؤه﴾ أي: ليس أولياء البيت، ﴿إلا المتّقون﴾، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾.

قولـه تعالى: ﴿وما كانَ صلاتُهم عندَ البيتِ إلَّا مُكَاءً وتَصْدِيَةً﴾، قال ابن عباس والحسن:

---

(١) قال الطبري رحمه الله: ١٣/٥١٧ «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قولُ من قال: تأويله: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها ـ ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرّون عليه، فهم للعذاب مستحقون ثم قيل: ﴿وما لهم ألّا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام﴾ بمعنى: وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام»؟.

(٢) قال الإمام الطبري، رحمه الله: «لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: «ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام»، الآية، لأن قوله جل ثناؤه ﴿وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهي» التفسير: ١٣/٥١٨.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

المكاء: الصفير، وهو في اللغة اسم طائر أبيض، يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلَّا صوت مكاء، والتصدية التصفيق.

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون[1].

قال مجاهد: كان نفر من بني عبدالدار يُعارضون النبي ﷺ في الطواف، ويستهزؤون به، ويُدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون. فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق. والتصدية: الصّفير، ومنه الصدىٰ الذي يسمعه المصوت في الجبل.

قال جعفر بن ربيعة: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن قوله عزّ وجلّ «إلا مكاء وتصدية» فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيراً[2].

قال مقاتل: كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن شماله فيصفقان ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته، وهم من بني عبدالدار[3].

قال سعيد بن جبير: التصدية صدُّهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وعن الدين، والصلاة. وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين ياءً، كما يقال تظنيت من الظن، وتقضّى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم أُمروا بالصلاة في المسجد فجعلوا ذلك صلاتهم. ﴿فَذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾.

قوله تعالى ﴿إنّ الذي كفروا يُنفقون أموالَهم ليَصدُّوا عن سبيل الله﴾، أي: ليصرفوا عن دين الله.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المُطْعِمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلًا: أبو جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحرث، وحكيم بن حزام، وأُبّي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل،

---

(١) الطبري: ١٣/٥٢٢.

(٢) الطبري: ١٣/٥٢٢.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤/٦١ (عن ابن عباس).

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

والعباس بن عبدالمطلب، وكلهم من قريش، كان يطعم كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يوم عشر جزر[1].

وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية[2].

قال الله تعالى: ﴿**فسيُنفِقونَها ثم تكون عليهم حسرةً**﴾، يريد: ماأنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخـرة، ﴿**ثم يُغْلَبُـون**﴾، ولا يظفـرون، ﴿**والـذين كفـروا**﴾، منهم، ﴿**إلى جهنَّم يُحشرون**﴾، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

﴿**لِيَميزَ الله الخبيث**﴾ [في سبيل الشيطان][3] ﴿**مِنَ الطّيبِ**﴾، يعني: الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران.

وقال الكلبي: العمـل الخبيث من العمـل الصالح الطيب، فيثيب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار.

وقيل: يعني: الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله.

﴿**ويجعل الخبيثَ بعْضَه على بعض**﴾، أي: فوق بعض، ﴿**فَيَركمهُ جميعاً**﴾، أي: يجمعه. ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنّمَ ﴿**أولئك هُمُ الخاسرون**﴾، ردّه إلى قوله: ﴿**إنّ الذين كفرُوا يُنفقونَ أموالَهم . . . أولئكَ همُ الخاسرون**﴾ الذين خسرت تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة.

﴿**قـلْ للذين كفروا إن ينتهوا**﴾، عن الشرك ﴿**يُغْفَر لهمْ ما قدْ سلفَ**﴾، أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿**وإن يعودُوا فقدْ مضتْ سُنّةُ الأولين**﴾، في نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيدٌ لم يعجزْ عن هدم ما قبله من كفر، أرجو أن لا يعجزَ عن هدم ما بعده من ذنب.

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٦٧١، أسباب النزول للواحدي، ص (٢٧١).
(٢) انظر: الطبري: ١٣/٥٣١، أسباب النزول ص (٢٧٢)، الدر المنثور: ٤/٦٣.
(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ
وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ
عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

﴿وقاتلوهم حتّى لا تكونَ فتنةٌ﴾ أي: شرك. قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه **﴿ويكونَ الدينُ كُلُّهُ لله﴾**، أي: ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه، **﴿فإن انتهوا﴾**، عن الكفر، **﴿فإنّ الله بما يعملون بصير﴾**، قرأ يعقوب «تعملون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿وإن تولَّوا﴾، عن الإيمان وعادوا إلى قتال أهله، **﴿فاعْلموا أنّ الله مولاكم﴾**، ناصركم ومعينكم، **﴿نِعْمَ المولى ونِعْمَ النّصير﴾**.

قوله تعالى: **﴿واعْلموا أنّما غَنِمتُم من شيء فَأَنَّ للهِ خُمُسَه﴾** الآية. الغنيمة والفيء: اسمان لمالٍ يصيبه المسلمون من أموال الكفار. فذهب جماعة إلى أنهما واحد، وذهب قوم إلى أنهما مختلفان: فالغنيمة: ما أصابه المسلمون منهم عُنْوةً بقتال، والفيء: ما كان عن صلح بغير قتال. فذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية حكم الغنيمة فقال: «فأن لله خُمُسَهُ وللرّسول»[(1)].

فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: «لله» افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أنّ سهماً من الغنيمة لله مفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عزّ وجلّ. وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا: سَهْمُ الله وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عزّ وجّل، «وللرسول ولذي القُرْبَى واليتامَى والمساكينِ وابنِ السّبيل».

قال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم لله: فيصرف إلى

---

(١) انـظر: الـطبري: ١٣/٥٤٥ ـ ٥٤٨، القرطبي: ٨/١ وما بعدها، أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٨٥٥ وما بعدها، أحكام القرآن للجصاص: ٤/٢٢٩ وما بعدها، الخراج لأبي يوسف: ص (١٩ ـ ٣٠)، الخراج ليحيى بن آدم: ص ١٨ ـ ٤٥، الأموال لأبي عبيد ص (٢٨) وما بعدها. ففيها تفصيل لآراء العلماء والمفسرين في قسمة الفيء والغنيمة.

الكعبة. والأول أصح، أنَّ خُمُس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم، سهم كان لرسول الله ﷺ، في حياته، واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي رحمه الله.

وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبيِّ ﷺ في الكراع والسلاح.

وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصْناف.

قوله: ﴿ولذي القربى﴾ أراد أن سهماً من الخمس/ لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ، ١٤٨/ب
واختلفوا فيهم، فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة.

وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم.

وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبدشمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، انبأنا الربيع، أنبأنا الشافعي، أنبأنا الثقة، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط منه أحداً من بني عبدشمس ولا بني نوفل شيئاً[1].

وأخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي، أنا مطرف بن مازن عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: لمّا قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيته أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا أو منعتنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبّك

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١١٢/٢. وانظر: البخاري ـ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: ٤٨٤/٧، والمصنف في شرح السنة: ١٢٦/١١.

بين أصابعه»[1].

واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟.

فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي.

وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله وسهم ذوي القربى مردُودَان في الخمس، وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل.

وقال بعضهم: يُعطى للفقراء منهم دون الأغنياء.

والكتاب والسنة يدلان على ثبوته، والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفضّل فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبدالمطلب مع كثرة ماله، فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطى القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعُطى الرجل سهمين والأنثى سهماً واحداً.

قوله: ﴿**واليتامى**﴾ وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم، الذي لا أب له، إذا كان فقيراً، و ﴿**المساكين**﴾ هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، ﴿**وابن السبيل**﴾ هو المسافر البعيد عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم، وللرّاجِل سهم واحد، لِما:

أخبرنا: أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن، أنا عبدالله بن يوسف أنا أبو سعيد بن الأعرابي ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم: سهماً له وسهمين لفرسه»[2] وهذا قول أكثر أهل العلماء وإليه ذهب الثوري، والأوزاعي، ومالك، وابن المبارك، والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد.

---

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ٢/١١١، وأبو داود في الخراج والإمارة، باب في بيان مواضع قسم الخمس: ٤/٢٢٠ - ٢٢١، والنسائي في قسم الفيء: ٧ / ١٣٠ - ١٣١، وابن ماجة في الجهاد، باب قسمة الخمس: ٢/٩٦١، والمصنف في شرح السنة: ١١/١٢٥ - ١٢٦، الطبري في التفسير: ١٣/٥٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب سهام الفرس: ٦/٦٧، ومسلم في الجهاد والسير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين برقم (١٧٦٢): ٣/١٣٨٢، والمصنف في شرح السنة: ١١/١٠١.

ويُرْضخ[1] للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة: يتخيَّر الإمام في العقار: بين أن يقسمه بينهم، وبين أن يجعله وقفاً على المصالح.

وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول.

ومن قتل مشركاً في القتال يستحق سَلَبَهُ من رأس الغنيمة، لِما رُوي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سَلَبُهُ»[2]. والسَّلَبُ: كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح، وفرسه الذي هو راكبه.

ويجوز للإمام أن ينفِّل بعض الجيش من الغنيمة، لزيادة عناءٍ وبلاء يكون منهم في الحرب، يَخُصُّهُم به من بين سائر الجيش ويجعله أسوة الجماعة في سهمان الغنيمة:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان ينفِّل بعض من يبعثُ من السرايا لأنفسهم خاصة، سوى قسم عامة الجيش[3].

ورُوي عن حبيب بن مَسْلَمَة الفِهريِّ، قال: شهدت النبي ﷺ نفَّل الرُّبُع في البَدأة والثُلث في الرجعة[4].

واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟ فقال قوم: من خمس الخمس، سهم النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «مالي مما أفاء الله عليكم إلّا

(١) الرَّضْخُ: العطيَّة القليلة.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم» ٨/٣٤-٣٥، وأخرجه أيضاً في الجهاد، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب استحقاق سلب القتيل: (١٧٥١): ٣/١٣٧٠، والمصنف في شرح السنة: ١١/١٠٥ - ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في فرض الخُمس، باب ومن الدليل على أن الخُمس لنوائب المسلمين: ٦/٢٣٧، ومسلم في الجهاد والسير، باب الأنفال، برقم (١٧٥٠): ٣/١٣٦٩) والمصنف في شرح السنة: ١١/١١٢.

(٤) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب فيمن قال: الخمس قبل النفل: ٤/٥٧، والترمذي في السير، باب في النفل: ٥/١٧٦، من حديث عبادة، وقال: حديث حسن، وقال: وفي الباب عن ابن عباس وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد وابن عمر وسلمة بن الأكوع، وأخرجه ابن ماجة في النفل برقم (٢٨٥٢): ٢/٩٥١ - ٩٥٢. قال في الزوائد: إسناده حسن وصححه ابن حبان برقم (١٦٧٢) ص (٤٠٣) من موارد الظمآن، أخرجه سعيد بن منصور في السنن: ٢/٢٦٢، والإمام أحمد في المسند: ٤/١٦٠.

الخُمسَ والخُمسُ مردُودٌ فيكم»(١).

وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق.

وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقاتل. وأمّا الفيء: وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤدونه، ومالُ الجزية، وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة، أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء.

ومال الفيء كان خالصاً لرسول الله ﷺ في حياته، قال عمر رضي الله عنه: إنّ الله قدْ خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره(٢)، ثم قرأ: «وما أفاء الله على رسوله منهم» إلى قوله: «قدير» «الحشر ـ ٦»، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عزّ وجلّ.

واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان: أحدهما، للمقاتِلة الذين أُثبِتَتْ أساميهم في ديوان الجهاد، لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين، ويُبدأ بالمقاتِلة فيُعْطَوْن منه كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلف أهل العلم في تخميس الفيء: فذهب الشافعي إلى أنه يُخَمَّس خمسه لأهل الغنيمة، على خمسة أسهم. وأربعةُ أخماسه للمقاتلة وللمصالح.

وذهب الأكثرون: إلى أن الفيء لا يُخمّس، بل مصرفُ جميعه واحد، / ولجميع المسلمين فيه حق: ١/١٤٩

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العُذافِري، أنا إسحاق الدَّبري، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان: أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما على وجه الأرض

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب الإمام يستأثر بشيء من الفيء لنفسه بلفظ آخر: ٦٢/٤، والنسائي في الفيء: ١٣١/٧ ـ ١٣٢، والإمام أحمد في المسند: ١٢٨/٤، ٣١٦/٥، وعزاه في الدر المنثور: ٦٧/٤ لابن أبي حاتم.

(٢) جاء ذلك في روايات صحيحة كثيرة مطولة ـ ساقها السيوطي في الدر المنثور: ١٠١/٨ ـ ١٠٣.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

مسلم إلّا له في هذا الفيء حق، إلّا ما ملكت أيمانكم»[1].

وأخبرنا أبو سعيد الطاهري أنبأنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنبأنا محمد بن زكريا العذافري أنبأنا أبو إسحاق الدبري ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إنّما الصدقات للفقراء والمساكين» حتى بلغ «عليم حكيم» «التوبة ـ ٦٠» فقال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: «واعْلموا أنّما غَنِمْتُم منْ شيء فأنَّ لله خمسه» حتى بلغ «وابن السبيل»، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» حتى بلغ «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا» «الحشر ـ ٧ ـ ٩» ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، فلئن عشت، فليأتينَّ الراعي وهو بِسَرْوِ حِمْيَر نصيبه منها، لم يعرق فيها جبينه»[2].

قوله تعالى: ﴿إنْ كنتُم آمنتم بالله﴾، قيل: أراد «اعْلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خُمسَه وللرسول» يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم آمنتم بالله ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾، أي: إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله: «يسألونك عن الأنفال» ﴿يوم الفرقان﴾، يعني يوم بدر، فرّق الله بين الحق والباطل وهو ﴿يوم التقى الجمعان﴾، حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿والله على كل شيء قدير﴾، على نصركم مع قلّتكم وكثرتهم.

﴿إذْ أنتم﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿بالعُدْوَةِ الدنيا﴾، أي: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والدنيا. تأنيث الأدنى، ﴿وهم﴾، يعني عدوكم من المشركين، ﴿بالعُدْوَةِ

(١) أخرجه الشافعي: ٢/١٢٧، وعبدالرزاق في المصنف برقم (٢٠٠٣٩)، وأبو عبيد في الأموال ص (٢٤٣) طبع قطر، ويحيى بن آدم في الخراج ص (٤٢)، والبيهقي: ٦/٣٤٧، وفيه: عبدالله بن عمر العمري، وهو ضعيف من السابعة (تقريب).
وانظر: إرواء الغليل للألباني: ٥/٨٣، كنز العمال: ٤/٥٢٥.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف برقم (٢٠٠٤٠) وأبو عبيد، بنحوه، في الأموال ص (٢٥) و (٢٤٤) ورواه البخاري مطولاً بنحوه في فرض الخمس وفي المغازي وفي التفسير، ومسلم في الجهاد. وانظر: البيهقي: ٦/٣٥٢، شرح السنة: ١١/١٣١ ـ ١٣٤.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

القُصْوَى﴾ بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصوى تأنيث الأقصى.

قرأ ابن كثير وأهل البصرة «بالعِدوة» بكسر العين فيهما، والباقون بضمهما، وهما لغتان كالكِسوة والكُسوة والرِّشوة والرُّشوة. **﴿والركبُ﴾**، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، **﴿أسفل منكم﴾**، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، **﴿ولو تواعدْتُمْ لاختلفتُم في الميعاد﴾**، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: «ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد»، لقلّتكم وكثرة عدوكم، **﴿ولكِن﴾** الله جمعكم على غير ميعاد، **﴿ليقضيَ الله أمراً كان مَفْعُولا﴾**، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، **﴿ليَهلِكَ من هلَكَ عن بيّنة﴾**، أي: ليموت من يموت على بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه. **﴿ويحيى مَنْ حيّ عنْ بينّة﴾**، ويعيش من يعيش على بينة لوعده: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» «الإسراء ـ ١٥». وقال محمد بن إسحاق: معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر، والحياة هي الإيمان.

وقال قتادة: ليضلّ من ضلَّ عن بينة، ويهدي من اهتدى على بينة.

قرأ أهل الحجاز وأبوبكر ويعقوب: «حَيِيَ» بيائين، مثل «خشي» وقرأ الآخرون: بياء واحدة مشددة، لأنه مكتوب بياء واحدة.

﴿وإنّ الله لسميعٌ﴾، لدعائكم، **﴿عليمٌ﴾**، بنياتكم.

قوله تعالى: **﴿إذْ يُريكَهُمُ اللّهُ﴾** يريكَ يا محمد المشركين، **﴿في منامك﴾**، أي: نومك. وقال الحسن: في منامك أي في عينك، لأن العين موضع النوم، **﴿قليلاً ولو أراكَهُمْ كثيراً لَفشِلْتُم﴾**، لجبنتم **﴿ولتنازعتم﴾**، أي: اختلفتم **﴿في الأمر﴾** ، أي: في الاحجام والإقدام، **﴿ولكنَّ الله سلّم﴾**، أي سلّمكم من المخالفة والفشل، **﴿إنه عليمٌ بذات الصدور﴾**. قال ابن عباس: علم ما

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

في صدوركم من الحب لله عزّ وجلّ:

﴿وإذْ يُريكُمُوهم إذِ التقيتُم في أعينكم قليلاً﴾، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما التقوا ببدر قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قُلِّلوا في أعيننا حتى قُلْتُ لرجلٍ إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفاً.

﴿ويُقلِّلكم﴾، يا معشر المؤمنين ﴿في أعينهم﴾، قال السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعُوا، فقال أبو جهل: الآن إذْ برزَ لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أَكَلَةُ جَزُور، فلا تقتلوهم، واربطوهم بالحبال ـ يقوله من القدرة التي في نفسه ـ: قال الكلبي: استقل بعضهم بعضاً ليجترؤا على القتال، فقلّل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يَجْبُنُوا، وقلّل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿ليقضيَ الله أمراً﴾ من إعلاء الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله. ﴿كان مفعولاً﴾ كائناً، ﴿وإلى الله تُرجعُ الأمور﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتُم فئةً﴾ أي: جماعة كافرة ﴿فاثبتُوا﴾، لقتالهم، ﴿واذكرُوا الله كثيراً﴾، أي: ادعوا الله بالنصر والظفر بهم، ﴿لعلّكم تفلحون﴾، أي: كونوا على رجاء الفلاح.

قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسولَهُ ولا تنازعوا﴾، لا تختلفوا، ﴿فتفشلوا﴾، أي: تجبنُوا وتضعفوا، ﴿وتذهب ريحُكم﴾، قال مجاهد: نُصرتكم. وقال السدي: جراءتكم وجدُّكم. وقال مقاتل بن حيان: حدتكم. وقال النَّضْرُ بن شُمَيْل: قوتكم. وقال الأخفش: دولتكم. والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. قال قتادة وابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عزّ وجلّ تضرب وجوه العدو.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

ومنه قول النبي ﷺ: «نُصرتُ بالصَّبَا وأهلكتْ عادٌ بالدبور»[1].

وعن النعمان بن مقرن قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿واصْبِرُوا إن الله مع الصابرين﴾. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن محمد، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق، عن موسى بن عقبة، عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبدالله بن أبي أوفى فقرأته أن رسول/ الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي ١٤٩/ب
فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «يا أيها الناس لا تتمنّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف»، ثم قال: اللّهم مُنزّل الكتاب ومُجريَ السحاب وهَازِمَ الأحزاب اهْزِمْهُمْ وانصرْنا عليهم»[3].

قوله تعالى: ﴿ولا تكونُوا كالذينَ خرجُوا منْ ديارِهم بطراً﴾، فخراً وأشَراً، ﴿ورئاء الناس﴾، قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل لِيُرى وإبطان القبيح، ﴿ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعمَلون مُحيطٌ﴾، نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالصبا: ٢/٥٢٠، وفي بدء الخلق، والأنبياء، ومسلم في الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدَّبُور برقم (٩٠٠): ٢/٦١٧، والمصنف في شرح السنة: ٤/٣٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء؟: ٤/٧، والترمذي في السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال: ٥/٢٣٨، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم: ٢/١١٦، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في المسند: ٥/٤٤٤ ـ ٤٤٥، وعزاه المنذري في مختصر السنن للنسائي.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار . . . ٦/١٣٠، ومسلم في الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو (١٧٤٢) ٣/١٣٦٢، والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٨ ـ ٣٩.

بغيٌ وفخرٌ، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم هذه قريشٌ قدْ أقبلتْ بخيلائها وفخرها تُجادِلُك وتكُذّبُ رسولَكَ، اللهم فنصرُكَ الذي وعدتني»، قالوا: لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عِيرَهُ أرسل إلى قريش إنكم إنّما خرجتُم لتمنعوا عِيْرَكم فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً، وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام، فنقيمَ بها ثلاثاً فننحر الجزور ونُطعم الطعام ونُسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً، فوافوها فسُقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ[1].

قوله تعالى: ﴿**وإذْ زيّنَ لهمُ الشيطانُ أعمالهم**﴾، وكان تزيينه أن قريشاً لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته، فتبدّىٰ لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، ﴿**وقال**﴾، لهم ﴿**لا غالب لكمُ اليومَ منَ الناسِ وإني جارٌ لكم**﴾، أي: مجير لكم من كنانة، ﴿**فلما تراءتِ الفئتان**﴾، أي التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء علم أنه لا طاقة له بهم، ﴿**نكصَ على عقبيه**﴾، قال الضحاك: ولّى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقرىٰ على قفاه هارباً. قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذاً بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا هزم النّاسَ سُرَاقَةُ، فبلغ ذلك سراقة، فقال: بلغني أنكم تقولون: إنّي هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم، حتى بلغني هزيمتكم! فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم. فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان.

قال الحسن في قوله: ﴿**وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون**﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقودُ الفرس، ما رَكِبَ.

وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لاترون وصدق. وقال ﴿**إني أخافُ الله**﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه، إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم.

وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك.

---

(١) انظر ـ فيما سبق ـ تفسير الآية (٧) من السورة، والروايات التي ساقها المصنف هناك.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويُعرِّف حاله فلا يطيعوه.

وقيل: معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره.

﴿**والله شديدُ العقاب**﴾. قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبومصعب، عن مالك، عن إبراهيم بن أبي عُلَيَّة، عن طلحة بن عبيدالله بن كَرِيْز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رُؤي الشيطانُ يوماً هو فيه أصغرَ ولا أدحرَ ولا أحقرَ ولا أغيظَ منه يوم عرفة، وما ذاك إلّا لِمَا يرى من تَنَزُّلِ الرحمةِ وتجاوزِ الله تعالى عن الذنوب العِظَام، إلّا ما كان من يوم بدر»، فقيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يَزَعُ الملائكة». هذا حديث مرسل(١).

قوله تعالى: ﴿**إذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**﴾، شك ونفاق، ﴿**غرّ هؤلاء دِينُهم**﴾، يعني: غرّ المؤمنين دينهم، هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة قد أسلموا، وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة، فلما خرجت قريش إلى بدر، أخرجوهم كرهاً، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدُّوا، وقالوا: غرَّ هؤلاء دينُهم، فقتلوا جميعاً، منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان، والحرث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف الجمحي، والعاص بن منبه بن الحجاج. قال الله تعالى: ﴿**ومن يتوكلْ على الله**﴾، أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به، ﴿**فإنّ الله عزيز**﴾، قوي يفعل بأعدائه ما يشاء، ﴿**حكيم**﴾.

﴿**ولو ترى**﴾، يا محمد، ﴿**إذْ يَتوفّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون**﴾، أي: يقبضون أرواحهم. اختلفوا فيه، قيل: هذا عند الموت، تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار.

---

(١) أخرجه مرسلاً: الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج: ٤٢٢/١، وعبدالرزاق في المصنف: ١٧/٥ ـ ١٨، والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٧.

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون، **﴿وجوهَهُمْ وأدْبَارَهم﴾**، قال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد أستاههم، ولكن الله حييٌ يكني. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتّوفي: القتل. **﴿وذُوقُوا عذابَ الحريق﴾**، أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم، فذلك قول تعالى: «وذُوقُوا عذابَ الحريق». وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

﴿ذلك﴾، أي: ذلك الضرب الذي وقع بكم، **﴿بما قدمتْ أيديكم﴾**، أي: بما كسبت أيديكم، **﴿وأنّ الله ليسَ بظلامٍ للعبيد﴾**.

﴿كَدَأْبِ آلِ فرعونَ﴾، كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء
جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بآل فرعون. / **﴿والذينَ منْ** ١/١٥٠
قبلِهم﴾، أي: **﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويٌ شديد العقاب﴾**.

﴿ذلك بأنّ الله لم يكُ مُغيّراً نِّعْمةً أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم﴾، أراد: أنَّ الله تعالى لا يغيّر ما أنعم على قوم حتى يغيِّروا هم ما بهم، بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غيّر الله ما بهم، فسلبهم النعمة.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ
يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ
سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾

وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذّبوه وكفروا به فنقله الله إلى الأنصار، ﴿وأنّ الله سميعٌ عليم﴾.

﴿كَدأْبِ آلِ فرعون﴾، كصنع آل فرعون، ﴿والذين من قبلهم﴾، من كفار الأمم، ﴿كذّبوا بآيات ربِّهم فأهلكناهم بذنوبهم﴾، أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف، لمّا كذّبوا بآيات ربّهم، ﴿وأغرَقْنا آلَ فِرعونَ وكلٌّ كانُوا ظالمين﴾، يعني: الأولين والآخرين.

﴿إنّ شرَّ الدوابِّ عندَ الله الذينَ كفرُوا فهمْ لا يُؤمنون﴾، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿الذينَ عاهدتَّ مِنهُم﴾، يعني عاهدتهم وقيل: أي: عاهدت معهم. وقيل أدخل «مِنْ» لأن معناه: أخذت منهم العهد، ﴿ثم ينقضون عهدَهم في كلِّ مرّةٍ﴾، وهم بنو قريظة، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية، فنقضوا العهد ومالؤوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعبُ بن الأشرف إلى مكة، فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وهم لا يتّقون﴾، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

﴿فإمّا تَثْقفَنّهُمْ﴾، تَجِدنّهم، ﴿في الحرب﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم في الحرب وأسرتهم، ﴿فشرِّدْ بهم مَّن خلْفَهم﴾، قال ابن عباس: فنكِّلْ بهم مَنْ وراءهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه فرِّقْ بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاؤوا لحربك فعلاً من القتل والتنكيل، يُفَرِّقُ منك ويخافك مَنْ خلفهم من أهل مكة واليمن، ﴿لعلّهم يذّكّرون﴾، يتذكرون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإمّا تخافنّ﴾ أي: تعلمن يا محمد، ﴿من قوم﴾، معاهدين، ﴿خيانةً﴾، نقض عهد بما يظهر لكم منهم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿فانْبِذْ إليهم﴾، فاطرح إليهم عهدهم، ﴿على سواء﴾، يقول: أعلِمْهمْ قبلَ حربك إيّاهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواءً، فلا [يتّهِمُوا][1] أنك نقضت العهد بنَصْبِ الحرب معهم، ﴿إنّ الله لا يُحب الخائنين﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي أنا أبوبكر محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق بن داسة التمار، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا حفص بن عمر النمري، ثنا شعبة عن أبي الفيض عن [سليم][2] بن عامر عن رجل من حِمْيَر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهدٌ، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظر فإذا هو عمرو بن عَبَسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتىٰ ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء». فرجع معاوية رضي الله عنه[3].

قوله عز وجل: ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا سَبَقُوا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص «يحسبن» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، «سَبَقُوا» أي: فاتُوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين. فمن قرأ بالياء يقول «لا يحسبن الذين كفروا» أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا، ومن قرأ

(١) في «ب»: (فلا يتوهموا).
(٢) في «ب»: (سليمان).
(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو، فيسير إليه: ٤/٦٣ - ٦٤، والترمذي في السير، باب ما جاء في الغدر: ٥/٢٠٣ - ٢٠٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان ص (٤٠٥) من موارد الظمآن، والإمام أحمد في المسند: ٤/١١٣، وعزاه المنذري أيضاً للنسائي.

بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: ﴿أنّهم لا يُعْجزُون﴾. بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتونني. وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

قوله تعالى: ﴿وأعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوّةٍ﴾، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿من قوة﴾، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاك.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج ثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي، ثمامة بن شُفَيٍّ أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، وهو على المنبر: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إنّ القوّةَ الرمي، ألا إنّ القوّة الرمي، ألا إنّ القوّة الرمي»[1].

وبهذا الإسناد قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عزّ وجلّ فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»[2].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا عبدالرحمن بن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفُّوا لنا: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل»[3].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالصمد بن عبدالوارث، ثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح السلمي قال: حاصرنا مع النبي ﷺ الطائف فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة»، قال: فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر»[4].

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضل الرمي، برقم (١٩١٧): ١٥٢٢/٣.
(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق نفسه.
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب التحريض على الرمي: ٩١/٦، والمصنف في شرح السنة: ٦١/١١.
(٤) أخرجه أبو داود في العتق، باب أي الرقاب أفضل: ٤٢٥/٥، والترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي: ٢٦٧/٥ - ٢٦٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الجهاد، باب فضل من رمى بسهم: ٢٧/٦، والحاكم: ١٢١/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والإمام أحمد في المسند: ٣٨٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٣/١.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن كثير، عن زيد بن سلام، عن عبدالله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: «إنّ الله يُدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة: صانعه، والممِدَّ به، والرامي به في سبيل الله»(١).

ورُي عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يُدخلُ بالسهم الواحد ثلاثةَ نفرٍ في الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ومُنْبِلَهْ، وارْمُوا وارْكَبُوا، وإن ترموا
١٥٠/ب أحب/ إليّ من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلّا رميَهُ بقوسه وتأديبَهُ فرسَهُ وملاعبتَهُ امرأتَهُ فإنّهن من الحق. ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنّه نعمة تركها أو قال كفرها»(٢).

قوله: ﴿ومن رِّبَاطِ الخَيْلِ﴾، يعني: ربطها واقتناؤها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون ومن رباط الخيل الإناث. ورُوي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلّا الإناث لقلّة صهيلها. وعن أبي محيريز قال: كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا زكريا عن عامر، ثنا عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمَغْنَم»(٣).

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن حفص، ثنا ابن المبارك، ثنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعتُ سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «مَن احتبسَ فرساً في سبيلِ الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإنّ شِبَعَهُ، وريَّهُ، ورَوْثَهُ، وبوله في ميزانه يوم القيامة»(٤).

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف برقم (١٩٥٢٢)، وأحمد في المسند: ٤/١٥٤، وعبدالله بن زيد الأزرق لم يوثقه غير ابن حبان. وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في الرمي: ٣/٣٧٠، والترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي: ٥/٢٦٥ - ٢٦٦، وقال: هذا حديث حسن. (دون قوله: ومن ترك الرمي). والنسائي في الخيل، باب تأديب الرجل فرسه: ٦/٢٢٢ - ٢٢٣، وابن ماجة في الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (٢٨١١): ٢/٩٤٠ بلفظ الترمذي وصححه الحاكم: ٢/٩٥ ووافقه الذهبي. والإمام أحمد: ٤/١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر: ٦/٥٦، ومسلم في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: (١٨٧٢): ٣/١٤٩٣، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد، باب من احتبس فرساً: ٦/٥٧، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٨٨.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي، أنبأنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «الخيل ثلاثة: لرجل أجرٌ، ولرجل سِتْرٌ، وهي لرجل وِزْرٌ، فأمّا التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيلِ الله، فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها من ذلك المرج أو الروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنَّتْ شرفاً أو شرفين، كانت آثارُها وأرواثُها حسناتٍ له، ولو أنها مرت بنهر فشربتْ منه، ولم يُرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، فهي لذلك الرجل أجر، وأمّا التي هي له سِتْرٌ: فرجلٌ ربطها تغنياً وتعففاً، ثم لم يَنْسَ حقَّ الله في ظُهورها ولا رقابها، فهي له سِتر، وأمّا التي هي له وِزْرٌ: فرجلٌ ربطها فخراً ورياءً، ونواءً لأهل الإسلام، فهي على ذلك وزر» وسُئل رسولُ الله ﷺ عن الحُمُر فقال: «ما أُنزل عليَّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: «فمن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَره، ومَنْ يعمل مِثْقال ذَرَّةٍ شراً يرهَ»»(1) ﴿تُرْهِبُونَ بهِ﴾، تُخوِّفون ﴿عَدُوَّ الله، وعدوكم وآخرين﴾، أي: وترهبون آخرين، ﴿مِنْ دُونِهم لا تعلمونَهم الله يعلمُهم﴾، قال مجاهد ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم، لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن.

﴿وما تُنفقوا من شيء في سبيلِ الله يُوفَّ إليكم﴾، يُوفَّ لكم أجره، ﴿وأنتم لا تُظلمون﴾، لا تنقص أجوركم.

قوله تعالى: ﴿وإنْ جَنَحُوا للسَّلْم﴾، أي: مالوا إلى الصلح، ﴿فاجْنَحْ لها﴾، أي: مِلْ إليها وصالحهم. رُوي عن قتادة والحسن: أنَّ هذه الآية منسوخة(2) بقوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث =

---

(1) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الخيل لثلاثة . . : ٦/٦٣ ـ ٦٤، وفي الشرب والأنبياء والتفسير والاعتصام، ومسلم في الزكاة بأطول من هذا ـ باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧): ٢/٦٨٠ ـ ٦٨٢، والمصنف في شرح السنة: ٦/٢٤.

(2) أخرجه الطبري في التفسير: ١٠/٣٤ (طبع الحلبي) ثم قال عنه إنه «قول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل، وقد دلَّلنا في غير موضع من كتابنا هذا ـ التفسير ـ وغيره، وعلى أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه، فأما ما كان بخلاف ذلك =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟
مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

وجدتموهم» «براءة ـ ٥» ﴿وتوكّلْ على الله﴾! ثق بالله، ﴿إنّه هو السّميعُ العليم﴾.

﴿وإنْ يُريدُوا أنْ يخدعُوك﴾، يغدروا ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني بني قريظة. ﴿فإنّ حَسْبَكَ الله﴾، كافيك الله، ﴿هو الذي أيّدكَ بنصرِه وبالمؤمنين﴾، أي: بالأنصار.

﴿وألّفَ بينَ قلوبهم﴾، أي: بين الأوس والخزرج، كانت بينهم إحن وثارات في الجاهلية، فصيَّرهم الله إخواناً بعد أن كانوا أعداء، ﴿لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألّفتَ بينَ قلوبهم ولكنّ الله ألفَ بينَهم. إنّه عزيزٌ حكيم﴾.

قوله تعالى ﴿يا أيها النبيُّ حَسْبُكَ الله ومن اتّبعكَ مِنَ المؤمنين﴾، قال سعيد بن جبير: أسلم مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وستُّ نسوة، ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون، فنزلت هذه الآية[1].

واختلفوا في محل «مَن» فقال أكثر المفسرين محلّه خفض، عطفاً على الكاف في قوله: «حَسْبُكَ الله» وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفاً على اسم الله معناه: حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يا أيّها النبي حرّضِ المؤمنينَ على القتال﴾، أي: حُثّهم على القتال. ﴿إن

فغير كائن ناسخاً، وقول الله في براءة ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ غير نافٍ حكمُه حكمَ قوله: ﴿وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها﴾ لأن قوله: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ إنما عُني به بنو قريظة، وكانوا يهوداً أهل كتاب، وقد أذن الله جلَّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب، ومتاركتهم الحرب، على أخذ الجزية منهم. وأما قوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ فإنما عني به مشركي العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى. بل كل واحدة منهما مُحكَمَةٌ فيما أُنزلتْ فيه».

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٧٣).

يكنْ منكم عِشْرُون﴾، رجلاً، **﴿صابرون﴾**، محتسبون، **﴿يغلبوا مائتين﴾**، من عدوهم يقهروهم، **﴿وإن يكن منكم مائةٌ﴾**، صابرة محتسبة، **﴿يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾**، ذلك **﴿بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾**، أي: إن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال، خشية أن يُقْتلوا. وهذا خبر بمعنى الأمر، وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفّف الله عنهم، فنزل:

﴿الآنَ خَفّفَ الله عنكم وعلمَ أنّ فيكم ضعفاً﴾، أي: ضعفاً في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف، وقرأ أبو جعفر: «ضُعَفاء» بفتح العين والمد على الجمع، وقرأ الآخرون بسكون العين، **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغْلِبُوا مائتين﴾**، من الكفار، **﴿وإنْ يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾**، فردّ من العشرة إلى الاثنين، فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا.

وقال سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر مثلَ هذا.

قرأ أهل الكوفة: «وإنْ يكنْ منكم مائة»، بالياء فيهما وافق أهل البصرة في الأول والباقون بالتاء فيهما. وقرأ عاصم وحمزة «ضعفا» بفتح الضاد هاهنا وفي سورة الروم، والباقون بضمها.

وقوله تعالى: **﴿ما كان لنبيٍّ أنْ يكونَ له أسرى﴾**، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: «تكون» بالتاء والباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر: «أسارى»، والآخرون. «أسرى».

وروى الأعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم بدر وجيء بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء»؟ فقال أبوبكر: يارسول الله قومك وأهلك فاستبقهم واستأنِ بهم، لعلّ الله أن يتوب عليهم، وخُذْ منهم فدية، تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك قدِّمْهُم نضربْ أعناقهم، مكِّنْ علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكّني من فلان ـ نسيب لعمر ـ فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، / وقال ١/١٥١
عبدالله بن رواحة يارسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. فقال له العباس: قطعتَ رحمك. فسكت رسول الله ﷺ فلم يُجِبْهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال «إنّ الله تعالى لَيُلَيِّنُ قلوب رجال حتى تكون أَلْيَنَ من اللبن، ويشدّد قلوب رجال حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبابكر مثل إبراهيم قال: «فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم»

«ابراهيم - ٣٦»، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى حيث قال: «إنْ تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» «المائدة - ١١٨»، وإن مثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: «ربِّ لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديّاراً» «نوح - ٢٦»، ومثل موسى قال: «ربنّا اطمسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم» «يونس - ٨٨»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتنّ منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق»، قال عبدالله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن بيضاء»(١). قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب فَهَوِي رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر ولم يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبوبكر قاعدين [يبكيان](٢) قلت: يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى: «ما كان لنبيٍّ أن يكونَ له أسرى حتى يُثْخِنَ في الأرض» إلى قوله: «فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً» «الأنفال ٦٧ - ٦٩» فأحل الله الغنيمة لهم(٣). بقوله: «له أسرى» جمع أسير مثل قتلى وقتيل.

قوله: ﴿حتى يُثْخِنَ في الأرض﴾، أي: يبالغ في قتال المشركين وأسرهم، ﴿تُريدون﴾، أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدنيا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿والله يُريدُ الآخرة﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصر دين الله عزّ وجلّ، «والله عزيز حكيم».

وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى «فإمّا مَنّاً بعدُ وإما فداءً»، «محمد - ٤» فجعل الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادَوْهم،

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة الأنفال: ٤٧٦/٨، وقال: هذا حديث حسن. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه (فهو منقطع)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٣٧٠ - ٣٧٢، ومن طريقه: البيهقي في السنن: ٣٢١/٦، وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص (١٣٥) (طبع قطر). وصححه الحاكم: ٢١/٣ - ٢٢، ووافقه الذهبي، والطبري: ٤٣/١٠ (طبع الحلبي) والواحدي ص (٢٧٤)، وانظر: مجمع الزوائد: ٨٦/٦ - ٨٧. وفي رواية الطبري: ومثلك يا بن رواحة كمثل موسى . . .

(٢) زيادة من «ب».

(٣) الطبري: ٤٤/١٠ (طبع الحلبي).

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾

وإن شاؤوا أعتقوهم(١).

قوله تعالى: ﴿لولا كتابٌ منَ الله سبق﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئاً من الغنائم [جعلوه](٢) للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عزّ وجلّ: «لولا كتابٌ من الله سبق»(٣) يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحلّ لكم الغنائم.

وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحداً ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ(٤).

وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوماً بعد إذْ هداهم حتى يُبيّنَ لهم مايتقون، وأنه لا يأخذ قوماً فعلوا أشياء بجهالة(٤): ﴿لمسّكم﴾، لَنَالَكُمْ وأصابكم، ﴿فيما أخذتُم﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به، ﴿عذابٌ عظيم﴾.

قال ابن إسحاق: لم يكن من المؤمنين أحد ممن أحضر إلّا حبّ الغنائم إلّا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»(٥).

فقال الله تعالى: ﴿فكلوا ممّا غنمتُم حلالاً طيباً واتّقوا الله إنّ الله غفورٌ رحيم﴾، رُوي أنه لما نزلت الآية الأولى كفَّ أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل: ﴿فكلوا مما

(١) عزاه السيوطي لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما. (الدر المنثور: ٤/١٠٨).
(٢) في «أ»: (كان).
(٣) عزاه السيوطي لابن مردويه. (الدر: ٤/١١١).
(٤) أنظر: الطبري: ١٠/٤٧.
(٥) أخرجه الطبري: ١٤/٧١. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٧١): «ورواه الواقدي في المغازي من وجه أخر منقطع، بمعناه، وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر رَفَعه: «لو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب»، وانظر: الأموال لأبي عبيد ص (١٣٦ - ١٣٧).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

غنمتم﴾ الآية. ورُوِّينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُحلتْ لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي»(١).

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن همام، ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله: «لم تحلّ الغنائم لأحد من قبلنا، وذلك بأنّ الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا»(٢).

قوله تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ قلْ لمن في أيديكم من الأسرى﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «من الأسارى» بالألف، والباقون بلا ألف.

نزلت في العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وكان أُسر يوم بدر، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر، وكان يوم بدر نوبته، وكان خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا [وبقيت](٣) العشرون أوقية معه، فأُخذتْ منه في الحرب، فكلّم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبىٰ وقال: «أمّا شيء خرجتَ تستعينُ به علينا فلا أتركه لك»، وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإنْ حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيدالله وللفضل وقثم»، يعني نبيه، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: أخبرني به ربي عزّ وجلّ، قال العباس: أشهد أنك صادق! وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلاّ الله عزّ وجلّ، فذلك قوله تعالى: «يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى» الذين أخذتم منهم الفداء، ﴿إنْ يعلمِ اللّهُ في قلوبكم خيراً﴾، أي إيماناً، ﴿يؤتكم خيراً ممّا أُخذَ منكم﴾ من الفداء، ﴿ويغفرْ

(١) أخرجه البخاري في التيمم: ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦، وفي المساجد، والجهاد، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١): ١/٣٧٠ ـ ٣٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب «لم تحل الغنائم لأحد من قبلنا...» ٦/٢٢٠، ومسلم مطولاً، واللفظ له، في الجهاد، باب تحليل الغنائم... (١٧٤٧): ٣/١٣٦٦ ـ ١٣٦٧.

(٣) ساقط من «ب».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾

لكم﴾، ذنوبكم **﴿والله غفورٌ رحيم﴾** [قال العباس رضي الله عنه][1] فأبدلني الله عنها عشرين عبداً/ ١٥١/ب كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عزّ وجلّ[2].

قوله عز وجل **﴿وإنْ يُريدوا خيانتك﴾**، يعني الأسارى، **﴿فقدْ خانُوا الله منْ قبلُ فأمكن منهم﴾**، ببدر، **﴿ والله عليم حكيم ﴾**، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

قوله تعالى: **﴿إنّ الذين آمنوا وهاجروا﴾**، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين. **﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءاوَوْا﴾** رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم، **﴿ونصرُوا﴾** أي: ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، **﴿أولئك بعضُهم أولياءُ بعْض﴾**، دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة، وتوارثوا بالأرحام حيث

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي ص (٢٧٦)، والطبري: ١٤/ ٧٣، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٢٤ عن عائشة وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٨: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع وفي الصحيح بعضه» وانظر: الكافي الشاف ص (٧١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُوا ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

ما كانوا، وصار ذلك منسوخاً بقوله عزّ وجلّ:[1] «وأُوْلوا الأرحام بعضهم أوْلَى ببعض في كتاب الله» «الأحزاب - ٦» ﴿والذين آمنوا ولم يهاجرّوا مالكمْ مِّن وَلايتهم من شيء﴾، يعني الميراث، ﴿حتى يُهاجروا﴾، قرأ حمزة: «ولا يتهم» بكسر الواو، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة. ﴿وإنِ استنصروكم في الدين﴾، أي: استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿فعليكم النَّصرُ إلاّ على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق﴾، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿والله بما تعلمون بصير﴾.

﴿والذين كفروا بعضُهم أولياء بعض﴾، في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض، ﴿إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض﴾، قال ابن عباس: إلاّ تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به.

وقال ابن جريج: إلاّ تعاونوا وتناصروا.

وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إلاّ تفعلوه﴾، وهو أن يتولىٰ المؤمن الكافر دون المؤمن ﴿تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير﴾، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام. ﴿والذينَ آمنوا وهاجرُوا وجاهدُوا في سبيلِ اللهِ والذينَ آووا ونصروا أولئك هُمُ المؤمنون حقاً﴾ لا مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم﴾ في الجنة. فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات: فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذي هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة الثانية.

قوله: ﴿والذين آمنوا من بعدُ وهاجُروا وجاهدُوا معكم فأولئك منكم﴾ أي: معكم، يريد: أنتم

(١) انظر: الطبري: ٦٨/١٤ بتحقيق محمود شاكر.

منهم وهم منكم، ﴿وأولوا الأرْحام بعضُهم أوْلَى ببعض﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام.

قوله ﴿في كتابِ الله﴾أي: في حكم الله عزّ وجلّ. وقيل: أراد بكتاب الله القرآن، يعني: القسمة التي بيّنها في سورة النساء، ﴿إنّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾.